



مجموعة أزهار من
ربي الأشعار
لإلياس فرج



مجموعة أزهار من ربي الأشعار

تأليف: إلياس فرح

صدرت الطبعة الأولى عام ١٨٦٦

عن مطبعة الفرانسييسكان - القدس

وزارة الثقافة الفلسطينية

سلسلة الموروث الثقافي

اسم المؤلف: إياس فرح

اسم الكتاب: مجموعة أزهار من ربي الأشعار

الطبعة الأولى: ١٨٦٦ عن مطبعة الفرانسييسكان - القدس

الإشراف العام: عبد السلام عطاري

مراجعة وتدقيق: حنين خالد عناية

الصف والتنضيد: شادية الخطيب

تصميم الغلاف: فاطمة حسين

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the publisher.

فلسطين

www.moc.pna.ps

مجموعة أزهار
من ربي الأشعار

تقديم

سيادة الرئيس محمود عباس «أبو مازن»

لم تكن فلسطين ارضاً قاحلة ، بل ارض معطاءة
وكان ابناءؤها وبناتها يبغونها في الشعر والقصة والرواية
والمرح والموسيقى والسينما والعلوم الاجتماعية والفن
والفلسفة . انه هذه الكوكبية من الكتب التي نعيد اصداؤها
تقدم باقية من هذه الابداعات التي تكلف عنها عظمة لغة
السبع وحبته للثقافة والمعرفة .

كانت فلسطين تزخر بالطابع والمكتبات والصحف والمجلات
والساح ودور السينما والرائد للثقافية والدراسات والاعمال
ولم تنت منارة يهتدي بها للضرورة ، ويفدونه اليها طبعاً
للعلم والمعرفة في الحياة الثقافية التي كانت تزدهر بها .
نعتز بمجودتنا للثقافي الذي ابدهه اجدادنا ، وزيره
مخافط عليه ، وزيره للجيل القادوة انه تقراه وتقره
به وتبع كما ابده استاذهم .

ع
٢٠١٣/٤/٤٤

من الساعي بطبعها للقارئ

الحمد لله الذي جمع بقدرته الأموات في البحور كأنها في زقي. طائفة لأمره بالتحريك والسكون كعبد رقي. وأبدع الانسان من العدم. ذا عقل مائل لاكتساب العلوم والحكم. حمداً نهديه لعزته في كل حين. وخصوصاً عند تأملنا كيف انحصرت بحكمته الأشياء تحت رسوم وموازين. وتحديدات وقوانين. مقترنة بوتاد أمره به افتراق بكافة الأحوال. غير عارفة ما هو القبض والانفصال.

وبعد يقول البادري هَرِيْبِرْتُوس أحد الرهبان الفرنسيين. الذي بلطف ربه مستعين. إنني لما اطلعت على مجموعة الأزهار. من ربي الأشعار. التي قد جمعها ورتبها الخواجا الياس فرج. المحتوية على معاني أرق من الأرج. وتلاوتها تبدد عن البال كل كدر وحرَج لأن البعض من قصائدها تغزل واستغاثة بالملك الوهاب. ومنها نصايح وآداب. لن يريد أن يسير بصراط الصواب. عاريةً عن أقوال التغزل العالمية. ما خلا القصيدة الحالية. فضرَبنا عنها صفحاً إكراماً لغايته الوضعية. ويستبان أنه جامع شملها من دواوين غفيرة. وأقوال علماء شهيراً قاصد بها تمرين عقول الأحداث بالفنون الأدبية والقراءة العربية، فلذلك قد باشرت بطبعها. بعد أن فُحص ربعها وأرسلتها إلى أولاد مدارسنا هدية مفيدة. وتحفة فريده. فعليكم بها أيها الشبان. واجعلوا معانيها ندية الأفكار. وقرينة الأذهان. ولا تنسونا من الدعاء لدى المولى المَنَّان.

جامعها مخمساً

هذه القصيدة من ديوان سعيد الذكر المطران جرمانوس فرحات.

وهي «تعرك في العزة الإلهية»

حب التغزل في الغزلان مشتهر كم من نفوسٍ به قد مسها الضرر
دعه ونادِ أيا من فيك نفتخر الله أله أنتَ السمعُ والبصر
في العاشقين وأنتَ الفوز والوطر⁽¹⁾

في الغير إنَّ الهوى⁽²⁾ يأتيني في كدر⁽³⁾ أمّا بذاتكم قلبي لفي حَبِرٍ
ما حلتُ عنكم ولو قُطعت في طَبِرٍ⁽⁴⁾ هويتكم والهوى مني على صَغَرٍ
يا حبذا وله⁽⁵⁾ قد زانه الصغرُ

وَلِي صباي وشيبي ناهزَ اللَّمما⁽⁶⁾ حتى وختلُّت الوري من دونكم رمما⁽⁷⁾
لو لم أكن صادقاً بالانشغافِ لما هجرتُ فيكم ربوع الوالدين وما
أهوى فلم يرضني من دونكم أثر⁽⁸⁾

أخذتم القلب وهو بعضُ صنعكم لو تأخذوا ما بقى ما كان ضرِّكم
مهلاً أيا سادتي مهلاً بسيركم سيروا الهوينا⁽⁹⁾ بقلب سائرٍ بكم
كأنه فلُكُ وأنتم القمرُ

روحي ترومُّ اللقا والذنبُ حاجزها ترنو⁽¹⁰⁾ إليكم رشي⁽¹¹⁾ تصبو⁽¹²⁾ لمكرزها⁽¹³⁾
يا علّة النفس للأكوان مبرزها الذكرُ صورتكم والقلبُ مركزها⁽¹⁴⁾

والحب دائرةٌ شعاعها الفكرُ

كأنكم سدرٌ وانني سمك⁽¹⁵⁾ وماء حبكم إلى النهى شرك
حقاً فكل جمالٍ دونكم حلك⁽¹⁶⁾ كأن عيني إذا صورتكم فلك
في أفقها قمر دانت⁽¹⁷⁾ له الصورُ

لطفاً بذى شغفٍ توقيه كل أذى يا من غدا ذكركم عندي كفوح شذا
أهيم شوقاً إلى روبا الجمال كذا أتلو على القلب سورة حبكم فإذا
ما أستظهر الوحي قالوا إنها سُورٌ⁽⁸¹⁾

كل البرايا لكم وأنت واجدها إلى الوجود وبالأنعام منجدها
آيات لطفك أو إن رمت أسردها⁽⁹¹⁾ أفني زماني بأخبارٍ أعددها
يُفنى الزمان وما يُفنى لكم خبرٌ

أهل السما والثرى تدعوك خالقها كُنيتَ شمس الهدى وأنت مشرقها
كم من مرارٍ شهى طرفي ليرمقها وكم تحجبت عن عيني فارقتها
منكم حجابٌ ولكن لست تستترُ

صبوت منذ الصبا لوجهات النَّبَلِ⁽⁰²⁾ شقياً لها صبوة تفني قوي الحَبَلِ⁽¹²⁾
فكم فتى باجتهادٍ قد نحى⁽²²⁾ سُبُلِي وكم خزفت حجاباً كان من قبلي
وبدلت عدة حجبٍ ما بها قَصْرُ

إني وحق الهوى دوماً لفي حذرٍ حتى بلاني النَّوي⁽³²⁾ أضحيت في كدرٍ

من بعد وصلِ الهنا قد صرت في فكرٍ كأنُّ بُعدكم عني على قدرٍ
أو أن قربي لديكم ما له قدرٌ

عظفاً على مُغرِمٍ فالعطف شيمتكم منوا عليه سُخَى من فيض جودتكم
إني قتييل الهوى وحق عزتكم عشقي وشوقي غرامي في محبتكم
سرُ سرورٍ ونازٌ ضمنها شرُّ

دمعي ونار الجوى في مهجتي اجتمعاً فكيف ماء ونار يوجدانِ معا
هجرُ الحبيب كذا في الناس ما سُمعا إن تهجروني أجد في وصلكم طمعا
كالشمس ترجى وجنح⁽⁴²⁾ الليل معتكر^(5٢)

جمال ليلي غدت في الناس شهرتهُ حتى كشمسٍ دعى العبسى⁽⁶²⁾ رؤيته
لو شامَ⁽⁷²⁾ صورتكم ما رامَ^(٨2) صورتهُ لكم من البدرِ رؤياه وبهجهُ
ولى من السحب دمعُ اسمه المطرُ

راعى نجم الدجا⁽⁹²⁾ دهري به مللٍ مستقبلاً رؤيةً الاشراق في عجلٍ
أمر محال تُرى الأرواح في مُقلٍ⁽⁰³⁾ طرفي وطوفك كالصدين في شغلٍ
طرف عمى وأجلى طرفك الحور⁽¹³⁾

طرف المحبُّ بدت أقوى عزائمهِ تصبو لمنظركم مع حسن عالمهِ
نباتٌ طرفكم يدمى بصارعة⁽²³⁾ وذاك يكبو⁽³³⁾ عثاراً من شكائمه^(٤3)
وطوفك السيف لا يبقى ولا يذرُ

يا صاحبي لذ إلى ذا المغرمِ النبهِ واجعل غرامك مثلي في تحبهِ
من كان ذا شغفٍ يسعى بمأربهِ في حلبهِ⁽⁵³⁾ العشق لا تدري الوشأهُ بهِ

سيان إن عذروا فيه وإن عذروا

يا لوعة الحبِّ كم أرويتني سنعاً⁽⁶³⁾ حتى جرت أدمعي من جففها ولعاً
نحول⁽⁷³⁾ جسمي وسقمي يشهدان معاً اخفض القلب من زفراته طمعاً

بالاستتار وهل يخفاهمُ الخبرُ

وقائلٍ لي لماذا الصبر في حَبْرٍ⁽⁸³⁾ حتى مَ تستنظرُ الايصالَ في وَطَرٍ
أجبتُهُ وإذا ساعٍ به ضجرٍ إني أروم طروقٍ⁽⁹³⁾ المحب عن دَعْرِ⁽¹⁰⁴⁾

وهل يصادمُ من تهواهم الذعر⁽¹⁴⁾

يوماً بدا عاذلي بالعدل كل أذى لبستُ عشقكم من ولهى خودا⁽²⁴⁾
فعادَ منذهلاً ا رأي هكذا قد مازج الحب قلب المستهام إذا

رامَ انفصلاً فيوصل⁽³⁴⁾ وصلهُ السهرُ

گونوي برى من ثرى أغصان قدرتهِ في صورةٍ ماثلت تكوينَ صورتهِ
يا لأمي لا تلمني في محبتهِ ويحاً لقلبٍ خلّى من صابتهِ

أهل يروك⁽⁴⁴⁾ غصن ما بهِ ثمرُ

هم في فؤادي ثووا⁽⁵⁴⁾ فبات مضطرباً من حر نار الجوى قلبي ومنضرباً
حباً ومَن قد رآه قطُّ محتسماً⁽⁶⁴⁾ فحبهم كضمير الرفع قد لزمأ

فصلاً ووصلاً فلا يخلو ولو هجروا

فالحبُّ في المرء لا تخفى دلائلهُ في الهجر والوصلِ ظلَّ الجزعُ⁽⁷⁴⁾ حاملهُ
إني امرؤٌ مولعٌ والعشيقُ قاتلهُ كأنني الفعلُ والمحبوبُ فاعلهُ
سيانٍ متصلٌ فيه ومستترٌ

قال العواذُلُ قولاً ظلَّ منسدرا⁽⁸⁴⁾ أهنى الهوى إذا ما قد كانت مستتراً
فقلت كيف وبات الدمعُ منحدرًا أحلى الغرام إذا ما كان مشتهدًا
يا عاذلين دعوني فيه أشتهرُ

قد خلتُ يوم الجفا عاماً وأشهره⁽⁹⁴⁾ دهرًا مديدًا وما قد رُمت أشهره⁽⁹⁵⁾
هيئات أسلو ودمعي أنت ناظرهُ أبيت والليل يطويني وأنشرهُ
نوحاً وحباً فأطويه ويستترُ

نفسي تلافي الضنا عذباً يلذذها حتى الغناء بقا في حبِّ مُنقذها
والعين أهمت دماً حاشاك تنبذها⁽¹⁵⁾ خذ يا حبيبي دموعاً فيك أنقذها⁽²⁵⁾
وأعطِ المتيّم صبراً لبُّه الوَطْرُ

في كل مَنبتِ شعرةٍ علت جَلدي في كل جارحةٍ⁽³⁵⁾ حتى وفي كبدي
لم يخلُ من حبكم عضوٌ مدى الأبدِ حللت منى حلول الروح في جسدي
كأنني صدقٌ وأنتم الدررُ^(٤5)

أهل التصابي لهم من ربهم مددٌ والحبُّ ما بينهم يحده عددٌ

أما فحبي فعلم يعلم به أحد فأنتم النفس والجثمان⁽⁵⁵⁾ متحد

بالنفس والجسم أقنوم له قدر

قلبي يحب أباً جلت سريرته يصبو كذا تائقاً لآبني وبهجته

في روح قدسٍ فما أحلى صابته تثلت الحب فاعتاضت⁽⁶⁵⁾ طبيعته

والذات واحدة تاهت بها الفكر

هيهات كتم الهوى ما الخوف من شيمي كم خضت في الحب غمر⁽⁷⁵⁾ الشف⁽⁸⁵⁾ والسقم

يكفاك يا لأمي لوماً فلا تلم فيه أهيم وعنه يستباح دمي

من حب شيئاً فلا يصدّه الخطر

بدر التمام اختفى من حسن طلعه شمس الضحى أشرفت شوقاً لبهجته

يقول صب وهو في حال صوته يا سالباً نور عيني في محبته

أنر فؤادي إذا ما خانني البصر

لا تمنعوا وصلكم عنكم بكم نبذا⁽⁹⁵⁾ حب المها⁽⁰⁶⁾ واصطفى ملاذكم⁽¹⁶⁾ عودا⁽¹⁷⁾

جمالكم والبها منى النهى⁽³⁶⁾ أخذوا فالموت أوفق لي من حبكم فإذا

ما عشت في غيركم فالعيش لي وزر⁽⁴⁶⁾

أنت الحبيب الذي أبريت كل سنا في عالم الكون ما يراه ناظرنا

حاشا أن أصغي لما يديه عاذلنا كُن في حياً فيني فيك أنت أنا أ

كالشمس ليس بها في برجها كدر

لما بدا عاذلي في العذل معتبه أخترت مرضاكم⁽⁵⁶⁾ في الحب سالمة

وفهتُ قولاً وها قد ظل منبتاً إني تحولت لا أنفك مُلتفتاً

تلقا مُحْيَاك⁽⁶⁶⁾ حتى يهتدي النظرُ

في كل آنٍ⁽⁷⁶⁾ وأين أنت حارسنا وحاطنا فضلكم حيلة ملابسنا

ما زال يشتهي الرؤيا تفرسنا كأنَّ وجهك مغناطيسُ أنفسنا

فحيثُ ما دارَ دارت نحوهُ الصورُ

نظيرُ دمي سرى في القلبِ حبُّكمُ ومثلُ ودِّي⁽⁸⁶⁾ جرى دمعي بسفحكمُ^(٩6)

مهما دهاني فلا أسلو وداذكُمُ يشكو فوادي الجوى^(٥7) من نارِ عشقكمُ

فاعجب لجنةٍ نورٍ ضمنها شرُّ

تخذتُ ذاتك لي ملجأ بمفردها ولا أنشا ارتوي من غير موردها^(١7)

يا غايةِ النفس في الأخطارِ منجدها يذوب قلبي بناٍ أنت مُوقدها

والعين ترعى جمالاً فيك يحتكرُ^(٧7)

تغزِّي في الهوي من ولهي بكمُ ما عشقُ ليلى وسعدي عند عشقكمُ

في عنفوان⁽³⁷⁾ الصبا قد ذقت حَمركمُ سكرتُ من حبكم حتى وحقكمُ

حسبت كلَّ الورى من حبكم سكروا

في الكونِ أوصافكم لما زهت وشدت⁽⁴⁷⁾ حوباي⁽⁵⁷⁾ حُبَّ المهبا في حبكم نبذت^(١7)

وبتُّ مع زمرةٍ في الثمل⁽⁷⁷⁾ ما ورزت^(٨7) فصرت من خمرة العشق التي أخذت

منا العقول ولكن ما بنا سكرُ^(٩7)

أنعم بها خمرة قد صيرت فرحاً حزني ووقتاً غدا دمعي مُسْفِحاً^(٥٨)
حاشا ألبى شربها لو بتُّ منذبجاً أظُلُّ منشرحاً فيها ومنجرحاً
منها ومنطرحاً عنها ولي وَطْرٌ^(١٨)

لأجلكم عاذلي أمسى يضاددي لكنّ عن ودّكم من ذا يباعدني
لا سيف عنه ولا حيفاً^(٢٨) يفدني خسرت في حبكم عمري فأسعدني
يا ريح قومٍ بكم وبحبكم خسروا

فرضٌ وجوبٌ على الأنام شكركم ويحاً لمن لم يفه^(٣٨) في مدح قدركم
إني امرؤ خاضع طوعاً لأمركم أجشو انكساراً إذا كررتُ ذكركم
كأتما قد عادني الصارم^(٤٨) الذكرُ

لله ما ذا الهوي عيشي به رعد حراً وبرداً فلا يعلو شوقي خَمْدُ^(٥٨)
نار لظت في الحشى حقاً ولي جلدُ كأن قلبي أرض مسها ومدُ^(٦٨)
أو أن حبكم من فوقها مطرُ

أشكو أليم النوى^(٧٨) لعلّ يسمعي خلّ وفي لمحةٍ حظي يمتعني
يوماً فأهنى بها والقدرُ يرفعني أرومُ رؤيتكم والدمعُ يمنعني
وقد تزاحم عندي الدمعُ والنظرُ

ياذا الحبيب الذي ما خاب سائله فجودكم في الملا قد عمّ نائله
أنا الحقيرُ كما ناجاك قائله ذلي وضعفي ونقصاني يقابله

عزُّ وِبَطْشُ كَمَالٍ فِيكُمْ وَقَرٌّ^(٨٨)

لبست ثوبَ الحيا متعذراً فنما شوقي ووجدي وجسمي بالضنا سقما
ولم أحلَّ حامل الأهوال مبتسما حمدٌ ومدحٌ لكم عن أصغري^(٩٨) كما
لي منكم المضيانِ الخوفُ والحذرُ

عذباً رأيت الهوى لا أشتكي ألاماً فسنة العشق قد حارت بها العлма
إذا ابتليتُ بها والآن قد علما ما زلتُ أشقى بكم حتى حظيت بما
قد كان يوعدني في وصفه الخبرُ

قد لاح لي بالكرى^(٩٩) وجهٌ ورونقه^(١٠٠) ما حسنٌ يوسف ما الصبا ورايقه^(٢٩)
وما الشموس وما السهى^(٣٩) ومشرقه فانشق عني غطاءً كان يرتقه
عذل العذول فأضحى وهو منقطر^(٤٩)

أعيسى عذولي وقد أوهت^(٥٩) قريحته في عذلٍ من لا شا إلا مسرته
من شام قلبي يرى التعذيب لذته من بعد ما كان تسقيني ملامته
كدرأ زعاقاً^(٦٩) وما أدراك ما الكدرُ

مولاي كم متعبٍ عانتُهُ راحتكم^(٧٩) وكم عليل شفى بلمس راحتكم^(٨٩)
لقد زهت في الورى أنواع قدركم وأومضت^(٩٩) من ضيا أنوار طلعتكم
غرُّ تصافح فيها الشمس والقمر

فيا لها طلعة منها نواظرنا تخالُّ مبهره كذا عزائمنا

مستضعفاتُ القوى فاحترار عالمنا^(٠٠١) حتى ذهلت بها عن حسن عالمنا

وقلت هذا الذي فطرت^(١٠١) به الفطرُ

يا سعد عاشقها بالمجد يرتفعُ فيها الفنا والبقا والديه^(٢٠١) والورع^(١٠٣)

كل البهاء بها الحسن مجتمع فاشبع إذاً من جمالٍ ما به شبعُ

وارتع إذاً بسرورٍ ما به كدرُ

دَع عنك عشق الغواني إنَّ صاحبهُ يموت ذلاً وقد تردى عواقبهُ

كم من شريفٍ به زالت مناقبهُ فاعرض بوجهك عن حسنٍ يكذبهُ

التغيير واعلم بأنَّ الحقَّ يعتبرُ

إلى متى في الهوى مستغرقاً لهجا لآلِ مية^(٤٠١) قل يكفاكم حجاجا

وأهجر منازلهم كم أهلكت مهجا وأسعد بحسن يسوع أبيك مبتهجا

ذاك الإله الذي الإعدا به كفروا

قالوا اسلُّه يسترح فالحبِّ راحتُه عني فقلت لهم قلبي ذي لذتهُ

فكيف يسلو هوى من هو بغيته^(٥٠١) هو الحبيب الذي عزَّت محبتهُ

حتى اشتراها بإهراق الدما البشرُ

باهت مناقبهم فنعم ما فعلوا في حُبِّ سيدهم جورَ العدا احتملوا

هذه ومنه رواة المجدِ قد نقلوا منهم شهيدٌ ومنهم ناسكٌ وجِلُّ^(٦٠١)

برُّ ومنهم رسول الأخير منتصر

يا صاح ذا سيد الكونين أنت به نجوت من سقطة الجدين فانتبه^(٧٠١)
من دونه لم يفز مرؤ بمطلبه فلا يغرّك كفر الكافرين به
كأنهم بقر مأواهم سقر^(٨٠١)

إيّاك والخصم لا تقف بجانبه واحذر عدوك تنج من مخالفه
والج لفاديك وأطلب خير مأربه^(٩٠١) والحق بحزب بنيه المؤمنين به
فالحقّ تخدمه الأشباه والصور

تجردوا لاكتساب المجد فانتصروا وبالبسالة^(١٠١) ما بين الملا اشتهروا
من ذا يفي مدحهم مع أنه سدر^(١١١) كأنهم دُرر من شأنها درر
أو أنهم غرر ما شأنها غرر

وجوههم في كراسي المجد ساطعة عيونهم لسنا^(٢١١) الإله ناظرة
ما لي سواهم لدى الرحمان واسطة قوم كرام لهم في الأرض مرتبة
وفي السماء لهم ملك له خطر^(٣١١)

قد جاهدوا في سبيل الله واجتهدوا في بث^(٤١١) إيمانهم حتى الجميع هدوا
فهم كرام الورى يفون ما وعدوا إن آمنوا امنوا واستتجدوا
واسترشدوا رشدوا واستنصروا نصروا

آمن بربك فالدنيا مناجزةٌ إلى الفناء وللجهال غامزةٌ
وسنة الحق في الأكوان مُبرزةٌ^(٥١١) هيهات هيهات فالإيمان معجزةٌ^(٦١١)
وكل نفسٍ لها في ذاتها نظرٌ

عبد الغني النابلسي خمساً

هذه القصيدة من ديوان الإمام علي

وهي شكوى حال واستغاثة بالعزة الالهية

رفعتُ مقامي منهُ وتفضلاً وكلمتني بالعلم والعلم والولاً^(٧١١)

ومنك ملأتُ الكف لا من الملا^(٨١١) لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلا

تباركت تعطي من تشاء وتمنعُ

عروس التجلي في فؤادي تتجلي وأنّ دعاي بالمعارف ممتلى

فأرجوك يا مولاي ياذا التفضّل إلهي وخلّاقِي وحرزي^(٩١١) ومؤيلي

إليك لَدِي الاعسار واليسر أفزعُ^(١٠٢١)

إذا كنتَ بي في جملة الأمر مُعْتَنِي وقد نلتُ هذا الحظ من فضلك السني^(١٢١)

فلست أبالي مع عيوي قبلتني إلهي لئن خيبتني أو طردتني

فَمَن ذا الذي أرجو مَن اتشفعُ

أنا العبدُ عبدُ الرقِّ في كلّ حالتي ولستُ بعيدي في الرخا أو لشدتي

لك الأمر في المحرمان^(١٢١) أو في عطيتي إلهي لئن جلت وجمت خطيئتي

فعفوك عن ذنبي أجلُّ وأوسعُ

إذا سلكت دنياي بالحوال سُبَلْهَا وأظهرت الأيام في العبد جهلها

فلست يئوساً^(١٢١) بل أقولُ لعلّها إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلها

فيها أنا في روض^(٤21) الندامة أرتعُ

إليك رخاي ينتمي واضافتي ومنك أرى سَكْرِي⁽⁵²¹⁾ بدا وفاقتي^(١٣٦)

وهب أنني أخرت عن سير ساقتي إلهي تري حالي وفقري وفاقتي^(٧21)

وأنت مناجاتي الخفية تسمعُ

بحبك ثوبي في البرية منصبعُ ولا زال بالأشواق جلدي يندبغ

وقلبي على الحالين من حرة لدعُ إلهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ

فؤادي فلي في باب جودك مطمعُ

جداري⁽⁸²¹⁾ على تأسيس جدواك قد بُني ولا زال قلبي بالتذكر يعتني

وإني أنادي كلما الوجدُ حنّني إلهي أجري من عذابك إنني

أسيرٌ ذليلٌ خائفٌ اخضعُ

رفعت إلى علياء ذاتك قصّتي عساك تصبغ الآن بالقرب قصّتي

إذا متُّ بالتوحيد طبق مَحَجَّتِي^(٩21) إلهي فانسني بتلقين⁽⁰³¹⁾ حجتي

إذا كان لي في القبر مثوى^(١31) ومضجعُ

أنا العبدُ مُلقىً بالرجا وسط لجةٍ ورجتُ غراماً أرض نفسي برجّةٍ

ولستُ أرى عذراً ولا بعضَ حجةٍ^(٢31) إلهي لئن عذبتني ألف حجةٍ^(٣31)

فحبُّ رجائي منك لا يتقطعُ

حديثُ غرامي فيك لا زال شائعاً وأنت اشتريت النفس مُذ كنت بائعاً

فَجُدُّ لِي بِأَمْنٍ مِنْكَ لِأَنَّكَ رَائِعًا^(٤٣١) إلهي إذا لم ترعني كنت ضائعاً

وان كنت ترعاني فلست أضيعُ

عليك ثنائي في جميعي بالسنني على كل فعلٍ من فعالك بي سني

أبيت بذنبٍ قد لوى عنك مرسني^(٥٣١) إلهي إذا لم تعفو عن غير محسن

فمن لمسيء بالهوي يتمتعُ

هو العبدُ من مولاهُ بالمنة ارتقى غداةً له كأسُ المحبة قد سقى

عليك اتكالي قد عدمتُ لك البقا إلهي لئن قصرتُ في طلب التقى

فلست سوى أبواب فضلك أقرعُ

دفعت عذولي الحب عني بالتي وفيك فتى أصبحت نحوك ما فتى^(٦٣١)

فإن عثرت رجلي وجلت خطيبي إلهي اقلني^(٧٣١) عترتي وامحُ حوبتي^(١٣٨)

فإني مقرٌ خائفٌ أتضرعُ

محبك لما آن وجدُّ له فنى فهيهات أن تلقاهُ بالغير معتنى

وها أنا راجي الفضل ما عنك انثنى^(٩٣١) إلهي لئن خيبتني أو طردتني

فما حيلتي يا رب أم كيف أصنعُ

جمالك باهٍ بالقحة باهرٌ ومنه يوافيتُ^(٤١) بدت وجواهرُ

أأبقى ومنه قد تجلّت مظاهرُ إلهي حليفُ الحبِّ بالليل ساهرُ

يناجي ويبي والمغفلُ^(١٤١) هجّعُ

مقامي أضحى بانتسابك عالياً فأخرجتُ من أصداف علمي لآلئنا

وحزبي^(٢٤١) أولو التحقيق راموا مراميا وكلهم يرجو نوالك راجيا

لرحمتك العظمي وفي الخلد يطمع^(٣٤١)

ظهورك بي عندي أراه علامةً على أنك المسدي^(٤٤١) إليّ كرامةً

وإن رامت الأغيارُ منى انتقامهً إلهي يميني رجائي سلامةً

وقبحُ خطيائي عليّ يشنعُ

وله أيضاً

كن مع الله ترى الله معك وأترك الكَلَّ وحاذرُ طمعك

وألزم القنعَ بما أنتَ لهُ في جميع الكونِ حتى يسعك

بالصفا عن كَدَرِ الحسنِ فغِبْ وأطرح الأغيارَ وأترك خدعك

لا تموّه^(٥٤١) بك وأطلب منك ما فرَّ من يومٍ بشأن ضيعك

نورك الله به كُن مشرقاً وأحذر الأضداد تطفني شمعك

ثم ضع نفسك بالذلِّ لهُ قبل أنَّ النفس قهراً تضعك

وأعبد الله بكشف واصطبر وعلى الكشف توقُّ جزعك^(٦٤١)

لا تقلُّ لم يفتح الله ولا تطلب الفتحة وحرُّر ورعك^(٧٤١)

كيفما شاء فكن في يده لك إن فرَّق أو إن جمعك

في الوري إن شاء حفظاً ذقتَه وإذا شاء عليهم رفعك

وإذا ضرك لا نافع من
وإذا أعطاك من يمنعه
ليس يوقيك أذاه أحد
إنما أنت له عبد فكن
كلما نابك أمر ثق به
لا تؤمل من سواه أملاً
ليت لو تشعر إذا كنت من
كنت لا شيء وأصبحت به
تابعاً كن دائماً أنت ولا
ودع التدبير في الأمر له
 واحتفظ حرمة من يبصر إن
وهو الله الذي جلّ فيا
كن به معتصماً واخضع له
دونه والضر لا إن نفعك
ثم من يعطي إذا ما منعك
وإن استنصرت⁽⁸⁴¹⁾ فيه شيعك
جاعلاً بالقرب منه ولعك⁽⁹⁴¹⁾
واحترز للغير تشكو وجعك
إنما يسقيك من قد زرعك
قبل ما مولى الموالي اخترعت⁽⁵¹⁾
خير شيء بشراً قد طبعك⁽¹⁵¹⁾
تتمنى أنه لو تبعك
واصنع المعروف مع من صنعك
رمت فعلاً أو تنادي سمعك
عقل حَف من عدم مبتدعك
لا تعاند فيه وأهجر بدعك

المقصيدة الزينية

فهذه البعض ينسبها للأمام علي.

أما الأصح من قول صالح بن عبد القدوس. والله أعلم

صَرَمَتْ حِبَالَكَ بَعْدَ وَصَلَتْ زَيْنَبُ والدهر فيه تصرم⁽²⁵¹⁾ وتقلب⁽¹⁰⁷⁾
نَشَرْتَ ذَوَائِبَهَا الَّتِي تَزْهَوُ⁽⁴⁵¹⁾ بِهَا سوداً وراسك كالثغامة⁽⁶⁵¹⁾ أشيب
وَاسْتَنْفَرْتَ لِمَا رَأَيْتَكَ وَطَالَمَا كانت تحنُّ إلى لقاك وترغبُ
وَكَذَلِكَ وَضَلَّ الْغَايَاتِ لِأَنَّهُ آل⁽⁶⁵¹⁾ ببلقعة⁽⁷⁵¹⁾ وبرقُ خُلب⁽⁸⁵¹⁾
فَدَعَّ الصَّبَا لَقَدْ عَدَّكَ زَمَانُهُ واجهد فعمرك مرٌّ منه الأطيب⁽⁹⁵¹⁾
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ وأنى المشيب⁽¹⁰⁶¹⁾ فأينَ منه المهربُ
ضَيْفٌ أُمَّ إِلَيْكَ لَمْ تَبْهَجْ بِهِ فترى له أسفاً ودمعاً يسكبُ
دَعَّ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصَّبَا وأذكر ذنوبك وإبكها يا مذنبُ
وَأَخْشَ مَنَاقِشَةَ⁽¹⁶¹⁾ الْحِسَابِ لِأَنَّهُ لا بدَّ يحصى ما جنبت⁽²⁶¹⁾ ويكتبُ
وَاللَّيْلُ فَاعْلَمِ وَالنَّهَارُ كِلَاهِمَا أنفاسنا بهما تعدُّ وتحسبُ
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلِكُ⁽¹⁶¹⁾ حِينَ نَسِيَتْهُ بل اثبتاهُ وأنت لا تلعبُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةٌ أَوْدَعْتَهَا ستردها بالرغم منك وتسلبُ
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا دارٌ حقيقتها تزولُ وتذهبُ
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعْتَهُ حقاً يقيناً بعد موتك ينهبُ

تَبَّ لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ومشيدها عمًا قليلٍ يخربُ
فاسمع هُديت نصيحاً أولاكها برُّ نصحٍ للأنامِ مجربُ
أهدي النصيحة فاتعظ بمقاله فهو التقى اللوذِي⁽⁴⁶¹⁾ الأدرُبُ
لا تأمن الدهرَ الخوؤنَ لأنه ما زال قدماً للرجال يهدبُ
وكذلك الأيام في غصاتها⁽⁰⁶¹⁾ مضُّ⁽⁷⁶¹⁾ يذُلُّ لها الأعزَّ الأنجبُ
والفقرُ شينٌ في الرجال لأنه يزري به الشهمُ⁽⁶¹⁾ الرفيع الأنسبُ
ويفوزُ بالمالِ الحقيِرُ مكانةً فترأهُ يرجى ما لديه ويرغبُ
ويسرُّ بالترحيبِ عند قدومه ويقامُ عند سلامه ويقربُ
فاقنع ففي بعض القناعة راحةً واليأس⁽⁸⁶¹⁾ عمًا فات فهو المطلبُ
وإذا طمعت كسيت ثوبَ مذلةٍ فلقد كُسي ثوبَ المذلة أشعبُ⁽⁶¹⁾
لا تحرصنْ فالحرصُ ليس بفاخرٍ فالحرصُ مشقٌّ للرجالِ ومتعبُ
كم عاجزٍ في الناس يأتِي رزقه رغداً ويحرمُ كيْس⁽⁰⁷¹⁾ ويخيِبُ
فعليك تقوى الله فالزمها تفزُ إنَّ التقى هو البهي الأهيِبُ⁽¹⁷¹⁾
واعمل⁽²⁷¹⁾ بطاعته تنل منه الرضى إنَّ المطيعَ لربه لمقربُ
أدِّ الأمانة والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلمْ يطيب المكسبُ
واحذرْ من المظلوم سَهماً صائباً واعلمْ بأنَّ دعاءه لا يُحجَبُ
واخفضْ جناحَكَ للأقاربِ كُلِّهمْ بتذلُّلٍ واسمخْ لهمْ إن أذنبوا

وإذا بُليت بنكبةٍ فاصبر لها
 وأنا أصابك في زمانك شدةً
 هل قد رأيت مؤمناً لا ينكبُ
 فادع لربك إنه أدنى لمن
 وأصابك الخطبُ^(٧٧١) الكريه الأصبُ
 كن ما استطعت من الأنام بمعزلٍ^(٥٧١)
 يدعوه من جبل الوريد^(٤٧١) وأقربُ
 واختر صديقك واصطفه تفاعراً
 إن الكثير من الوري^(٧٧١) لا يصحبُ
 واحذر مواخاة الدني لأنها
 إن القرينَ إلى المقارنِ ينسبُ
 ودع الكذوبَ لا يكن لك صاحباً
 تعدي كما يعدي الصحيح الأجرُبُ
 ودّرِ الحقودَ ولو صفا لك مرةً
 إن الكذوب لبئس^(٧٧١) خلاً يصحبُ
 فالحقدُ باقٍ في الصدور مغيبُ
 واحفظ لسانك واحتزز من لفظه
 أبعدُه عن رؤياك لا يستجلبُ
 وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن
 فالمرءُ يسلمُ باللسان ويعطبُ
 والسرُّ فاكتمه ولا تنطق به
 بزيادةٍ في كل نادٍ^(٨٧١) تخطبُ^(١٧٩)
 واحرص على حفظ القلوب من الأسي
 فهو الأسيرُ لديك إن لم ينشبُ^(٥٨١)
 إن القلوب إذا تنافر ودُّها
 فرجوعُها بعد التنافر يصعبُ
 وتوفَّق من غدر النساء خيانةً
 شبه الزجاجة كسرها لا يشعبُ
 لا تأمنِ الأنثى زمانك كلهُ
 فجميعهنَّ مكاييدُ لك تنصبُ
 يوماً ولو حلفت يميناً تكذبُ
 وإذا سطت فيه الصقيل^(١٨١) الأسطُبُ^(١٨٢)
 تعري بطيب حديثها وكلامها

والقِ عدوك بالتحية^(٧٨١) ولتكن
واحدُهُ يوماً أن تراهُ باسمًا
وإذا الصديقُ لقيتهُ مُتملِّقًا
لا خيرَ في ودِّ امرئٍ مُتملِّقٍ
يُعطيكُ من طَرَفِ اللسانِ حلاوةً
يلقاكُ يحلفُ أنه بكِ واثقٌ
وإذا رأيتَ الرزقَ عَزَّ ببلدةٍ
فارحلْ فأرضُ اللهِ واسعةُ القضا
فلقد نصحتُك إن قبلتَ نصيحتي
خذها إليك قصيدة منظومةً
حكمٌ وآدابٌ وجُلُّ مواعظٍ
فاصغِ لوعظِ قصيدة اولاكها^(٧٨١)
منهُ زمانكُ خائفًا تترقبُ
فالليثُ يبدو نابهُ إذ يغضبُ
فهو العدوُّ وحقُّهُ يُتجنبُ
حُلُو اللسانِ وقلبهُ يتلهَّبُ
ويروغُ منكُ كما يروغُ^(٤٨١) الثعلبُ^(١٨٥)
وإذا تواری عنكُ فهو العقرُبُ
وخشيتُ فيها أن يضيَّقَ المكسبُ
طولاً وعرضاً شرقُها والمغربُ
فالنصحُ أغلى ما يُباعُ ويوهبُ
جاءت كنظم الدرِّ بل هي أعجبُ
أمثالها لذوي البصائرِ تكتبُ
طودُ^(٧٨١) العلومِ الشامخاتِ الأهيبُ

قصيدة الشيخ ناصيف اليازجي

فريد عصرنا

إني لقد جربْتُ أخلاق الورى حتى عرفت ما بدا^(٨٨١) وما اختفى
كلُّ يذمُّ الناس فالذي نجا من ذمِّه يدخل في ذمِّ المَلَا^(٩٨١)
والمرء مطبوعٌ على البخل إذا جاد فنجوده عن العرض فدَى^(١٠٩١)
يريد أن يغترف البحرَ ولا يترك منه قطرةً تروي الظما^(١٩١)
ينسى من المحسن طوداً قد رَسَا وليس ينسى ذرةً ممن أسَا^(٢٩١)
ولا يحجبُ غير نفسه فما أحبُّه فهو إلى النفسِ انتهى
يعرفُ كلَّ حالةٍ فيها مضى إلا الذي كان دنيئاً فارتقى
وكل علمٍ يدرك المرء سوى عرفان قدرِ نفسه كما اقتضى
بالعقل والدينِ له كل الرضى أما بهالهٍ وجاههٍ فلا^(٣٩١)
وكلما عقل الفتنى قلَّ اكتفى به كما ظنَّ فسراً وازدهى^(٤٩١)
قد طبَّع الناس على الظلم فما سلِّم أمرٌ لامرءٍ إلا بغى
يؤذي الجهولُ نفسه فإن جنَى يوماً عليك لا يلامُّ بالأذى
ويذخر الشيخ لدهرٍ ويرى بعينيه الموتَ لدى الباب استوى
ينعمُ البعضُ بهالٍ يختبى وبعضهم ببذله في ما اشتهى
من عاش بالتقتير^(٥٩١) من أهل الغنى فإنه افتقر من فوق الثرى^(٦٩١)

كَلَّ يَعِدُّ نَفْسَهُ نِعْمَ الْفَتَى فَمَنْ هُوَ اللَّئِيمُ مَنَا يَا تَرَى
لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ عَيْبَهُ لَمَا رَأَيْتَ عَيْباً فِيهِ مَا طَالَ الْمَدَى^(٧٩١)
وَكُلَّ عَيْبٍ كَأَنَّ مِنْ طِيِّ الْحَشَى^(٨٩١) فِي الْمَرْءِ يَنْمُو فِيهِ كَلِمَا نَشَا
لَا يَشْعُرُ الْجَاهِلُ بِالْجَهْلِ كَمَا لَا يَشْعُرُ السَّكَرَانُ إِلَّا إِنْ صَحَا
لَا يَعْرِفُ الصَّحِيحُ قِيمَةَ لِمَا كَانَ مِنَ الصَّحَةِ حَتَّى يَتَلَى^(٩٩١)
لَا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْفَتَى إِلَّا مَتَى مَاتَ فَيُعْطَى حَقَّهُ تَحْتَ الْبَلَى
لَوْ كَانَ كُلُّ يَعْرِفُ الْحَقَّ سِوَى^(١٠٢) لَكَانَ كُلُّ النَّاسِ أَهْلًا لِلْقَضَا^(١٠٢)
مَنْ قَالَ لَا أَغْلَطُ فِي أَمْرٍ جَرَى فَإِنَّهَا أَوْلُ غَلْطَةٍ تُرَى
وَقَلَّمَا^(٢٠٢) أَبْصَرْتَ نِعْمَةً عَلَى شَخْصٍ وَلَا تَقُولُ قَدْ ضَاعَتْ هُنَا
وَكُلَّ مَا فِي غَيْرِ مِثْوَاهِ^(٣٠٢) تُؤَى يَسْمَعُ^(٤٠٢) فِي الْعَيْنِ وَيُوْذِي مَنْ رَأَى
وَكُلَّ مَا عَنِ مَنَهِجِ الطَّابِعِ التَّوَى تَنْكُرُهُ النَّفْسُ وَلَوْ نَفْعًا جَنَى^(٥٠٢)
وَكُلَّ مَنْ تَاهَ^(٦٠٢) دَلَالًا وَادَّعَى مَتَكَبِّرًا فَذَاكَ نَاقِصَ الْحَجَى^(٧٠٢)
وَكُلَّ مَنْ شَابَ عَلَى خَلْقٍ فَلَا تَنْصَحُهُ فَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْهُدَى
وَكُلَّ مَنْ لَا خَيْرَ مِنْهُ يَرْتَجَى إِنْ عَاشَ أَمْ مَاتَ عَلَى حَدِّ سِوَى

قصيدة المعلم بطرس كرامة

وهي قصيدة قدمها لداوود باشا

- أَعْن خَدَّهَا الْوَرْدِي افْتَنَكَ الْخَالُ^(٨٠٢) فَسَحَّ^(٩٠٢) مِنَ الْأَجْفَانِ مَدْمَعِكَ الْخَالُ^(٢١٠)
وَأَوْمَضَ^(١١٢) بَرَقَ مِنْ مَحِيًّا جَمَالِهَا لَعِينِكَ أُمُّ مِنْ ثَغْرَهَا^(٢١٢) أَوْ مَضَ الْخَالُ^(١١٣)
رَعَى اللَّهُ ذِيَّكَ الْقَوَامَ^(٤١٢) وَإِنْ يَكُنْ تَلَاعَبَ فِي أَعْطَافِهِ التِّيهِ وَالْخَالُ^(٥١٢)
وَلِلَّهِ هَاتِيكَ الْجَنُونَُ فَإِنَّهَا عَلَى الْفَتَكِ بَهْوَاهَا أَخُو الْعَشْقِ وَالْخَالُ^(٦١٢)
مَهَاهُ^(٧١٢) بِأُمِّي أَفْتَدِيهَا وَوَالِدِي وَإِنْ لَمْ الطَّيِّبُ الْأَصْلُ وَالْخَالُ^(٨١٢)
أَرْتَنَا كَثِيًّا^(٩١٢) فَوْقَهُ خَيْرَانَةٌ بَرُوحِي تَلِكِ الْخَيْرَانَةِ وَالْخَالُ^(١٠٢٢)
غَلَاثِلَهَا^(١٢٢) وَالْدَّرُّ أَضْحَى بِجِيدِهَا^(٢٢٢) نَسِيْجَانِ دِيْبَاجِ^(٣٢٢) الْمَلَاْحَةِ وَالْخَالُ^(٢٣٤)
وَمَا تَوَلَّى طَرْفُهَا كُلَّ مَهْجَةٍ عَلَى قَدَّهَا مِنْ فَرْعِهَا^(٥٢٢) عَقَدَ الْخَالُ^(٢٣٦)
إِذَا أَفْتَكْتِ أَهْلَ الْجَمَالِ فَإِنَّمَا لَهْنٌ عَلَى أَهْلِ الْهَوَى الْمَلِكِ وَالْخَالُ^(٧٢٢)
وَلَيْسَ الْهَوَى إِلَّا الْمَرْوَةُ وَالْوَفَا وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا امْرُؤٌ مَاجِدٌ^(٨٢٢) خَالُ^(٢٣٩)
وَكَمْ يَدْعَى بِالْحَبِّ مَنْ لَيْسَ أَهْلَهُ وَهِيَهَاتِ أَيْنَ الْحُبُّ وَالْأَحْمَقُ^(١٠٣٢) الْخَالُ^(٢٣١)
مَعْدَبْتِي لَا تَجْعِدِي الْحَبَّ بَيْنَنَا لِمَا أَتَهَمُ الْوَاشِي فَإِنِّي الْفَتِي الْخَالُ^(٢٣٢)
وَلِي شِيْمَةٌ^(٣٣٢) طَابَتْ ثَنَاءً وَعَفَةً تَصَاحِبْنِي^(٤٣٢) حَتَّى يَصَاحِبْنِي الْخَالُ^(٢٣٥)
سَلِي عَنْ غَرَامِي كُلِّ مَنْ يَعْرِفُ الصَّبِيَّ^(١٣٢) تَرِي أَنْسِي رَبُّ الصَّبَابَةِ وَالْخَالُ^(٧٣٢)
وَلَا تَسْمَعِي قَوْلَ الْعَذُولِ لِأَنَّهُ لَقَدْ سَاءَ فِينَا ظَنُّهُ السَّيِّءِ وَالْخَالُ^(٨٣٢)

سعى بيننا سعي الحسود فليتهُ
 أشلُّ⁽⁹³²⁾ وفي رجليه أوثقهُ الخالُّ^(٢٤٠)

وظبية حسنٍ قد رأيتُ ابتسامها
 عشقتُ ولم تخطِ الفراسة والخالُّ^(١42)

توسمَّ⁽²⁴²⁾ طرفي في محاسن وجهها
 فلاح له في بدر سيمائها خالُّ^(٢42)

إلى مثلها يرنو⁽⁴⁴²⁾ الحليم صابئةً
 ويعشقها سامي النباهة والخالُّ^(٥42)

أيأراكباً يفوي الفلاة بسحرةٍ
 يُباعُ بها النهْدُ المطهْمُ والخالُّ^(٦42)

بعيشك إن جئت الشام⁽⁷⁴²⁾ فعج⁽⁸⁴²⁾ إلى
 مهب الصبا الغربي يعنُّ لك الخالُّ^(٩42)

فسلم بأشواقٍ على مريجٍ عفا
 كأن رباه بعدنا الأفقر الخالُّ^(١٠52)

وإن ناشدتك الغيدُ عني فقل على
 عهودِ الهوى فهو المحافظُ والخالُّ⁽¹⁵²⁾

وان قلن هل سأم⁽²⁵²⁾ التصبّرَ بعدنا
 فقل صبره ولى وفرط الجوى خالُّ^(٢52)

لكل جماحٍ⁽⁴⁵²⁾ إن تمادى شكيمتهُ^(55٢)
 ولكن جماحُ الدهر ليس له خالُّ⁽¹⁵²⁾

ومأ أن داود باشا كان من ذوي العلوم والنباهة أخذها وتلاها مسروراً
 لما وجد فيها من الرقة والفصاحة فأعرضها على الشيخ صالح التميمي
 البغدادي الشاعر وطلب منه التقريظ عليها. فكان كلام الشيخ غير
 ممكن أن يقرظ قريضاً تنصّر بل أرسل هذه الأبيات:

جواب الشيخ صالح التميمي

عَهْدِنَاكَ تَعْفُو عَنْ مَسِيءٍ تَعَدَّرَا أَلَا فَاغْفِنَا عَنْ رُدِّ شَعْرٍ تَنْصَرَّا
 وَهَلْ مِنْ مَسِيحِي فَصِيحٍ نَعْدَهُ إِذَا أَيْنَعَ الشَّعْرَ الْفَصِيحُ وَأَثْمَرَا
 عِدَاهُ⁽⁷⁵²⁾ شَيْبِبُ⁽²⁵⁸⁾ وَالْأَخْضُ وَفَاتَهُ مِنَ الرَّنْدِ⁽⁹⁵²⁾ وَالْقَيْصُومُ مَا كَانَ أَزْهَرَا
 دَعِ الشَّائِيءَ⁽⁰⁶²⁾ الْمَخْصُوصَ بِالنَّصِّ⁽²⁶¹⁾ إِنَّا نَرَاهُ بِمِيدَانِ الْبَلَاغَةِ أَبْتَرَا⁽²⁶²⁾
 بِهِ سِمَةٌ مِنْ صِبْغَةِ الْخَالِ سَوَّدَتْ بِصِيرَتِهِ لَوْ كَانَ مِمَّا تَبَصَّرَا
 أَمَا وَعِلُومٌ ضَمَّهَا صَدْرُكَ الَّذِي بَرَاهُ إِلَهَ الْعَرْشِ لِلْعِلْمِ مَذَبَّرَا
 وَأَيَّامُكَ الْبَيْضَ الَّتِي لَا يَسُومُهَا لَنَا سَائِمٌ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ تَشْتَرِي
 وَفِيضُ أَيَادٍ⁽³⁶²⁾ أَوْثَقَتْ فِي رِقَابِنَا مَكَارِمَ كَالْأَطْوَاقِ مُحْكَمَةِ الْعَرَى⁽⁴⁶²⁾
 أَيَادٍ فَلَا بِالشُّكْرِ تَجْزِي لَأَنَّنَا نَرَى الشُّكْرَ عَنْ تِلْكَ الْأَيْدِي مَقْصَرَا
 لَجْمٌ غَفِيرٌ صَيَّرَ الْخَالَ قَبْلَهُ⁽⁵⁶²⁾ مَكَانَ الْقَوَافِي بِالْقَوَافِي مَكْرَرَا
 لَعْمَرُكَ لَا كَعَبٌ⁽⁶⁶²⁾ وَلَا الشَّيْخُ قَبْلَهُ زَهِيرٌ⁽⁷⁶²⁾ بِتَكَرُّارِ الرَّدَى⁽²⁶⁸⁾ تَصَوَّرَا
 وَلَسْتُ أَرَى الْمَصْنُوعَ⁽⁹⁶²⁾ إِلَّا مَوْقَرَا⁽⁰⁷²⁾ كَمَا لَا أَرَى الْمَسْطُوعَ⁽¹⁷²⁾ إِلَّا مَوْقَرَا⁽²⁷²⁾
 وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا مَا أَبَانَتْ صَدُورُهُ قَوَافِيهِ لَا مَا السَّمْعُ فِيهِ تَحْيَرَا
 وَغَنَى بِهِ السَّاقِي عَلَى الْكَأْسِ أَخَذَا عَلَيْكَ وَإِنْ لَمْ تَشْرَبِ الْكَأْسَ أُسْكِرَا⁽⁷³²⁾
 وَهَلْ يَطْرَبُ النَّاقُوسُ⁽⁴⁷²⁾ فِي لَحْنِ ضَرْبَةٍ كَمَا يَطْرَبُ الْخُلْخَالُ فِي سَاقِ أَعْفَرَا⁽⁵⁷²⁾
 وَرَبُّ فَتَى يُرَوِي بِنَجْدٍ⁽⁶⁷²⁾ جَازَرَا وَمَا قَدْ رَأَى نَجْدًا وَلَا شَامَ⁽⁷⁷²⁾ جَوْزَرَا⁽²⁷⁸⁾

ولكن أراني جِيَدَ جانحهِ فتى رديء يرى عذباً وإن كان ممقرا⁽⁹⁷²⁾
فدع ذا ولكن أسألِ الله فالذي دنا فتدلى⁽⁹⁸²⁾ ثم بالوحي أخبرا
بشيراً يوافي باللقاء وطالما يوافي رسولاً بعد ياسٍ مبشراً
لداود ذي الأيدي الجسم⁽¹⁸²⁾ بضائعُ من الجودِ تأبى أن تعدَّ وتحصراً
على البُعد شاهدنا له كم عنايةٍ بنا يسرت شيئاً لنا ما تيسراً
رؤوف بنا برُّ عطوفٌ ولم يكن تغير لو أن الزمانَ تغيراً
لقد أثر الاحسان فينا وإننا لنشكرَ والاحسانَ بالحرِّ أثراً

فلما وصلت إلى داود باشا قرأها ودفعتها للمعلم بطرس وقال له جابو
عليها. فقط لا تحرك لسانك عليه بالشر. بل الزم معه الأدب. وهاك ما
أجاب به نَعَمَ الجواب:

جواب المعلم بطرس على تنكيث الشيخ صالح

لكل امرئ شأن تبارك من بَرِيٍّ وَحَصَّ بِمَا قَدِ شَاءَ كَلَّامِنَ الْوَرَى
 ولو شاء كان الناس أمةً واحدٍ⁽²⁸²⁾ ولم تَلَقْ يوماً بينهم قط مُنْكَرَا
 فلا يفتخر امرؤ بعجبٍ⁽³⁸²⁾ يتاله تَلَدًا⁽⁴⁸²⁾ إذا عن طارِفِ⁽²⁸⁵⁾ المنجدِ قَصْرَا
 ولا يُحْتَقَرُ دُرٌّ يجيءُ به فتى يُخَالِفُ جنساً أو يَرَى غير ما يَرَى
 إذا انحطَّ قدرُ الدرِّ من أجلِ بائعٍ فذلك جهل بالآلئِ بلا أمْتَرَا⁽⁶⁸²⁾
 كما عابَ شعري قائلٌ في قريضةٍ⁽⁷⁸²⁾ ألا فأعفنا عن ردِّ شعْرٍ تنصَّرَا
 عجبْتُ له مع أنه نِعَمَ فاضلٍ فكيف تغاضى عن أخى الفضلِ وازدرى
 نعم إنني من أمةٍ عيسويةً وأهل كتاب لن يُشَانِ⁽⁸⁸²⁾ وَيُحْقِرَا
 وأقرب من كل الأنام مَوْدَهٌ⁽⁹⁸²⁾ إليه كما قد جاءهُ الذكر مخبرَا
 ولستُ أنا الشاني⁽⁰⁹²⁾ ولكن أنا الذي عن الذمة البيضاء لن يتغيَّرَا
 ولو أنه يتلو ولا وَسَلْ لا تجادلوا⁽¹⁹²⁾ لكان أتي بالحق حُكْمًا وما انبَرَى⁽²⁹²⁾
 لعمرك ما داعي الفصاحة ملئهُ ولا نسبٌ حتى ألامَ واهجرا
 فذلك فضل الله يؤتيه من يشا⁽³⁹²⁾ ولن ينتهي فضلُ الله ويحصرا
 فقسُّ⁽⁴⁹²⁾ مسيحي والسَّمُولُ⁽⁹⁵²⁾ موسوي وغيرهما ممَّا تقدَّم أعصرا
 كذلك ابن سهل⁽⁶⁹²⁾ وابن ساعدة الذي ببغدادَ أهدته المنيةُ للثرى

كذا **الصبأى** المشهور من شاع ذكره
 كفاني فخراً أن شعري لم يعب
 ولم يكُ تكرار القوافي نقيصةً
 وما الوردُ إلا الورد ريحاً ومنظراً
 ولم يسلب الحسنة قول ضائرٍ
 تناديه ذات الخال وهي أبيّة⁽³⁰³⁾
 عداني شبيب أي به والأحص وإما
 بأرض لها نجد⁽⁸⁰³⁾ وفيها جأزر
 ولي سمة من صبغة الخال قد سمت
 فلا يحسبني أعجيباً⁽¹¹³⁾ فإن لي
 من العرب مطبوع الفصاحة والندا
 فذا العجب السامي أنا حيث إنني
 ففي حلب والشام رنت⁽³¹³⁾ قصائدي
 فاطرب ذا علمٍ ورنح⁽⁵¹³⁾ صيغماً⁽⁶³¹⁾
 وإني منسوب لال كرامة
 وما كان من ذلك إلا لبيتلي
 فاحسبها سنة يداً⁽⁰²³⁾ قد أراد أن
 ومن فضله أملا ابن خاقان⁽⁸⁹²⁾ دفترا
 بلحنٍ ولا حزنٍ ولم يحو مُمْتراً⁽⁹⁹²⁾
 وكلٌ بمعنى بل سلفاً⁽⁰⁰³⁾ مكرراً
 وإن يكن الرومي⁽¹⁰³⁾ هجى الوردَ وافترى
 صباح جهالٍ عندهُ يحمّدُ السرى⁽²⁰³⁾
 اطرق⁽⁴⁰³⁾ كرى⁽⁵⁰³⁾ إن النعام في القرى⁽⁶⁰³⁾
 رشفت من الآداب شهداً وكوثراً⁽⁷⁰³⁾
 وقد أخصبت بالمجود رنداً وعبهراً⁽⁹⁰³⁾
 وقد سوّدتني⁽⁰¹³⁾ في البلاغة منبراً
 من العلم والآداب قوماً ومعشراً
 وغنى بشعري أهل فضلٍ فأسكرا
 فُطرتُ⁽²¹³⁾ مسيحياً وفضلي قد سرى
 وشعري في روض الكنانة⁽⁴¹³⁾ أزهرأ
 وهزّ أخا عشقٍ وأرقص جؤزرا
 وحاشاهُ أن يأبى⁽⁷¹³⁾ الكرامة مدبراً⁽³¹⁸⁾
 ويعلم ما عندي ويدرك⁽⁹¹³⁾ مخبرأ
 أكون شهيراً في العراق وأذكرا

له الفضلُ من كل الوجوه فجاءهُ
 إذا كوكب⁽²²³⁾ العلمُ الشهيرُ أناني
 من الخيرِ جوّدٌ إن وفي⁽¹²³⁾ أو تعذراً
 مديحاً فكل الميّد في كَبِدِ القَرَا⁽³²³⁾
 هو العالمُ المفضّلُ داوُدُ من سما
 مقامٌ ولا كل شامخِ الدَرَى⁽⁴²³⁾
 وزيرٌ لو الدهرَ يعرفُ قدرَهُ
 لكان له عبداً أبي أن يحرّرا
 وتلقاهُ ما بين الموالى عَضَنُقَرَا⁽⁵²³⁾
 يصدر المعالي بدرُ علمٍ وسوّدِ
 وخوفُ أعاديهِ إذا هزَّ أَسَمَرَا⁽⁶²³⁾
 إذا هزَّ أقلاماً ينبضُ بلاغَةً
 براحتهِ بؤسُ العدو ونعمهُ
 تقبضُ على العافين⁽⁷²³⁾ باليسر والثرا⁽³²⁸⁾
 هو الشمس والعلياءُ تعرفُ قدرَهُ
 وللشمسِ إشراقٌ وان طَفَل⁽⁹²³⁾ عَرَى⁽³³⁰⁾
 همام^{(133)*} إذا صغت الدراري مديحاً
 بأوصافه الغراءُ لكنّ مَقَصراً
 ولكنه يعفو ويقبل عذرَ من
 أراشت⁽²³³⁾ له الأيامُ سَهْمًا فَأَثَرَا

قصيدة من قول المطران جرمانوس فرحات

نصائح وحكم

أماناً لقلب طال فيه اعتناؤه وتباً لعقل زال عنه اتقاده
ورعياً لمرى طن دنياه أنها منكرة والنقص فيها جرأوه
فإن سمحت يوماً بنعمة مفرط فكان كما نسخ الصباح مساؤه
فلا خير في حظ يكون مؤجلاً كتأجيل عمر أن منه انقضاؤه
ذر الدهر لا تحفل به فهو ماكر ولن يخدع الانسان إلا صدأوه⁽³³³⁾
وزحج جرم القلب عن شمس افكها⁽⁴³³⁾ فمركزها أبداً يحول لواءه⁽⁵³³⁾
فلا تعمرك في الدهر داراً فإنها عناء⁽⁶³³⁾ وهل ميت يرجى شفاؤه
كفى تحشد الأموال أن طريقها⁽⁷³³⁾ وتالدها⁽⁸³³⁾ يغدو ويفنى بقاؤه
واصح لما أبدية عقلاً وناظراً واصفح⁽⁸³³⁾ سماعاً لا يضييق وعساؤه
ونط نفثات⁽⁹³³⁾ الدر في جيد حازم وناهيك من در يزين حلاؤه
أخو الحمد مأمون العواقب والأذى ولا غرو إن العفو يعلو ثناؤه
فكن منعماً بالخير مع مرمّل⁽⁰⁴³⁾ أناخ به الدهر الخؤون سخاؤه
فمن كان معوفاً على الدهر إنّه أخو ثقته والحر يزهو بهائه
ومن يك جواداً بكل نفيسة سوي العرض لا يخشى الإله لقاؤه
ومن يك ذا سلمٍ يعيش وهو سالم من الدهر إن الدهر يكدر ماؤه

ومن يكُ ذا عقلٍ رصينٍ فإنه
 ومن يكُ طامحاً⁽¹⁴³⁾ إلى الفحش طرفه
 ومن يختلط بالناس يشمله بؤسهم
 ومن يسر⁽⁴⁴³⁾ الاخوان يلقَ أجلهم
 ومن يخبر الأيام يعتد طبعها
 ومن يأمن الأشرار يوماً فإنه
 وكن طلقاً فالبشر في وجه الفتى
 وتأنَّ في أمرٍ تروم صنيعه
 ولا تغتر بالحظ عنه وردة
 وأبد البشاشة حين تلمح ناظراً
 وُصنُ حرماء الوجه منكَ صيانةً
 ومدَّ لبذل الجودِ كفاً ومعصماً
 فلا البسط مفيته ولا القبضُ جامعُ
 وأنَّ بنى الدنيا تسيل لمؤسِر⁽⁸⁴³⁾
 فسحبانها⁽⁹⁴³⁾ في العسر بأقل عصره
 ولا تنظم الأسرار في غير سلكها
 وإن كان نوع الخلق في الخلق واحداً
 عن البؤس في حصنٍ مكين علاؤه
 يغضُّ على طرفِ أليمٍ قذاؤه
 كما يهلكُ اليعقوبُ⁽²⁴³⁾ يوماً مكاؤه⁽³⁴³⁾
 خووناً وأي الناس بادٍ خفاؤه
 على الغدر مطويماً وهذا ولاؤه⁽⁵⁴³⁾
 يبيت به قلب تشبُّ لظاؤه
 دليل كما قد دلَّ عنه جفاؤه
 وانهج⁽⁶⁴³⁾ طريقاً شَفَّ فيه صفاؤه
 فكم غادرٍ وآنى يهبُ رخواؤه⁽⁷⁴³⁾
 عدوك في وجهٍ يهلُّ ضياؤه
 فلا خيرٍ في وجهٍ يرقرق ماؤه
 وحسبك جود لاح منك ذكاؤه
 لأشتاتهِ والمال شين ثواؤه
 وتعرض عن خلٍّ أذيع شقاؤه
 وبأقلها⁽⁰⁵³⁾ في اليسر طلق رواؤه
 ونطها بشخصٍ جلَّ فيه ذكاؤه
 ولكن ذكيُّ العقلِ عسر لقاؤه

فما كل برقٍ لاح في الغيث هاملٌ⁽¹⁵³⁾ ولا كل ماء راق منه صفاؤه
 فلا تخدشنَ⁽²⁵³⁾ البرّ منك بمطله فكم ماطلٍ قد عيبَ منه نداؤه
 ولا تستشر في الخطب⁽³⁵³⁾ إلا مهذباً خبيراً بما يقضيه قضاء حجاؤه⁽⁴⁵³⁾
 وأرض بنزر⁽⁵⁵³⁾ العيش واقنع ببرضه⁽⁶⁵³⁾ فكم نهمٍ أودت به أمعاؤه
 فلا ترض يا هذا بجهلٍ يحطه أخو الرأي عري قدرٍ رفيع ذراؤه
 ويا عالماً فالعلم يبيغيك عاملاً فبعداً لطرف كان من عماؤه
 وان كنت مظلوماً فربك عادلٌ وإن كنت ظلاماً عليك بلاؤه
 سرورك يا هذا بأناك مقلع⁽⁷⁵³⁾ عن الخطا المذموم منك جناؤه
 فنفسُ الفتى تزهو بتوبة ناصح متى شامها العقل استهلَّ بكاؤه
 ونهنه عنه عبءٍ إثمٍ أقله وقد كادَ يوهيه أسي أقواؤه
 ويا رافلاً⁽⁸⁵³⁾ في طمر⁽⁹⁵³⁾ برد⁽³⁶⁰⁾ شبيبةٍ فطمرك يا هذا يرث بهاؤه
 عساك تعبى في الشبيبة أنعماً تقيقك إذا ما العمرُ حان ذواؤه⁽¹⁶³⁾
 وارفع أعمال الفنى في حياته أمانته ووداده ورجاؤه
 فما عذر شيبٍ لاح في لمّة الفتى أحال ثغامته⁽²⁶³⁾ فملاً قواؤه
 فكن ماسكاً في جبل دين ابن مريم ومذهبه المرفوع يوماً لخواؤه
 واتبع لما أنشأه أنصاره⁽³⁶³⁾ وما أيّته⁽⁴⁶³⁾ نصوه لا أعداؤه
 مقراً بأربعة المجامع أنها محققةً والحقُّ هم شهداؤه

وثامنها المنبتُّ في الأرض خَيْرُهُ⁽⁵⁶³⁾ فسقيا لمراء كان فيه اعتناؤُهُ
أصاحٍ وخلي هناك مني نصيحةٌ مهذبَةٌ والنصح يعلو علاؤُهُ
فما ضرَّها والإثم غل ربها إذا لن يعيب الدرُّ يوماً وعلاؤُهُ

قصيدة من قول الخوaja فرنسيس مرّاش

خير الأوائل ما تزهو أواخره وأشرف الناس من تصفو ضمائره
لا فخرة للفتى إذ قيل كان له ما بهجة الروض إن غابت نواضره
من يفتخر فيما يحتويه من حسنٍ وفخرة الغمد عند الفتكِ باتره^(٦٦٣)
لا يعرف الشيء إلا بعد خبرته ولا يدل على الانسان ظاهره
ألفتُ خلّاً وفيّاً خلته فعدا بعد امتحانٍ أليّف الحق ناكره
كم من عدوٍ صديقاً كانت منتخباً فابعد عن الناس واحذر من تعاسره
غاص بالوفاء في عهدٍ ولا ذممٌ عند اللئيم ولا ودٌ يجاوره
يسعى الفتى طالباً جمع الثراء^(٦٦٣) له وللثرى والبلى بالموت آخره
ذو المال يفنى ولا يبقى له أثرٌ لكن أخو العلم لا تفنى مآثره
كم تاجرٍ عمّت الدنيا تجارته ثم استحالت إلى فقرٍ متاجرته
ذو العقل والعلم لا يزهو له عملٌ لولا للمجهول ولا تبدو بواهره
والبدرُ لولا اعتكار الليل ما ظهرت أنوارهُ لا ولا ضاءت زواهره
نحن بنوا الدهر لكن خبزه حجرٌ لنا فبئس أبٌ غاضت نواظره
ما مرَّ يومٌ به الإنسان ذمٌ أسى إلا وبأتيه يومٌ فيه شاكره
إن لم يخنك زمانٌ كن على حذرٍ والليث يحذر ما دامت أظافره
ما كنتُ أحسب أن الدهر يفجعني حتى على مهجتي سلت بواتره

الناس للناس في عسرٍ وفي يُسرٍ والدهر ما بينهم دارت دوائره
وربَّ غميرٍ⁽⁸⁶³⁾ جهولٍ ظن أنه لا يحتاج للغير إن الله قاهره
كلُّ لمن دونه يحتاج من قدم ولو مليكاً علت فيه منابره
ما حيلة الملك المرهوب جانبه عند القتال إذا خانت عساكره
لولا الأساس الذي في الترب مركزه ما شيد قصرٌ ولا قامت قناطره
يا قاتل الله دهرًا مزجه نكدٌ فيه الأصغر واغمي أكابره
يا من يعيرني بالعلم وا عجبى! زدني لك الله شيئاً أنت خاسره
يا نفس يا نفس ما طيب الشيبية في هذا الزمان الذي شابت غدائره
سحت مصائبه شحت أطائبه⁽⁹⁶³⁾ ماتت أكابره عاشت فواجره

قصيدة أبو الحسن بن هلال البغدادي

يصف صناعة الخط وموادها

يا من يريد اجادة التحرير ويرومُ حسنَ الخطِّ والتصويرِ
إن كان عزمك في الكتابة صادقاً فارغب إلى مولك في التيسيرِ
أعدد من الأقلام كلَّ مثقفٍ صلبٍ يصوغ صناعةً التحبيرِ
وإذا عمدت لبريه فتوخه عند القياس بأوسط التقديرِ
انظر إلى طرفيه فاجعل بريهُ من جانب التدقيق والتخضيرِ
واجعل لجلفته^(٧٣) قواماً عادلاً خلوا عن التطويل والتقصيرِ
والشق وسُّطه ليبقى بريهُ من جانبيه مشاكل التقديرِ
حتى إذا اتقنت ذلك كلهُ فالقطُّ فيه جملة التدبيرِ
لا تطمعن في أن أبوح بسرِّه إني أضن بسرِّه المستورِ
لكن جملة ما أقول بأنه ما بين تحريف إلى تدويرِ
وألقي دواتك بالدخان مدبراً بالخل أو بالحصرم المعصورِ
وأضف إليه مغرة قد صولت مع أصفر الزرنيخ والكافورِ
حتى إذا ما خمرت فاعمد إلى الـ ورق النقي الناعم المخبورِ
فاكبسه بعد القطع بالمعصار كي ينأى عن التشعث^(٧٣) والتغييرِ
ثم اجعل التمثيل دأبك صابراً أدرك المأمول مثل صبورِ

ابدأ به في اللوح منتظياً له
لا تخجلن من الردى تختطه
فالأمر يصعب ثم يرجع هيناً
حتى إذا أدركت ما أملتة
فاشكر إلهك واتبع رضوانه
وارغب لكفك أن تخط بنانها^(١٧٣)
عزماً تجرده عن التشمير
في أول التمثيل والتسطير
ولرب سهل جاء بعد عسير
أضحيت رب مسرة وحبور
إن الإله يجيب كل شكور
خيراً تخلفه بدار غرور
عند الشقاء كتابة المنشور
فجميع فعل المرء يلقاه غداً

زهريّة مقرئ الوحش

الغيم يبكي في السماء ويهتدي بمدامعي تنهل⁽⁷⁷³⁾ من قطر الندى
 والزهر يبسم في الرياض كائهُ بسطُ زهت ألوانها كزبرجد^(٤73)
 أتنهّم ذو العرش جلّ جلالهُ سبحانه من واحدٍ متفرّد
 وكذا تكونُ الشمسُ عندَ طلوعها يضحى الضياء بحمرّةٍ وتوقد
 بمفضّضٍ ومذهبٍ ومطرزٍ وجوهرٍ ومعقبِر^(٥73) ومورّد
 والأسُ بين شقايق^(٦73) وحدايقٍ والغصنُ بين موشحٍ ومقلّد
 والطيرُ بين تسبّحٍ وتقديسٍ وتهلّلٍ وتشكّرٍ وتمجّدٍ
 والماء بين تدفقٍ وترقرقٍ وتفندٍ وتسلسلٍ وتجعّدٍ
 والدوح⁽⁷⁷³⁾ يرقص والنسيمُ مشبّب^(87٦) والنهرُ بين تصعّق⁽⁹⁷³⁾ وتفندٍ
 والوردُ يحيى بالغصون مجامراً نارٌ على ماء الحيا لم تخمد
 والياسمين مفتحاً ومغلّقاً يحيى بخفته عقول الحُسد
 وكذلك النسرين أصبح باسماً في ثغره تبر^(٠83) برائحة ندى
 والأقحوان بسيفه وبترسه لاح يزهو كالحسام^(١83) الأجرد
 والنشقيّ زهرٌ للبنفسج أزرقٌ وبدا الشقيق يشقّ ثوبَ موقدٍ
 والزجسُ العطشان أصبح مائلاً شبه الحزين مفارقاً لم يهتد
 والرند والسوسان مع ريحانها ما بينهما شيء يعاب من الردى

والرروض جامعُ والأزاهر بسطُهُ
والطيرُ بالخطب⁽²⁸³⁾ والغصون منابرُ
وقنادلُ الأطنج لاحت في الغدِ
والعرق أضحى راكعاً بتهجدِ^(٣83)
صاحِ الهزار⁽⁴⁸³⁾ مسبحاً ممجداً
ومقدساً يشدو^(٥83) بصوتِ مغردِ
من بعد هذا قد رأيتُ عجائباً
والصبحُ يطردُ الظلامِ الأسودِ
هذا صنيعُ الله جلّ جلاله
قد أتقن الأشياء حتى نهتدي

وقلت متذكراً لبنان ومعرضاً

بمدح الخوري يوسف الدبس وأرسلتها إليه في حلب

موشح من قول جامعها

كلما هبت صبا دمعي وهمي وبجوفي الشوق صرْمٌ⁽⁶⁸³⁾ القَبَسِ

فأعجبوا ضدانٍ في جسمي وما كان إلا من فراقِ المونسِ

دور

يا رُبِّي لبنان يا روضاً خصيب صَحَّتْكَ المزنُ⁽⁷⁸³⁾ فاخضَلَّ الغصونُ

حبذا الشحورور في أعلا القضيبي في مناغاتٍ بأنواعِ الفنونُ

فأنا الصبُّ الذي فيك كئيبٌ جارياً من جفنِ عينيه عيونُ

هاجماً شوقاً وعوداً كلما ثوبٌ تُربِ⁽⁸³⁾ الحي في زهرِ كُسي

أم ضاء نبراسٍ⁽⁹⁸³⁾ في ذاك الحمى وزهى أفاقِ العلا بالحُنسِ⁽⁹³⁾

دور

يا له من مريعٍ يحيي النفوس حيث رعد العيش والدينُ القويمُ

رسومُ الجمل قد باتت دروس وجري كل إلى العلمِ يهيمُ

واجتَلت فيك علومُ كالعروس بمعانٍ تبرئ القلبَ السقيمُ

تتهاديهَا عقولٌ مثلما تتهادى وحي روحِ القدسِ

إنما الانسان بالعلم سما لا بمالٍ وافتخارِ الملبسِ

دور

غربتي طالت وأضناني البعاد آه وأشريقي إلى رؤيا الوطن
بنث⁽¹⁹³⁾ عن أهلي وخليّ والبلاد فكساني الدهر أثواب المَحْنِ
خالقي أرجوك في نيل المراد يا وليّ النصر وهَّاب المَتْنِ
منك كوني وإليك المنتما فأرحني يا مريح الأنفِسِ
وأعطني من جود فضلٍ أنعما كي أرى يوسفَ باهي السُنْدِسِ

دور

إن دهري طبعه نكثُ العهودُ والحنّا صدقُ له ما قطّ مانُ⁽¹⁹³⁾
قد بلاني في نوى خلّ ودودُ بعدما كنا بهاتيك الجنانُ
كالثريا في اجتماعٍ وسعودُ فافترقنا آه من جور الزمانُ
هل لراجي ألفةٌ من بعدما ها ظلامُ الهجر مثل الحندسِ⁽¹⁹³⁾
وحبيبي يا ترى يروي ظمًا⁽¹⁹³⁾ قلبٍ صبّ حائرٍ ذي هجسِ

دور

يا شقيق الروح أمننُ بالجواب وأفدنا من هداكم للجفا
فلذيد النظم⁽⁵⁹³⁾ عندي مُستطاب كيف أن أهدى لنا من يوسنا
لا تقولوا قد أطلنا بالعتاب حيث بعد الصد جفني ما غفا
فارحموا صبًّا علينا هاها قد صماه النبْلُ من غير قسى⁽¹⁹³⁾

إِنَّمَا الطَّوْسُ لَجْرَحِي مَرَهْمَا وَلِذَا رَاجِي الشَّقَا لَمْ أَيْسِرِ

دور

شَخْصِكُمْ مَا بَيْنَ أَرْبَابِ الْكَمَالِ بِالْبَهَا وَالْفَضْلِ حَقًّا أَلْمَعَا

قَالَ بَعْضُ كَوَكَبِ بَعْضِ هَلَالِ ضَوْؤُهُ مِنْ عَيْنِ وَرَقَا طَلْعَا

لَوْذَعِي⁽⁷⁹³⁾ نَاحٍ صَرَفَ الْاِعْتِلَالِ فَيْلَسُوفٌ شَاعِرٌ قَدْ وَلِعَا

مَنْ صَبَاهُ فِي كِنُوزِ الْعِلْمَا تَائِقًا طُرُقَ التَّقَاةِ الْحَنْسِي^(٨93)

لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ عِلْمٍ مَغْرَمَا لَا يِنَالُ الْعِلْمُ مِنْ لَمْ يَدْرِسِ

دور

مُذْغَدَتْ بِاسْمَةٍ رَوْضُ الزُّهُورِ رَمْتُ مَدْحًا فَيْكَ قَدْ أُوتِي يَسِيرُ

تَلْمَنِي عَنْ مَقَالِي وَالْقُصُورِ يَا وَدِيعَ الذَّاتِ ذَا الْعِلْمِ الشَّهِيرُ

فَسَحَابُ الْغَيْثِ مَنْشَأُهَا الْبُحُورِ ثَمَّ يُهْدَى الْبَحْرُ أَمْوَاهُ الْغَدِيرِ

هَآكِ ثَوْبَ الْمَدْحِ يَا بَحْرًا طَمَا أَمَلِي يَحْظِي بِسِ بَابِهِي مَجْلِسِ

فَكَسَاكَ اللَّهُ ثَوْبًا نُظْمَا مِنْ لَالِي الْفَخْرِ نَسَجِ الْأَطْلَسِ

جواب الخوري يوسف الدبس عليه

رَقِّ لِلخَلِ الوَفِيِّ يا مُؤنَسُ قد غدا مذ فرقةٍ لا ينعسُ

دور

أعبيرٌ أم خزامٌ بالسطور ما الذي أوجب أنعاش الصدور
فأراها قد حوت نبع السرور وتظنت⁽⁹⁹³⁾ حقها^(٤٠٠) أزهى الزهور
ذا أريج النظم من ظبي نفور فبلاغُ الحبِّ يزري بالعطور
فيه ابراءُ الضنا أجد الجبور بل أراهُ قد حكى⁽¹⁰⁴⁾ صوتَ المنشور
فلذا قد ظلت فيه أدرسُ وهو عندي مثل فرضي أقدسُ

دور

قد سلاني⁽²⁰⁴⁾ مُذ سلاني^(٠٣4) حُبُّه وأنى يشكو سلوي للوداد
فليدني إن سلوت ربُّه كيف ينسى المرء ما على الفؤاد
إنما قلبي بحبي دأبه دأبُّ موصولٍ وإن طال البعاد
مثل مغناطيس حُبِّ جذبُه عشقي المحبوب مع مضي السهاد
وشمالُ قرَّ فيه الأنفُسُ فأرت لي وأرفق به يا مؤنسُ

دور

لو سألت القلبَ لم تبد العتابِ إنَّ قلبَ المرء أقوى شاهدِ
سائلِ الأرياح هل يأبي الجوابِ كيف يدعي مغمماً بالزاهدِ

فاعذروني باغتيالٍ للكتاب فإننا مُذ فرقةٍ كالراصد
أو بنأى الروح معكم والصواب فتراني دون عقلي الشارد
ولك الشكرات إذ لا تأيسُ وأنا ما زلتُ عهدي احرسُ

دور

إنما عشقي لأصحاب الكمال قد زهدتُ كلما خصَّ الجمالُ
بنس جعدٍ^(٤٠٤) ثم كحلٍ ودلالٍ فغرامي بالسجايا والخصال
فهو فردٌ جامعٌ أبي الخلال عالم مستحکم سامي الفعالُ
ولطيفٌ فاضلٌ سهلُ المنال ليس للأتراح معه من مجالُ
ووجيزُ الوصف فيه اقبسُ ولساني عن بيانٍ أخرسُ

دور

قد بلوتم صبَّكم دون الحرج^(٤٠٤) فمتى تجدي علينا باللقا
إذ نأيتم ونأي عني الفرج طالما عاينتُ تعذيبَ الشقا
حَلَبٌ قد حجبت عنا فَرَج ساعة من بعده طول البقا
بثُّ أهديه سلاماً بالأرج^(٤٠٤) وبلقياهُ لسعدي ارتقا
وأدم العمر فيه أهدسُ وله قلبي كوقفٍ أحبسُ

قصيدة أجاب بها جامعها

وأنت ربوعي عقائد العقيان^(٧٠٤) مسبوكة من أحسن الأذهان
 نِعَمَ الخرائد^(٨٠٤) قد أتت ببشارةٍ عن سلْمٍ ودِّ ذات كل معاني
 درُّ معانيها مرصعةٌ كما يترصعُ الياقوت في التيجانِ
 فياض كاغدها^(٩٠٤) ومسكُ مداها^(١٠٤) صُبْحٌ وليلٌ كيف مُتفقانِ
 في حسنها تحكي الجمالَ اليوسفي ونحوهُ جسمي ولطفها سيانِ^(١١٤)
 بانث فبان^(٢١٤) الهمُّ عني نائياً لو لم تَبَنَ لُزاق فيَّ جناني
 حلَّت^(٣١٤) فحلَّى مرَّ عيشي لطفها حيث فأحيَتْ قلبَ صبِّ فيني
 لبست بديع الفنِّ ثوباً فاخراً وتمنطقت بفصاحةٍ وبيانِ
 قرَّت بها عيني وسرت خاطري وتلوتها فانحلَّ عقدُ لساني
 من نشر طيبتها طيوبُ أعبقت من نشر طيبتها طيوبُ أعبقت
 شرعت تناجيني على حفظ الولا^(٤١٤) شرعتُ أسالها عن الاخوانِ
 مما روتني فارتوي مني الحشا وطفت برؤياها ظما ظمآنِ
 يكفي مديحُ نظامها بأنها من نظم يوسف فخرة الاقرانِ
 من قد غدا في كل فنٍ مفرداً في العصر لا تلقى له من ثاني
 قد قلت ما له شبيههُ صادقٌ والفعل يغنيني عن البرهانِ
 لغات أهل الغرب منه أعربت اعجامها في أوضح التبيانِ

فتى تراه منظراً لكنه
فطن أريب في البلاغة أنسى
فرد إذا ما رمث وصف صفاته
سل عنه أرباب النهى مستفهماً
مه يا عدولي أن لومك كاذب
ما بين سمعي والملامة مثلما
لولا الجهالة في الهوى ما لمتني
إذا تمكن قلب مرء في الهوى
ناهيك فعل الحب فينا سالم
ما زال يزهو بيننا تفضيله
هل عاد تأثير الحرف الجزم
فالصبر^(V14) أحلى في هواكم سادتي
جسمي بالشهباء مثواه بلا
رفقاً به هيهات يبقى سالم
رعى وضيقاً لم تزالوا بمهجتي
إني على الحالين دأبي حُبكم
أوتاد⁽⁰²⁴⁾ حبي في الهوى مقرونة

ذو فطنة فاقت جحى⁽⁵¹⁴⁾ لقمان
نيم أديب بل رفيع الشأن
فتكل عن ارقاشهن بني⁽¹⁶⁴⁾
سل عنه أصحاب التقى يكفاني
ذا اللوم شيمة الحسود الشاني
بين السرور وشدة الاحزان
دعني بربك ليس شانك شاني
يزداد صباً في مدى الهجران
منذ الصبا عاري عن النقصان
خالي عيوب النقص والألوان
في هذه المودة في مدي الأزمان
من لذة السلوان⁽⁸¹⁴⁾ بالسلوان
قلب فإن القلب في الديمان
في بحر أخطار الهوى خلاني
وأبيك خط الاستوا⁽⁹¹⁴⁾ أوطاني
حرّاً وبرداً في نوي وتداني
قبض خبئ لم يعب أوزاني

بل دائماً أهدي سلامي كلما هبَّت نسيماً من دُرى لبنانِ
أم ناغت الأبحارُ في دوح الربى وزهت زهورُ البانِ في الأفنانِ⁽¹²⁴⁾

قصيدة أخرى من قول جامعها

مادحاً سيادة المطران يوحنا الحاج

ومؤرخاً ترقيه على كرسي أبرشية بعلبك

ترأى السعدُ في برج الرشادِ وأحى بالمني مُهجاً صوادي^(٢٢٤)
وقام الشكر في الدنيا خطيباً بصوت الحمد والبُشرى تنادي
بأنَّ الله قد صلح البرايا بهادٍ مرشدٍ سُبلِ السدادِ
وقال البر^(٣٢٤) في العلياء قدراً وخابَ سواهُ من نيل المرادِ
لعمرك لا تقل عسراً ويسراً ولا أمرٌ لدهرٍ والنوادي^(٤٢٤)
فإن الله يعطي من يشاء ويعلي قدراً لو ضمن وادي
كما أعلى ابنَ يعقوبٍ بمصرٍ فيوحنا اعتلى رأسَ العبادِ
حكيمٌ بارعٌ فيه تباغت أسانيدُ القضا في كل نادي^(٥٢٤)
أثير^(٦٢٤) حازم^(٤٢٧) محيي آدابٍ براها الوقت في قبح الفسادِ
فريدةٌ في الملا خُلقاً وخلقاً^(٨٢٤) مضوا في العصر أم فيه غوادي
فصيحٌ مفلقٌ في الوعظ حقاً يلينُ لوعظه قلبَ الجمادِ
دعاهُ راعياً راعي الرعايا فأضحى للرعية خير هادي
فطينٌ عادلاً في كل أمرٍ غدا فيه لسانُ الحبالِ شادي
فكن **متهنياً** في رفعِ قدرٍ ولا تصخَّ إلى قول الأعادي

ودم في سبق غايات المعالي أيا من لطفكم بهج الفؤادِ
لساني في قصور عن ثناكم كذا القرطاسُ مع مسكِ المدادِ
وما أهديه فضلٌ من نداكم فما فضلي به غير الودادِ
أهلي كسرواناً في علاكم ومعه كل مشتاقٍ وصادي
إليكم قلت والتاريخُ سارٍ دَلَبْتَا قد قامت في البلادِ

سنة ١١٨٦١

فصل أول: في عدم ادراك قدرة الله

قال بعضهم

تبارك الله في علية عزته فكلُّ كلُّ لسان عن تعالیه
لا كونَ يحصره لا عينَ تنظره لا كشفَ يظهره لا جهرَ يديه
حارت جميع الوری في كُنه⁽³²⁴⁾ قدرته فليس يدرك معنى من معانيه
سبحانه وتعالى في جلالته وجلَّ عزاً ولطفاً في تسامیه

وقال الامام علي

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار بالقدم
هو الذي أنشا الأشياء مبتعداً فكيف يدركه مستحدث النسم

وقال عمر بن الوردی

صدق الشرع ولا تركن إلى رجلٍ يرصد في الليل زحل
حارت الأفكارُ في قدرة من قد هدانا سُبُلَهُ عزَّ وجلَّ

وقال الخوري نيقولا الصايغ

مولی عطایاه سمت فوق العلا وهمت فلم بَسَمَت ثغورُ بواي
هوت المدارك عن معارج⁽⁰³⁴⁾ فهمها وتباعدت عن رتبة الادراك

فصل ثانى: في تقوى الله

قال المطران جرمانوس فرحات

محبةُ اللهِ رُوحُ النفسِ تنعشها فينا ولكن لها رُوحٌ بها الرضى
فالمجسم من غير رُوحٍ ميت وكذا محبةُ اللهِ لا تحى به تقوى

وقال عمر بن الوردى

فاتق اللهَ فتقوى اللهِ ما جاورت قلبَ امرءٍ إلا وصلُ
ليس من يقطعُ طرقاً بطلاً إمّا من يتقى اللهَ البطلُ

وقال أبو العتاهية

ألا إمّا التقوى هي العزّ والكرم وحبك للدينا هو الذل والسقمُ
وليس على عبدٍ تقىٍ نقيصةً إذا صحّ التقوى وإن حاك أو جحمُ

وقال بعضهم

عدوك بالتقى والعلمِ فاقهرُ فأنت بذا وذاك عليه تقوى
فما قرنَ الفتى شيئاً بشيء كمثلِ العلمِ يقرنه بتقوى

وقال أبو الفتح البستي

فأشدد يديك بحبل الله مُعتصماً فإنه الركن إن خانتك أركانُ
من يتقى الله يُحمّد في عواقبه ويكفيه شرٌّ من عزوا ومن هانوا

وقال بعضهم

من كان يرغب أن يسودَ عشيرةً فعليه بالتقوى ولين الجانبِ
ويكفَّ طرفاً عن مُسيئته مَنْ أسأ منهم ويحلم عند جهلِ الصاحبِ

وقال الشيخ مرعي الحنفي

أيهما الغارقُ في لذاتهٍ دعك تفعل كل قبحٍ وحسنٍ
كل هذا عن قريبٍ ينقضي ثمُ من هذا السَّوسَنُ
ثم تدري أن ما كنت بهِ من غرورٍ محضٍ سوءٍ ومَحَنُ
لا تتقوى الله شيء فاعلمنَّ إن من يُعرضُ عنها مُمتَهَنُ

وقال بعضهم

ولستُ أرى السعادةَ جمعُ مالٍ ولكنَّ التقِي هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد حقاً وعند الله تلقى ما تريدُ

فصل ثالث: في التسليم والتوكل

قال بعضهم

هوّن عليك وكن بزبك واثقاً فاحو التوكل شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه في رزقه لما تيقن أنه مضمون

وقال بعضهم

توكل على الرحمان تحظ برنده وكن واثقاً منه برفدك بالفعل
وسلم إلى مولاك أمرك إنه سيكفيك أسباب الكريهة والنقل

غيره

كن عن همومك معرضاً وكل الأمور إلى القضا
وابشر بالخير عاجل تنسى به ما قد مَضَى
فلرب أمرٍ مُسَخِطٍ لك في عواقبه رضى
الله يفعل ما يشا فلا تكن متعرضاً

وقال بعضهم

وما تمّ إلا الله في كل حالة فلا تتكل يوماً على غير لطفه
فكم حالة تأتي ويكرهها الفتى وخيرته فيها على رغم أنفه

وقال الشيخ شهاب

توكل على الرحمان في الأمر كله فما خابَ حقاً من عليه توكلًا
وكن واثقاً بالله واصبر لحكمه تفرز بالذي ترجوه من تفضلاً

وقال آخر

سلم أمورك للتحكيم العالم وأح فؤادك من جميع العالم
واعلم بأن الأمر ليس كما تشا بل ما يشاه الله أحكم حاكم

فصل رابع: في العقل والعلم

قال بعضهم

يُعدُّ عزيزُ القومِ من كان عاقلاً وإن لم يكن في قومه بحسيبٍ
إذا حلَّ أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقلٌ في بلدهِ بغريبٍ

وقال آخر

العلم في الصدر مثلُ الشمس في الفلكِ والعقلُ للمرءِ مثل التاجِ للملكِ
فأشدد يديك بجبل العلمِ معتصماً فالعلم للمرءِ مثل الماءِ للسمكِ

وقال آخر

إن لم يكن للمرءِ عقلٌ فإنه وإن كانت ذا بيتٍ على الناس هينُ
ومن كان ذا عقلٍ أجَلَ لعقله وأفضل عقلٍ من يتديّنُ

غيره

كن عالماً وأرض بصفِّ القعالِ ولا تكن صدرأً بغير الكمالِ
فإن تصدرت به بلا آلهٍ صيرت ذاك الصدرِ صفِّ الفعالِ

وقال أبو الفتح البستي

إذا لم يزد علمُ الفتى قلبه هديً وسيرتهُ عدلاً وأخلاقه حسناً
فبشره إن الله أوله فتنةً تغشيه حرماناً وتوسعه حزناً

تغشيه حرماناً وتوسعه حزناً

تعلم إذا ما كنت لست بعالمٍ فما العلمُ إلا عند أهلِ التعلُّمِ
تعلم فإنَّ العلمَ أزيّن للفتى من الحلة الحسناء عند التكلّمِ

وقال المطران جرمانوس فرحات

فالعلم كالحقٍ موجودين من أزلٍ والجهلُ كالإثمِ موصوفين من قدم
من يعدم العلمَ يظلم عقله أبداً تراه أشبه بالحيوانِ والنعمِ
كم من نفوسٍ غدت لله مخلصَةً بالعلمِ في صفحة القرطاسِ والقلمِ
والعقلُ شمسٌ ونور العلمِ منبثقٌ منها ومنها ثمار الفضل فافتهم

وقال بعضهم

ما تطعمتُ لذة العيش حتى صرتُ للبيتِ والكتابِ جليساً
تيس عندي شيء أجلّ من العلمِ ولا ابتغي سواه أنيساً
إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش كريماً رئيساً

قال الإمام علي

لو كان هذا العلمُ يتصل بالمنى ما كان يبقى في البرية جاهلاً
اجهد ولا تكسل ولا تكُ جاهلاً فندامة العقبي لمن يتكاسلُ

وقال أيضاً

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علمٌ وللجهال مالٌ

فإن المال يفنى عن قريبٍ وإن العلم ليس له زوالٌ

وله أيضاً

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على انهدي لمن استهدى أدلاءً
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
فلم يعلم ولا تبغ به بدلاً فالناس موتى وأهل العلم أحياءُ

وله

ليس الجمالُ بأثواب يُزَيَّنُها إنَّ الجمالَ جمالُ العلم والأدبِ
ليس اليتيمُ الذي قد مات والده بل اليتيمُ يتيمُ العلم والحسبِ

وقال أيضاً

العلمُ زينٌ فكن بالعلمِ مكتسبياً وكن له طالباً ما عشتَ مقتبساً
أركن إليه وثق بالله واغنِ به وكن حليماً رزينَ العقلِ محترساً
وكن فتىً ماسكاً محض النقي ورعاً للدين مغتمناً للعلم مفترساً
فمن تخلف بالآداب ظل بها رئيس قومٍ إذا ما خالف الرؤسا
واعلم هُديتَ بأنَّ العلمَ خيرٌ صفاً أضحى لطالبه من فضله سلساً

وقال بعضهم

لا تدخر غير العلو م فإنها خير الذخائرُ

فالمراء لوربح البقا مع الجهالة كان خاسر

وقال أبو الأسود الدئلي

العلم زينٌ وتشريفٌ لصاحبه فأطلب هُديتَ فنونَ العلمِ والأدبا
كم سيدٍ بطلٍ أبأؤه نخب كانوا الروس فأمسى بعدهم ذنبا
ومُقْرِفٍ خامِلِ الآباءِ ذي أدبٍ نالَ المعالي والآدابِ والرُتبا
لِلْعِلْمِ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لا تَعادِلُه نِعَمَ القَرِينِ إذا ما عاقلَ صحبا
قَدْ يَجْمَعُ المَرْءُ مالاَ تُمَّ يَلْبَسُه عَمَّا قَلِيلٍ فيَلْقَى الذلَّ والحَرْبا
وَجامِعِ العِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أبدأً فلا يُحاذِرُ مِنْهُ الفوتُ والسَلبا
يا جامِعِ العِلْمِ نِعَمَ الذخرِ تجمعه لا تعدلنَ بِهِ درأً ولا ذَهبا

وقال آخر

العلم زين بالعمْلُ لا بانتباهي والأملُ
فمن أتى في علمه بالقول والفعالِ اكتملُ
ومن عن الفعلِ أبي كان بعيراً أو جملُ
يحملُ أسفاراً ولم يدْرِ بِمعنى ما حملُ
وقد جاء في تعريب الجالستا تحريضاً على العلمِ
تلقُّ بإذنِ القلبِ أقوالِ عالمٍ وإن لم يكن في العلمِ بالقولِ عاملاً
ولا تستمع للمدعي لهو باطلُ فكل غفولٍ ليس يوقظُ غافلاً

ألا كل من حفظ النصيحةَ أينما رآها ولو فوق الجدار تعقلاً
ومنه في تفضيل العلم على ما سواه
أو خُصَّ رزق يالئبيهِ العالمِ لضاعَت الجهال كالبهائم
سبحان من يزيد رزق الجاهلِ ويجعلُ العرفانَ رزقَ الفاضلِ

وقال ابراهيم المهرواني

النحو يصلح من لسان الألكنِ والمرءُ تكرمهُ به إذا لم يلحنِ
وإذا طلبت من العلوم أجلاًها فأجلها منها مقيمُ الألسنِ

وقال الشافعي

أخي لا تنال العلمَ إلا بستةٍ سأنبيك عن تفصيلها بيانِ
ذكاءٍ وحرصٍ واجتهادٍ وبلغةٍ وصحبةُ أستاذٍ وطولِ زمانِ

وقال آخر في تكريم أستاذه

أقدمُ أستاذي على فضل والدي وإن نالني من والدي العزُّ والشرفُ
فهذا مربي الروح والروحُ جوهرٌ وذاك مربي الجسمَ والجسمُ من صدقُ

وغيره قال مبيكتاً علماء أهل عصره

إني رأيت الناس في عصرنا لا يطلبون العلمَ للعلمِ
إلا مباحاةً لأصحابه وعدةً للغش والظلمِ

وقال المطران جرمانوس رحمه الله

رأيتُ العلم في الدنيا سيِّداً وغيري قال دون غني شفيُّ
كلانا كاذبٌ فيا نراهُ وأصدقنا به رجلٌ تقِي
أرى للشمسِ في الآفاقِ نوراً ويحجبهُ⁽¹³⁴⁾ غمامٌ فاخْتِي^(٤٣٢)

وقلت من مطلع قصيدة

بالعلم والعقل لا بالمالِ والذهبِ يزداد رفع الفتى قدراً بلا طلبِ
فالعلم طوق النهى⁽³³⁴⁾ يزهبه شرفاً ويخفض الجهل أشرافاً بلا أدبِ
العلم كنز فلا تفنى ذخائرهُ والمرء ما زاد علماً زاد بالرتبِ
فالعلم فاطلب يجديك جوهرةُ كالقوت للجسم لا تطلب غنى الذهبِ
المال يفنى مع الأيام إن قلبت لكن ذا يصحبُ الإنسانَ للتربِ
اغتنم جنى ثمرةٍ تحظُّ بنيل مُنى وتعلُّ بالقدرِ فوقَ السبعةِ أشهبِ

فصل خامس: في الأدب

من ديوان الجالستان

من لم ير التأديب في صغر الصبا شمع الفلاخ عليه في وقت الكبر
رطب الغصون كما اشتهت عطفته وبيسة أن يستقم فعلى سقر^(٤٣٤)

ومنه أيضاً

جاد المليك بابنه للمكتب ولوحه الفضة فوق العجب
قد خط عند رأسه بالذهب جور معلّم ولا رفق الأب

وقال الامام علي

حرص ونيك على الآداب في الصغر كما تقربهم عينك في الكبر
فإنما مثل الآداب تجمعها في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادث العبر
ان الأديب إذا زلت به قدم يهوي على فرش الديباج والسرر
الناس صنفان ذو علم ومستمع واع وسائرهم كاللغو^(٥٣٤) والعكر

وقال عبد الملك بن صالح

في الناس قوم أضعوا مجداً أولهم ما في المكارم والتقوى لهم أرب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهم وقد يزين صحيح المنصب الأدب

وقال بعضهم

من لم يكن عقله مؤدبه لم يغنه واعظ عن النسب
كم من وضع الأصول في أمم قد سودوه^(٦٣٤) بالعقل والأدب

وقال الإمام علي أيضاً

كُن ابن من شئت واكسب أدباً يغنيك محمودُهُ عن النسبِ
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقولُ كان أبي

وقال آخر

قد ينفعُ الأدبُ الأطفال في صغرٍ وليس ينفعهم بعد الكبر أدبُ
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلينُ ولو قومتها الخشبُ

قال البريدي

ليس الفتى كل الفتى إلا الفتى في أدبه
وبعض أخلاق الفتى أولى به من نسبه

وقال بعضهم

لا تأيسنَّ إذا ما كنت ذا أدبٍ على خمورك إن ترقى إلى الفلكِ
فبينما الذهبُ الأبريز خلطُ بالترب إذ صار اكليلاً على الملكِ

أيضا لبعضهم

السبعُ سبعٌ ولو كلت مخالبهُ والكلبُ كلبٌ ولو بين السباعِ رُبِي
وهكذا الذهبُ الأبريز خالطهُ صفرُ النحاسِ وكان الفضلُ للذبي
لا تنظرنَّ لأثوابٍ على أحدٍ إن رمتَ تعرفهُ فانظرِ إلى الأدبِ

فالعود لو لم تفتح منه روايحهُ لم يفرقِ الناس بين العودِ والحطبِ

وقال آخر

فليس يسودُّ المرء إلا بنفسهِ وإن عدَّ آباءً كراماً ذوي حسبٍ

وإذا العودُ لم يثمر ولو كان من المثمرات اعتدهُ الناسُ من
شُعبهً^(٨٣٤) حطبٍ

وقال أديب مفتخراً بهمتهِ وأدبهِ

ما لي همتي وعقلي حسبِي ما أنا مولى ولا أنا عربي

إذا انتمى^(٨٣٤) منتمٍ إلى أحدٍ فإنني منتمٍ إلى أدبي

فصل سادس: في بعض ما يبديه الجهال ضد العلم والأدب وتفضيلهم المال عليهما

قال بعضهم

حيرةٌ بلا مالٍ حيوةٌ ذميمةٌ وعلمٌ بلا جاهٍ كلامٌ مضيّعٌ
ينالُ الفتى من عيشه وهو جاهلٌ ويكدى⁽⁹³⁴⁾ الفتى في دهره وهو عامٌ

وقال آخر

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي فِي كَيْسِهِ لَرَأَيْتَهُ شَرَّ الْبَرِيَّةِ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ كَاذِبًا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُحَالًا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ كَلِمَةً قَالُوا كَذَبْتَ وَكَذَّبُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَلَالًا
فَهِيَ الْعُلُومُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السَّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالًا

وقال آخر

وَمَا رَأَيْتُ الدَّهْرَ دَهْرَ الْجَاهِلِ وَلَمْ أَرَ الْمَغْبُونَ⁽⁰⁴⁴⁾ غَيْرَ الْعَاقِلِ
فَشَرِبْتُ خَمْرًا مِنْ خُمُورِ بَابِلٍ فَصُرْتُ مِنْ عَقْلِي عَلَى مَرَاكِيلِ

غيره

المال يستر كل عيبٍ في الفتى والمال يرفع كل نذلٍ ساقطٍ
فعليك بالأموال واقصد جمعها وأضرب بكتب العلم عرض الحائطِ

قال خليل بن أحمد البصري

ما ازددتُ في أدبي حرفاً أسرَّ بهِ إلا تزايدتُ حرفاً تحتهُ سوْمُ
إنَّ المقدم في حذقٍ بصنعهِ أني⁽¹⁴⁴⁾ توجَّه فيها فهو محرومُ

وقال آخر

إذا هممت بشأوٍ قلتُ أني قد أدركته أدركتني حُرْفُهُ⁽²⁴⁴⁾ الأدبِ
لا تغطنُ أديباً ما له نشبٌ لا خيرٌ في أدبٍ إلا مع النشبِ

وقال لبناني من أهل العصر بقصيدة

أخي لا يرفعنَّ المرءَ علمٌ ولا يرميه جهلٌ أم تواني
ولا يشقى الغنى ولو حماراً لأنَّ المالَ يُدعى ربَّ ثاني

قال قابوس

ولي همّةٌ فوق السماك محلُّها ولكن لحظي في الحضيض⁽²⁴⁴⁾ نصيبُ
رأي الفلكِ الدوار سعى فقال لي أتسألني حظاً وأنت أديبُ

وقال بعضهم

فصاحةُ حسانٍ وخطُّ ابن مقلّةٍ وحكمةُ لقمانٍ وزهدُ ابنِ أدهمِ
إذا اجتمعوا في الماء والمرء مفلسٌ وتُودي عليه لا يباعُ بدرهمِ

وقال آخر نقيضه

سماجةً اطروشٍ وثقلُ ابنِ قنِيَةٍ وغفلُهُ قرنانٍ وعكسُ ابنِ أيهم
إذا اجتمعوا في المرءِ والمرءِ مؤسّرٌ لكان فصيحَ القولِ عندَ التكلمِ

وقال أبو القاسم الهيتي محرضاً على حفظ المال

المال أحسن ما ذخرت فلا تكن سمحاً به وتأنُّ في تفضيله
ما صنَّف الناس العلوم بأسرها إلا ليحتالوا على تحصيله

فصل سابع: في فضيلة التواضع وذم الكبرياء

قال الخوري نيقولا

إن شدت أن تبني بناءً شامخاً يلزم لذا البنيان أسُّ راسخُ
إن البناء هو الكمالُ واسُّه آل صخريُّ فهو الاتضاع الباذخُ^(٤٤٤)
نِط درّة التقوى بعقد تواضعٍ فلعهده لم يلف يوماً فاسنحُ

وقال بعضهم

تواضع لربِّ العرش علَّكَ ترفعُ فما خاب عبدٌ للمهيمن^(٥٤٤) يخضعُ
ودار بذكرِ الله قلبك إنه لأشفي إلى ذوي القلوب وانفعُ

وقال الإمام علي

لا تجزعنَّ من الهزال فرمًا ذُبِحَ السمينُ وعوفي المهزولُ
فاجعل فؤادك للتواضع منزلاً إن التواضع بالشريف جميلُ

وقال آخر

الاتضاعُ يزيد المرءَ منزلةً والكبرياء يضعُ من كان راكبهُ
لا تحقرنَّ فقيراً عند رؤيته فرمًا صاحبُ الإحسان قرَّبهُ

وقال المطران جرمانوس

هذا التواضع إن أردتَ مواهباً تغنيك فاقصده تجدهُ واهباً
إن التواضع في سمو محلِّه سمهٌ لنا إن كان منا تائباً

هبط الملاك من السما متقهقراً بالكبريا وانحطّ منها خائباً
ويشاهد المتواضعون بقلبهم ما في السماء عجائباً وغرائباً

وقال تعذرا من الكبرياء

احذر فديتك كبريا نفسٍ سمت فتمامها كفرٌ بحق الباري
فالكبر أهبط كوكب الصبح البهي والكفر زج سَكَنَدراً في النار

وقال أيضاً

قف نبيك نفساً عجبها بماتها فعلام تعجب والبلا في ذاتها
ترضى الأنام بعجابها لكنها في ذلك تسجد نحو منحوتاتها
وتقول تؤمن بالإله بلفظها والكفر في أفعالها وصفاتها
ما داهمتها سقطه في محنةٍ إلا وكان الأكبر من أفاقها
فالنفس تفقر حين بالكبريا وموت في زلاتها
تستغني الردى والمر يكفر إذ يرى متكبراً
والكبريا الكفران من حالاتها
بالكبريا قد صار شيطاناً له من ذاته وإبليس من آلاتها

وله أيضاً

فالكبريا وشانها وعلاوها أضغاث أحلامٍ وطيف منام
فاصبر على المتكبرين تجدهم يتوشحون غداً بثوب ملام

رَبِّي اسْتَمَحْتِكَ طَاعَةً وَتَوَاضَعًا مِنْ كَبْرِيَائِي قَبْلَ يَوْمِ حَمَامِي

وقال بعضهم

يَا مَظْهَرَ الْعُجْبِ اعْجَابًا بِصُورَتِهِ مَهْلًا فَإِنَّكَ مِنْ ذَا الْكَبْرِ مَسْلُوبُ
يَا ابْنَ التَّرَابِ وَمَأْكُولِ التَّرَابِ غَدًا اقْتَصِرْ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبٌ

وقال الصفي الحلبي يذم متكبراً

لِي جَارٌ كَأَنَّهُ الْبَوْمُ فِي الشَّكْلِ وَلَكِنْ فِي عَجْبِهِ فَغْرَابُ
هُوَ كَالْمَاءِ إِنْ أَرَدْتَ قَبْضًا وَإِنْ رَمَيْتَ مَوْرِدًا فَسْرَابُ

فصل ثامن: في رذيلة الحسد والحقد ودمهما

قال بعضهم

فداريت كل الناس من حاسدي مداراته شطت وعز نوالها
وكيف يداري المرء حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

وقال الخوري نيقولا الصايغ

إذا شمت الحسودَ به اکتتاب فقل لا لا أراك الله ضيرا
أصابك من دهى المحال شر ترى أم صبت غيرك نال خيرا

وقال أيضاً

إن شئت قتل الحاسدين تعمداً من غير مادية عليك ولا قود
وبغير سُم قاتلٍ وصوارم وعقاب رب ليس يغفل عن أحد
عظم تجاه عيونهم محسودهم فتراهم موت النفوس مع الجسد
ذوب المعادن باللظى لکنما ذوب الحسود بحر نيران الحسد
أم يبلغ الحسادُ أجالاً لهم إذ إنهم سيماهم موت الكمد
حد الزناة من الشريعة مدة وترى الحسود بدائه ابدأ یحد
ما زال ان حیاً وان میتاً ضنی متعذباً فيه إلى ابد الأبد

وله أيضاً رحمه الله

گفى الحسود عقاباً عن جريرته⁽¹⁴⁴⁾ ما في جوارحه من جذوة الحسد

لا غَرَوَ إِنْ ذَابَ مِنْهُ جَسْمُهُ حَسَدًا لَأَنَّ ذَا الدَّاءِ يُوهِي (744) صِحَّةَ الْجَسَدِ
لَوْ لَمْ يُحَاكَمْ مِنَ الْبَارِي أَقْوَلُ لَقَدْ كَفَاهُ إِذْ عَاشَ حَتَّى مَاتَ بِالْكَمَدِ
كُلُّ الْمَأْتَمِّ قَدْ تُرْجَى مَلَذَّتْهَا الْأَبْلُ بَلْ إِنَّ هَذَا عِلَّةُ الْكَبِيدِ
مَا يَفْعَلُ الْجَاهِلُ الْعُمَرُ الْحَسُودُ مَعَ الـ مُحْسُودٍ إِنْ سَادَ يَوْمًا وَهُوَ لَمْ يَسُدِ
كُلُّ الرِّذَائِلِ إِمَّا مَاتَ فَعَا لَهَا تَفَنَّى جَمِيعًا وَمَا تَبَقِيَ عَلَى أَحَدٍ
لَكِنَّمَا الْحَسَدُ الْمَمْقُوتُ مُصْطَحِبٌ فِي النَّارِ صَاحِبُهُ حَتَّى مَدَى الْأَبْدِ

وقال بعضهم

أَيَا حَاسِدًا لِي عَلَى نِعْمَتِي أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأَتِ الْأَدْبُ
أَسَأَتِ عَلَى اللَّهِ فِي حِكْمِهِ لَمْ تَرْضَ لِي بِمَا وَهَبَ
لَأَنَّكَ أَخْزَاكَ رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي وَسَدَّ عَلَيْكَ وَجْوهَ الطَّلَبِ

وقال المطران جرمانوس مبيكتاً الحقود

أَلَمْ تَصُرْ أَمَّامًا يَا حَقُودُ كَانَ الْحَقْدُ فِي أَحْشَاكَ دُودُ
فَيَفْسُدُ مَا تَصْلِيهِ لِرَبِّ وَذَنْبِكَ كَلِمَا تَدْعُو يَزِيدُ
تَقُولُ اغْفِرْ لَنَا يَا رَبِّ أَمَّامًا وَنَبِكَ يَا حَقُودًا يَسْتَزِيدُ
فَإِنْ تَغْفِرَ تَجِدُ رَبًّا غَفُورًا وَإِنْ تَحْقُدْ فَهُوَ الْعَدْلُ الْحَقُودُ

وقال نصر بن سيار

إِنِّي نَشَأْتُ وَحْسَادِي ذُوو عَدْدٍ يَا ذَا الْمَعَارِجِ لَا تَنْقُصْ لَهُمُ عَدْدَا

أن يحسدوني على ما بي لما بهم فمثل ما بي مما يحمل الحسدا

وقال آخر

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

غيره

هيهات فت الحاسدين فأذعنوا لك بالفضائل والفعالِ الأمجدِ
يتحاسد القومُ الذين تقارنت طبقاتهم وتقارنوا في السؤددِ

وجاء في تعريب الجالستان

أنا قادرٌ أن لا أغیظ حشى فتى لكن حسودي داؤه من ذاته
مُت يا حسودي بداء غیظك واسترح أَلحاسدٍ في الطبِّ غير مماته

ومنه أيضاً

ذو الطالع النحس يهوي من نحوسته زوال نعمة ذي الاقبال والرتبِ
إن كان لا يبصر الخفاش وقت ضحى فما الذي لشعاع الشمس في الريبِ
وفي الحقيقة عميانٌ نموا عدداً ليسوا كإنكار نور الشمس في النسبِ

ومنه

فلا تطلب مع الحسادِ حرباً فطالع نحسهم يكفي بنحسه

وما لك في عداوتهم مرامٌ فإنه مثلهم من شوم نفسه

وقال بعضهم

كل المصائب قد تمرُّ على الفتى فتهون دون شماتة الحسادِ
إنَّ المصائب تنقضي أوقاتها وشماتة الحسادِ بالمرصادِ

وقال آخر

يا طالب العيش في أمنٍ وفي دعةٍ رغداً به فقيرٌ صفواً به رنقي
خلص فوادك من غلٍّ ومن حسدٍ فالغلُّ في القلب مثل الغلِّ في العنقي

وقال غيره

إن الحسودَ الظلوم في كربٍ يخاله من يراه مظلوما
من نَفْسٍ دائِمٍ على نفسٍ يظهر منه ما كان مكتوما

وقال بعض الأدباء ناصحاً للحسود

لا يحزننك فقرٌ إن مرات ولا تتبع أخواً لك في مالٍ له حسدا
فإنه في رخاءٍ في معيشتِهِ وأنت تلتقى بذاك الهمُّ والنكدا

فصل تاسع: في فضيلة الصمت

قال بعضهم

الصمت زينٌ والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما قد ندمت على سكوتي مرةً ولقد ندمت على الكلام مرارا

وقال آخر

من لزم الصمت اكتسى هيبةً تخفى عن الناس مساويه
لسان من يعقل في قلبه وقلبٌ من يجهل في فيه

وقال الإمام علي

إن القليل من الكلام باهله حسنٌ وإن كثيره ممقوتٌ
ما زلٌ ذو صمتٍ وما من مكثٍ إلا يزلٌ وما يعابٌ صوتٌ
إن كان ينطق ناطقٌ من فصةٍ فالصمتُ درٌّ زانهُ الياقوتُ

وقال أيضاً

لا تبدأن بمنطلقٍ في مجلسٍ قبل السؤال فإن ذاك يشفعُ
فالصمت يحسن من كل ظنٍ بالفتي ولعله خرقٌ سنفيه أرقعُ

وقال أيضاً

فلا تكثرن القولَ في غير وقتهِ وأدمن على الصمتِ المزينِ للعقلِ

يموتُ الفتى من عثرةٍ بلسانهِ وليس يموت المرءُ من عثرة الرجلِ
ولا تُكُ مَبثاثاً لقولك مغشياً فتستجلب البغضا من زلة النعلِ

من ديوان الجالستان

نعم إن حسن الصمت من أدب الجحَى وعند الدواعي فالتكلم أَلْزَمُ
يعكُرُ فكر المرءِ أمرٌ ناطقٌ بغير لزومٍ أو سكوتٍ مضِيعُ

وقال المطران جرمانوس

احذر لسانك إن جلست منادماً ووزن الكلامَ فمن يزنه لم يُلم
كم من كلام لا يفيدك كلمةً وكلمة بها كلامٌ قد يؤم

وقال آخر

الصمتُ يكسبُ أهلهُ صدق المودة والمحبة
والقولُ يستدعي لصاً حبه المذممة والمسبة
فارغب عن القولِ ولا يحتاج منك إليه رغبه

وقال آخر

احفظ لسانك أيها الانسانُ لا يلدغَنَّكَ إنه ثعبانُ
وكم في المقابر من قتيل لسانهِ كانت تهاب لقاؤه الشجعانُ
احفظ لسانك لا نقول فتبتلى إن البلاء موكلٌ بالمنطقِ

فصل عاشر: في البخل والحرص وذمهما

قال منجك باشا

مات السخا وتقطعت أوصاله وغدت معاقده مقرر اليوم
والشح نرتضيه لو أنه شحٌ بغير مضرةٍ أو لوم
أنعام أكبرنا علينا قهوةً قد أشبهت قارورة المحموم

وقال أبو النواس يذم بخيلاً

خبزُ البخيل معلقٌ بالكوكبِ يُحمى بكل مسقفٍ ومشطٍ
جعل الطعام على بنيه محرماً قوتاً وحلّله لمن لم يسعِبِ
فإذا هم راؤوا الرغيّفَ تطربوا طرب الصيام إلى آذان المغربِ

وقال أيضاً

أصبحت أجوع خلقِ الله كلهم وافزع الناس من خبزٍ إذا وُضِعَا
خبز البخيل فمكتوبٌ عليه ألا لا بارك الله في ضيفٍ إذا شَبَعَا
إني أحذركم من خبز صاحبنا فقد تبرون بخلقِي اليوم ما صنعا

ومن ديوان الجالستان في الحرص

إياك والحرص إن الحرص متعبهٌ فإن فعلتَ فراعِ القصد في الطلبِ
قد يرزق المرء لم تتعب رواجهُ ويحرم المرء ذو الأسفار والتعبِ
فازجر فؤادك عن حرصٍ وعن نصبٍ فما وحقك يأتي الرزق بالنصبِ

وقال أبو نواس يذم بخيلاً اسمه عدل

رغيفُ بخيل عند عدلٍ نفسه يقبله طوراً وطوراً يلاعبه
ويخرجه من كمه فيشمه ويجلسه في حجره فيخاطبه
وإن جاءه المسكين يطلب فضله فقد ثكلته أمه وأقاربه
يكرُّ عليه السوط من كل جانبٍ ويكسرُ رجلاه وينتفُ شاربه

وقال بعضهم

إذا كسر الرغيف بكى عليه بكا الخنسا إذ فجعت بصخرِ
ودون رغيفه قلع الثنابا وضربٌ مثل وقعة يوم بدرِ

وقال آخر

تغيّر إذ دخلتُ عليه حتى فطنتُ فقلت في عرضِ المقالِ
عليّ اليوم نذرٌ من صيامٍ فاشرقَ وجهه مثلَ الهلالِ

وقال الإمام علي

فانزع بقوتك فالقناع هو الغنى والفقير مقرون بمن لا يقنعُ
واحذر مصاحبة اللثام فانهم منعوك صفو ودادهم وتصنعوا

وقال آخر

متى تضعُ الكرامة في لئيمٍ فإنك قد أسأتَ إلى الكرامةِ
وقد ذهبَ التصنيعُ به ضياعاً وكان جزاؤها طول الندامةِ

وقال آخر

رغيفٌ في الحجاب عليه قفلٌ وحراسٌ وأبوابٌ منيعَةٌ
رأى في بيته طيفٌ رغيفٍ فقال لضيفه هذا وديعَةٌ

من الجالستان

وجميع من نظر البخيل ولو سما في الفضل يسعى في بيان عيوبه
وإذا الكريمُ أُنِيَ بألفِ جنايةٍ ستروه وعند حضوره ومغيبه

وقال بعضهم

كسوتُ جميل الصبر وجهي فصانهُ به الله عن غشيان كل بخيلٍ
فما عشت لم آت البخيلَ ولم أقم على بابه يوماً مقام ذليلٍ
وإن قليلاً يستر الوجه أن يرى أي الناس مبذولاً لغير قليلٍ

غيره تحريض

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ويستره عنهم جميعاً سخاؤه
تغطُّ بأثوابِ السخا فإنني أرى كل عيبٍ فالسخاء غطاؤه

وقال آخر من نوع التصحيف

رأى الصيف مكتوباً على بابه فصحفه ضيفاً فقام للسيف
فقلت له خيراً فظنُّ بأنني أقول له خبزاً فمات من الخوف

وغيره

إذا حجرُ لراس الكلبِ وافي يفرُّ لظنه عظماً فيفرح
ومشبهه البخیلُ يظن نعشاً يمرُّ به خواناً فهو يمرح

وقال آخر

إن هذا الفتى يصونُ رغيماً ما أليه لناظرٍ من سبيلٍ
في جرابٍ في جوف تابوت موسى والمفاتيح عند ميكائيلٍ

وقال آخر مجاباً بخیلاً كلفه

شربك مختومٌ وخبزك لا يرى ولحمك بين الفرقدین معلقُ
ندیمك عطشانٌ وضيفك جائعٌ وكلبك نباحٌ وبابك مغلقُ

وقال أيضاً

نوالك دونه شوك القتادِ وخبزك كالثريا في البعادِ
ولو أبصرت ضيفاً في منامٍ لحرمت الرقادَ على العبادِ

غیره

وهبني جمعتُ المالَ ثم خزنته وجاءت وفاتي هل أزداد به عمرا
إذا خزن المالَ البخیلُ فإنه سيورته غمماً ويعقبه وزرا

وقال آخر

بخیلٌ یرى فی الجود عاراً وإنما یرى المرء عاراً أن یضنَّ ویخلا
إذا المرء أثري لم یرجى نفعه صديقٌ فلافته المنیة أولاً

فصل حادي عشر: في الكرم ومدح الكريم

قال الوداعي

من زار بابك لم تبرح حوائجُهُ تروي محاسن ما أرويت من مننٍ
فالعين عن قرّة والكف عن صلّةٍ والقلب عن جابرٍ والأذن عن حسنٍ

وقال بعضهم

قوم إذا عبّت الزمان بأهله كان المفرّ سن الزمان إليهم
وإن أتيتهم لدفع مُلمّةٍ جادوا عليك بما يكون لديهم

وقال أعرابي في حق بعض الخلفاء

بنتِ المكارم وسط كَفِّكَ منزلاً وجعلت ما لك للأنام مصباحا
فإذا المكارم أغلقت أبوابها كانت يدك لقفلهما مفتاحا

وقال آخر مدحاً بالمأمون

ما جادَ بالوفر إلا وهو معتذرٌ ولا عفا قط إلا وهو مقتدرٌ
وكلما قصدوه زاد نائلُهُ كالنار توخذ منها وهي تستعرُّ

وقال بعضهم في كريمٍ

الضحك صيفي قبل أنزل رحلهُ ويخصبُ عندي والمحلُّ جديبُ
وما الخصب للأضيافِ أن تكثر القرى ولكنها وجهُ الكريمِ خصيبُ

وقال أبو نواس

وأني جدير إن رجوتك بالغنى وأنت بما أملتُ منك جديرُ
فإن تولني منك الجميل فأهلهُ وإلا فإنني عاذرٌ وشكورُ

وقال أبو تمام

هو البحرُ من كلِّ الجوانب أتيتهُ فلجتهُ المعروفُ والجود ساحلهُ
تعود بدا العنف حتى لو أنه ثناها لقبضٍ لم تجبهُ أناملهُ
ولو لم يكن كفه غير روحه فجادَ بها فليتقِ الله سائلهُ

وقال بعضهم

وامرأةٍ بالبخل قلتُ لها أقصري فذلك شيء؟ ما إليه سبيلاً
أرى الناس خلان الجواد، ولا أرى بخيلاً له في العالمين خيلاً
وإني رأيت البخلَ يزري بأهلهِ فأكرمتُ نفسي أن يقالَ بخيلاً

من ديوان الجالستان

شجر المكارم ان تمدد أصله يسمو السمات على ما يتفرعُ
إن رمت تحظى بالثمار فلا تضع منشارَ مَنْ في الأصول يقطعُ

ومنه في منافع الجود

في جونة العود استكن عبيرهُ وبطرحه بالنار فاق العنبراً

أدم العطا إن رمّت فخرأ دائماً لم يجنِ خيرَ الأرضِ من أن يبذراً

ومنه أيضاً

وحاتم طي إن طوى الموت جسمه فنشرُ اسمه في الجود عاش مخلداً
فاخرج ذكوة المالِ يا رب كرمة بتقليمها جاد النما وتجدها

وقال بعضهم في كريم

يا من مكارمه كالبحر زاخرةً وجود كفيه أجرى من مجاريها
سفينة الفقر في أبوابكم جنحت أمنن عليها بلطفٍ منك يجريها

وقال آخر محثاً على الكرم

بادر إليّ بمعروف هممت به فليس في كل وقتٍ يمكن الكرمُ
كم مانعٍ نفسه امضاء مكرمةً عند التمكن حتى عاقه العدمُ

وقال جعفر محمد الصادق

لأشكرنّ لك معروفاً هممت به فإنّ همّك بالعرف معروفُ
ولا ألومك إن لم يمضه قدرُ فالشر بالقدر المحتوم مصروفُ

وقال آخر يشكر كريماً

أوليتني نعماً أبوح بشكرها وكفيتني كل الأمور بأسرها

فلأشكرنك ما حييت ولم أمت فلتشكرك أعظمي في قبرها

وقال شمس الدين البديوي يوصي ولده

إذا المرء وافى منزلاً منك قاصداً قراك وارمتهُ تدليك الممالك
فكن باسماً في وجهه مهتلاً وقال مرحباً أهلاً ويوم مبارك
بشاشه وجه المرء خير من القرى فكيف ومن يأتي به وهو ضاحك

وقال مهيار الديلمي يمدح أحد الكرماء

كنا نخبر عن قومٍ وقد درسوا أخبار جودٍ مع الاكثار تستهم
فجاء جودك برهاناً لما نقلت منه الرواة وتصديقاً لما زعموا
وقال آخر

إن الكريم أن تصرم ودّه يخفي التقبيح ويظهر الاحسانا
وترى اللئيم إذا تصرم حبله يخفى الجميل ويظهر البهتانا

غيره

إن الكريم إذا تعيّن حقه عند امرء أعفاه ثم تكرماً
ويسامح الجاني ويغفر ذنبه ويكون حقاً قد أسأ وأجرها

فصل ثاني عشر: في فضيلة القناعة

قال بعضهم

إذا المرءٌ عوفي جسمه وملكه الله قلباً قنوعاً
وألقى الطامع عن نفسه فذاك الغني ولو مات جوعاً

وقال آخر

وجدت القناعة رأس الغنى فصرتُ بأذيالها متمسكاً
فلا ذا يراني على بابهِ ولا ذا يراني به منهمكاً
فأورثني عزها خلعةً يمر الزمان ولا تهتكُ
وصرت غنياً بلا درهمٍ أمرُّ على الناس شبه الملك

وقال بعضهم

يا طالب المال في الأهوال والهلكة أقصر عفاك فليس الرزقُ بالحركةُ
أما ترى البحر والصيد منتصبٌ في ليله نجوم الليل محتبكةُ
قد مرَّ أطنابه والموج يطمه وعينه لم تزل في كل كل الشبكة
سبحان ربي يعطي ذا ويحرمُ ذا بعضٌ يصيدُ وبعضٌ يأكل السمكةُ

وقال آخر في التوكل والقناعة

الحزم والعزم والادلاج والكبر والجهد والكُد والأتعابُ والخطرُ
والهمُّ والغمُّ والأفكارُ والسهرُ والعلم والحلم والتذكُّرُ والنظرُ

لا يرزقونك شيئاً أنت محرمة ولا يسوقون شيئاً عاقه القدر
فإن قنعت بما أوتيت عشت وإن تسخط فليس إليك الدهر معتذر

وغيره

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكه
ألا إن مالي الذي أنا منفق وليس لي المال الذي أنا تاركه

وقال الإمام علي

الغنى في النفوس والفقر فيها إن تجزّت فقل ما يجزيها
علل النفس بالقنوع وإلا طلبت منك ما يكفيها
ليس فيما مضى ولا في الذي لم يأت من لذة لمستحليها
إما أنت طول عمرك ما عمّرت بالساعة التي أنت فيها

وقال آخر

النفس تجزع أن تكون فقيرةً والفقير خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

غيره

يعزّ غنى النفس إن قلّ ماله ويغنى غني المال وهو ذليل
فإن ضاق رزق البوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول

من الجالستان

بحتفك يا كنز القناعة اغنني فبعدك ما لي مثل مالك من نعمة
بركن زوايا الصبر لقمان عاكف فمن لم يجد صبراً فليس له حكمة

وعنه أيضاً

أيا مانح النفس الحيوية وصفوها من الأكل يدنو الحين إن زاد بالقدر
يضرُّ مربى الورد مع تخمة الحشا وبالجوع يبس الخبز أشقى من يدري

غيره

وصرفُ الوجه عن احسان مولى أخف من احتمال جفا الحجابِ
وموتٌ في تمنى اللكم أولى إذا القصاب بالغ في السبابِ

فصل ثالث عشر: في فضيلة الصبر والحث على التمسك بها

قال عبد الغني النابلسي

اصبر على ضر البلياء فالصبر من إحدى العطايا
ودع الحسود لأنه متعرضٌ لك للمنايا
قد قيل ساعات الأذى يذهبن ساعات الخطايا

وقال الآخر

تلقَ الأمور بصبرٍ جميل وصدرٍ رحيبٍ وخلِّ الحرجُ
وسلم إلى الله في حكمه فأما الملمات وأما الفرج

وقال غيره

تحمل من صديقك كل ذنبٍ وعدَّ خطأؤه وفقَّ الصوابِ
ولا تعتب على ذنب صديقٍ فكم بغضٍ تولد من عتابِ

غيره

وإذا مسَّك الزمان بصبرٍ عظمت دونه الخطوبُ وحلَّتْ
وأنت بعده نوائبٍ أخرى سئمت نفسك الحيوة وملَّتْ
فاصطبر وانتظر بلوغَ الأماني فالرزايا إذا توالى وتولَّتْ
وإذا أوهنت قواك وحلَّتْ كشفت عنك جملةً وتخلَّتْ

وقال حسن البوريني يشتكي من ضعف الصبر

إلهي بتقديس النفوس الذكيّة وتجريدها عن عالم البشريّة
أزل عن فؤادي ما يعاني من العنا فيأني ضعيفُ الصبر عند البليّة

وقال أيضاً

ظُمْتُ من الزمان قصار وردي كوردِ الشاربين من الشرابِ
ولم تترك لي الأيام صبراً سوى قدر المودة في الصحابِ

وقال علي بن أبي طالب

تردّ رداء الصبرِ عند النوائبِ تنل من جميلِ الصبرِ حسن العواقبِ
وكن حافظاً للوالدين وناصرأ لجارك ذي التقوي وأهل الأقاربِ

وقال أيضاً

أصبر قليلاً فبعد العسر تيسيرُ وكل أمرٍ له وقتٌ وتدبيرُ
والمهمين في حالاتنا نظرُ وفوق تدبيرنا لله تدبيرُ

غيره

اصبر ففي الصبر خيرٌ لو علمت به لكنت باركت شكراً صاحب النعم
واعلم بأنك إن لم تصطبر كرمأ عبرت قهراً على ما حُطّ بالقلم

غيره

كن حليماً إذا بليت بغيطٍ وصبوراً إذا أتتك مصيبة

فالليالي من الزمان حبالاً مثقلاتٍ يلدن كل عجيبة

وقال بعضهم محثاً

تصبر ولا تورى التضعع للعدا ولو قطعت في الجسم من البواتر
سرور الأعادي أن تراك بذلة ولكنها تغتم إذ أنت صابر

وقال آخر

تصبر إذا ما أمتك ملمة وأهون بها ما لم تسمك بعار
فغيب قطوب النحس بشر سعادة وبعد ظلام الليل نور نهار

وقال محمد بن بشر

إن الأمور إذا اشتدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تياسن وإن طالت مطالبه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجاً

وقال آخر

إذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبة فافرع لها صبراً وأوسع لها صدرا
فإن تصاريف الزمان عجيبة فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عسرا

غيره

تصبر أيها العبد اللبيب لعلك بعد صبرك ما تخب
وكل الحادثات إذا تناهت يكون وراءها فرج قريب

وقال سويد السدوسي

أيا صاحبي إن رُمت أن تكسب العلا وترقى إلى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالةٍ فما صابرٌ فيما يرومُ بنادم

وقال الإمام علي

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجملهُ عند الله وأنجاهُ من الجزع
من شدَّ بالصبر كفاً عند مؤلمةٍ ألوتْ يدهُ بحبلٍ غير منقطع

غيره في لذة الصبر

أما والذي لا يعلم الغيب غيرهُ ومن ليس في كل الأمور له كفو
لئن كان بدء الصبر مُراً مذاقهُ لقد يجتني من بعدهُ الثمر الحلو

وقال آخر

إني وجدت وخير القول أصدقهُ للصبر عاقبةٌ محمودة الأثرِ
وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يحاولهُ فاستصحب الصبرَ إلا فاز بالظفرِ

وقال زهير بن أبي سليم

ثلثُ يعزُّ الصبر عند حلولها ويذهلُ عنها عقل كلِّ لبيبٍ
خروج اضطرارٍ في بلادٍ يحبُّها وفرقةٌ أخوان وفقد حبيبٍ

وقال آخر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبهُ ويُحمدُ منه الصبرُ مما يصيبهُ

فمن قلَّ فيما يلتقيهِ اصطبارهُ لقد قلَّ فيما يرتجيه نصيبهُ

غيره

بنى الله للأخيار بيتاً سماءهُ همومٌ وأحزانٌ وحيطانه الضرُّ
وأدخلهم فيهِ وأغلق بابهُ وقال لهم مفتاح بابكم الصبرُ

وقال آخر

عسى الهم الذي أمسيت فيهِ يكون وراءهُ فرج قريبُ
فيأمن خائفٌ ويُعان عانٍ ويأتي أهلهُ النأي الغريبُ

وغيرهُ

فبالصبر الجميل تنال أجرأ ويقضي بعد ذلك ما ترومُ
فكم من محنةٍ عظمت ودامت وخان معاهدٌ وجفا جسيمُ
إلى فَرَجِ الإله لها صباحاً فما أمست واقلعتِ الهمومُ
فسلم فالذي أبلى يعافي وثق بالله فهو بنا عليهمُ
إذا ضاقَ الجنانُ فكن صبوراً كريماً فالشدائد لا تدومُ

وقال آخر

اصبر قليلاً وكن الله معتصماً ولا تستعجلُ فإنَّ العجزَ بالعجلِ
الصبر مثل اسمه في كل نائبةٍ لكن عواقبهُ أحلى من العسلِ

غيره

فلا تجزع لريبِ الدهر واصبر فإن الصبرَ في العقبى سليمُ

فما جزعُ يأمن عنك شيئاً ولا ما فاتَ ترجعهُ الهمومُ
إذا ضاق الجنان فكن صبوراً كريماً فالشدائد لا تدومُ

وقال المطران في شرف الصبر

حليف بلوي شكى جوراً فقلت لهُ لا تشكٍ فالحرُّ قد يرضى بيلوتهِ
فالصبرُ امنح دراً أنت لابسهُ كما تردهُ يوسف بين اخوتهِ
حازَ النباهةَ حتى خرَّ اخوتهُ أمامهُ سجّداً رغماً لسطوتهِ

وقال الخوري

كن مستعداً للمحاربة التي من دونها لا نصرَ من ربِّ العلا
واصبر إذا ما شئت اكليل البها فغير حسن الصبر لن تتكللا
فإذا كرهت الصبر فاعلم أمّا حقاً كرهت بأن تكون مُطللا

من فصل رابع عشر: في رذيلة الكذب والنهي عنها

قال أبو العتاهية محذراً

إياك من كذبِ الكذوبِ وافكهِ فلربما مزج اليقين بشكهِ
ولربما ضحك الكذوب تفكهأً وبكى من الشيء الذي لم يشكهِ
ولربما صمت الكذوب تخلفاً وشكى من الشيء الذي لم يشكهِ
ولربما كذب امرء بكلامهِ وبصمتهِ وبكائهِ وضحكهِ

وقال بعضهم

إذا عرف الإنسان بالكذب لم يَزَلْ لدى الناس كذاباً ولو كان صادقا
فإن قان لم تصخ له جلساؤه ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقا

وقال المطران جرمانوس

خذ خمرة الكذب من هذرٍ وسخريةٍ ومن نفاقٍ يواري شرَّ كل غبي
لا تعجبين إن رأيت الشر أشنعها فإن في الخمر معنى ليس في العنبِ
اقطع بسيفٍ خشوعٍ هام مكذبةٍ فالسيف أصدق أنباء من الكذبِ

وقال آخر

ألا إن أهل الله لم يعطفوا النهى لتكذيب من بالصدق واصل قوله
وإن يشتهر في تركه الصدق أن يفه بصدقٍ فلتكذيب يلحونَ حوله

وقال محمود بن أبي الجنود

لي حيلةٌ فيمن ينم وليس بالكذاب حيلةُ

من كان يخلق ما يقو لُ حيلتي فيه قليلهُ

من ديوان الجالستان

إذا ذلَّ الذي بالصدق يدري لزلته يكون العفو سهلاً

وإن يصدق أخو الكذب اشتهاً فليس فيرون فيه الصدق أصلاً

ومنه

ما دمت تجهل عين الحق في كلمٍ فالحق أن لا تحرك بالكلام فما

والسجن بالصدق أولى من حمى كذبٍ ينجيك من قيده فاختر لنفسك ما

وقال بعضهم

لا يكذب المرء إلا من مهاتته أو فعله السوء أو من قلة الأدبِ

لبعض جيفةٍ كلبٍ خيرٌ رائحةٍ من كذبةٍ المرء في جدٍ وفي لعبٍ

فصل خامس عشر: في النميمة

قال صالح بن عبد القدوس

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أُمِّ عَلِيٍّ غَشَّ يُدَا جِينِي
إِنِّي لِأَكْثَرِ مِمَّا سَمَّيْتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشْحٍ وَإِخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَغْتَابِنِي عِنْدَ إِقْوَامٍ وَتَمْدَحْنِي فِي آخِرِينَ وَكُلِّ عَنَّاكَ يَا تِينِي
هَذَا أَمْرَانِ شَتَّ الْبُونِ بَيْنَهُمَا فَكَأُفِّ لِسَانِكَ عَن ذَمِّي وَتَزِينِي

وقال آخر

ويومٍ كأخلاقِ الملوكِ تَلَوْنًا فَصَحْوٌ وَتَغْيِيمٌ وَطُلٌّ⁽⁸⁴⁴⁾ وَوَابِلٌ^(94٤)
أَشْبَهُهُ إِيَّاكَ مِنْ صِفَاتِهِ دَنُوٌ وَاعْرَاضٌ وَمَنْعٌ وَنَائِلٌ

وغيره

من نَمِّ فِيكَ فَلَمْ تَوْمَنْ عِقَابُهُ عَلَى الصِّدِّيقِ وَلَمْ تَوْمَنْ أَفَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ فِي اللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
الْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ وَالْوَيْلُ لِلوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يَفْنِيهِ

وقال المطران جرمانوس

كَأَنَّ أَلْفَاظَ نَمَامٍ يَنْمُ بِنَا شَهْدٌ تَضْمَنُهُ لِدَعُ الدَّبَابِيرِ
فَكُلُّ قَطْرَةٍ شَهِيدٍ مِنْ نَمِيمَتِهِ كَنَانَةٌ⁽⁰⁵⁴⁾ حَشْوَاهَا نَبْلُ الزَّبَابِيرِ

وقال أيضاً

شعار المدح من كرم الطبيعة ونار الذم من حطب الوقعة
إن تبغض تدم بغير شرع أخاً يحميه صمام الشريعة
فسد الأذن عن ثلب ودم بشرع الله واحكمها صنيعه
فعنوان الشرور لسان مؤذ ترى آفاته عندي مذيعه

وقال الخوري فينولا

يا خائضاً في بحر عرضِ دونه بحر من النيران وهو عرمم
صن جوهر الأعراض صون كرائم والعرضُ جوهره تصان وتكرم
وأجل رداء العرض وارتق فتقه فعساه يرثي ثوبك المتردم
من يشتهه النكراء يبلغها فقد تلد الحوامل مثلما تتوخم

وقال بعضهم

إن يسمعوا ريبه طاروا بها فرحاً منى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا
إن يعلموا الخير أخفوه وإن علموا شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

فصل سادس عشر: في الشراة

قال بعضم

شرة النفوس على الجسم بليئة فتعودوا من كل نفس تشرة
ما من فتى شرفت له نفس وإن ذال الغنى إلا رأى ما يكره

وقال الخوري نيقولا

توق شراة عاثت بجسم فإن يهدم بناؤك مستحيل
لأن للجسم بيت النفس لكن يحق لها إذا انهدم الرحيل

وقال المطران جرمانوس

أرى جسمنا يحتاج قوت حياه بقدر يقيه ضرر ضعن وتخمة
وانفع صوم كان يوم مقدرأ على أن أكثره يعود بقله
فكن حذراً من تخمة وشراة فكم ألم وآفي يشيد ببطنه

وله أيضاً

يا لحي الله علة التنكيد لا تقل لي شراةتي هي عيدي
كم تقل لي شراةتي أنت زدي وأنادي عليك هل من مزيد

فصل سابع عشر: في الحث على الانصاف وتجنب الظلم

قال أحد البرامكة

وحق الله إن الظلم لؤمٌ وإن الظلمَ مرتعهُ وخيمٌ
إلى ديان يوم الدين مُضي وعند الله تجتمع الخصومُ

وقال بعضهم

إن ييغِ ذو جهل عليك فخله وأرقب زماناً لانتقام الباغي
وتجنب الظلمَ الوخيمَ لو بغى جبلٌ على جبلٍ لدك الباغي

وكتب بعض المحبوسين لأحد الولاة

ستعلم يا نودم إذا التقينا غداً عند الإله من الظلوم
أما والله إن الظلم لؤمٌ زال الظلوم هو الملوومُ
سينقطع التلذذ عن أناسٍ أداموه وينقطع النعيمُ

من ديوان الجالستان

جور القوي على الضعيف ببأسه خطأً وفقدُ مروةٍ وتعسُفُ
من ليس يرحم غيره فبرعبه يحيى وذاك متى ارتدي لا ينصفُ
ومن ارتجى طيب الجنى من خبيثه قبض الخيال وزيفه لا يصرفُ
فأزل حجابَ السمع واعدل في الورى ولئن عدلت فيوم حشرك تعرفُ

وقال بعضهم

تحكموا فاستطالوا في حكمهم وبعد حين كأنَّ الحكمَ لم يكنِ
لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فأتى عليهم الدهر بالآفاتِ والمحَنِ

وقال آخر

يا ظالماً مع ظلمه يتظلمُ أعدل فليس سواك ممن يظلمُ
لك غرة ظلمتِ وقلبُ ظالمُ قد حرت أَيْهما الأجنَّ الأظلمُ
يا من أعار القلب حلية وجهه فارعَ النظر لأن دهرك مظلمُ

وفصل ثامن عشر: في العفو والمسامحة

قال بعضهم

إن الكرام إذا ما استعطفوا عطفوا والحرُّ يعفو لمن بالذنب يعترفُ
والصفحُ عن مذنبٍ قد شابٍ مكرمةً وفي الوفاء لأخلاق الورى شرفُ
والعفو بعد اقتدارٍ فعله كرمٌ والهجر بعد اعتذارٍ فعله سرفُ

وقال آخر

لا تنتقم إن كنت ذا قدرةٍ فالعفو من ذي قدرةٍ أصلحُ
واصفح إذا أذنب خلٌّ عسى تلقى إذا أذنبت ممن يصفحُ

وغيره

بُنِي اسْتَقَمَّ فَالْعُودُ تَنْمِي عُرُوقُهُ قَوْمًا وَيَغْشَاهُ إِذَا مَا التَّوَى التَّوَى
وعاصِ الهوى المُرْدِي فكم من مَحَلِّقٍ إِلَى النَّجْمِ لَمَّا أَنْ أَطَاعَ الهَوَى هَوَى

وقال غيره

ولا تقطع أحمًا لك عند ذنبٍ فإن الذنب يغفره الكريمُ
ولا تعجل على أحدٍ بظلمٍ فإن الظلم مرتعه وخيمُ
ولا تعنف عليه وكن رقيقاً فقد بالرفق تلتئم الكلامُ
ولا تفحش وإن ملئت غيظاً على أحدٍ فإن الفحش لومُ

وقال آخر

احذر دخان جريح القلب إنَّ له عزمًا وعاقبة الدخان يرتفعُ

وإن قدرت فلا تُحزِنِ فؤاد فتى تأوهُ واحدٌ تهوي به البقعُ

وقال آخر

سجايك إن عافيت أندى وأسمح وعذرك إن عاقبت أجلي وأوضحُ
وقالوا سيجزيه فلان بفعله فقلت وقد يعفو فلان ويصفحُ
ألا إن بطشاً للمؤيد يرتجى ولكن حلماً للمؤيد أرجحُ

غيره

هب لي جناية ما زلت به القدمُ فإن للعبد من ساداته كرمُ
فقلت ما يقتضيه الذنبُ معترفاً فإن ما يقتضيه العفو والكرمُ

وقال صفي الدين الحلي

أطلب من أخٍ خلقاً جميلاً وخلقُ الناسِ من ماء مهينِ
فسامح إن تكدر ودّ خلٍ فإنّ الناسَ من ماء وطنِ

غيره

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً عن التقصير عذرَ أخٍ مقررٌ
فصنه عن عتابك واعفُ عنه فإن العفوَ سيمة كل حرّ

وقال حسام الدين الحاجري في ديوانه

هَبْ لِي جِنَايَةً مَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ فِي الْعَفْوِ تَطْمَعُ سَادَاتُهَا الْخَدَمُ

حَسَبُ الْمُسِيءِ جَزَاءٌ عَنِ لَمَسَاتِهِ فَرَطُ النَّدَامَةِ إِذْ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ
فَعَلْتُ مَا يَقْتَضِيهِ السُّخْطُ مُقْتَدِرًا فَأَيْنَ مَا يَقْتَضِيهِ الْجِلْمُ وَالْكَرْمُ

وقال بعضهم في الكرم

علمت إن الصفح منك سجيَّةً والعفو مأمولٌ لديك لمن هفا
فإن انتقمت فإن ذنبي موجبٌ ولئن عفوت فإن مثلك من عفا
إذا ذكرت أيديك التي سلفت مع قبح فعلي وزلاتي ومحترمي
أكاد أقتل نفسي ثم يدركني علمي بأنك مجبولٌ علي الكرم

فصل تاسع عشر: في الفقر والصبر عليه

قال بعضهم

وكل مقلٌ حين يغدو لحاجةٍ إلى كل ما يلقي من الناس مذنبٌ
وكانت بنو عمي يقولون مرحباً فلما رؤوني معدماً مات مرحبٌ
جروح الليالي في مالهن طيب وعيش الفتى بالفقر ليس يطيّب
وحسبك أن المرء في حال فقره تحمقه الأقوام وهو لبيبٌ
ومن يغتر بالحادثات وصرفها يبت وهو مغلوب الفؤاد سليبٌ
وما ضربي أن قال أخطأت جاهل إذا قال كل الناس أنت مصيبٌ

وقال الشافعي في حال الفقر

لم يدر طعم الفقر من هو في غنى ومصحح الأعضاء ليس كمبتلي
كم فاقه مستورة بمروءة وضروية قد غطيت بتجمل
وتبسم من تحته قلب شج قد صادفته غمة لا تنجلي
والناس جمعاً عند كل كفوّه والهيم مفترق وما أحد خلي
لو سود الهيم الملابس لم ترَ بيض الثياب على أمرئ في محفل

وقال آخر في احتقار الفقير

الفقر يذري بالفتى دائماً كما اصفرار الشمس عند المغيب
يمر بين الناس مستخفاً وإن خلا يبكي بدمع صيب
وإن يغيب فليس يعبأ به وما له عند حضور من نصيب

والله ما الإنسان في أهله إذا ابتلي بالفقر إلا غريب

وقال صالح بن عبد القدوس

بلوتُ أمور الناس سبعين حجةً وجربتُ صرفَ الدهرِ في العسرِ واليسرِ
فلم أرَ بعد الدينِ خيرَ من الغنى ولم أرَ بعد الكفرِ شراً من الفقرِ

وقال ابن الأحنف

يمشي الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتاً وليس مهنّبٍ ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا نعمةٍ خضعت لديه وحركت أذناها
وإذا رأت يوماً فقيراً عابراً نبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال أبو العتاهية

إذا قلَّ مالُ المرءِ قلَّ صديقُهُ وضاقَت بهِ عما يُريدُ طريقُهُ
وقصَّرَ طرفُ العينِ عنه كلالُهُ وأسرعَ فيما لا يحبُّ شقيقُهُ
ودمَّ إليه خدنه طعمَ عودِهِ وقد كان يستحليه حينَ يذوقُهُ

من تعريب الجالستان في القناعة والصر على الفقر

ومن يرتجي خير الغني فقناعه ينال بها ملك المسرة في هنا
إذا الثري المثري نضاراً على الورى فحاذر بأن لا تنظر الأجر قد دنا

ولكن لقد نص الشيوخ بمسعي على أن صبرَ الفقر يسمو عطا الغنا

وقال الإمام علي

دليلك أن الفقر خيرٌ من الغنى وإنَّ قليل الحال خيرٌ من المثري
لقاؤك مخلوقاً عصى الله للغني ولم ترى مخلوقاً عصى الله للفقرِ

وقال محمود الوراق

يا عائب الغير لا تنزجرُ عيب الغنى أكثر لو تعتبرُ
من شرف القمر ومن فضلهِ على الغني لو صح منك النظرُ
إنك تدعو الله تبغى الغنى ولستَ تدعو الله أن تفتقرُ

فصل عشرون: في صعوبة السؤال

قال الشافعي

قنعتُ بالقوتِ من زماني وصنتُ نفسي عن الهوانِ
خوفاً من الناس أن يقولوا فضلُ فلانٍ على فلانٍ

وقال بعضهم

لا تحسبن الموت موت البلى إنما الموت سؤال الرجالِ
كلاهما موتٌ ولكن ذا أخفٌ من ذاك الذلِّ السؤالِ
نار السعير إذا أذكت في حرملي لم يستعر كدخان قلب السائلِ

قال أعرابي

أيا ملك لا تسأل عن الناس والتمس يكفلك فضل الله واللهُ واسعُ
ولو تسأل الناس الترابَ لأوشكوا إذا قيل هاتوا ان يملّوا ويمنعوا

وقال الامام علي

ما اعتاض باذُل وجهه بسؤاله عوضاً ولو نال المنى بسؤالِ
وإذا السؤال مع النوال وزنته رجع السؤال وخف كل نوالِ
فإذا ابتليت ببذل وجهك سالماً فابذله للتكرم المضالِ

وقال في المن

لنقل الصخر من قلل الجبالِ أحبُّ إليَّ من منن الرجالِ

يَقُولُ النَّاسُ لِي فِي الْكَسْبِ عَارٌ فَقُلْتُ الْعَارُ فِي ذُلِّ السُّؤَالِ
بَلَوْتُ النَّاسَ قِرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ وَكَمْ أَرَّ مِثْلَ مُحْتَالٍ مِمَّالٍ
وَدُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا طَعَمٌ أَمَرَ مِنَ السُّؤَالِ
وَكَمَ أَرَّ فِي الْخُطُوبِ أَشَدُّ هَوْلًا وَأَصْعَبُ مِنَ مَقَالَاتِ الرِّجَالِ

وقال بعضهم

لا تسألن إلى صديق حاجةً فحول عنك كما الزمان يحولُ
واستغن بالشيء القليل فإنه ما صان عرضك لا يقال قليلُ
من عَفَّ خَفَّ على الصديق لقاؤه وأخو الحوائج وجهه مبذولُ
وأخوك من وفرت ما في كَفِّهِ ومتمى علقته به فأنت ثقیلُ

وقال آخر من ذوي الفضل

لما افتقرت لصحبي ما وجدتهم لجأت لله لباني وأضناني
واهٍ على بذل نفسي في اللورى سفهاً ولو بذلتُ إلى مولاي ولأني

وقال آخر محذراً من سؤال الناس

لا تسألن بني آدم في حاجةٍ وسَل الذي أبوابه لا تحجبُ
الله يغضبُ إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضبُ

فصل حادي وعشرون: في حسن الرجا

قال بعضهم

الهي لا تعاقبني فإني مقررٌ بالذي قد كان مني
وما لي حيلةٌ الا رجائي وجودك إن عفوت وحسن ظني
يظنُّ الناس بي خيراً وإني أشرُّ الناس إن لم تعفِ عني

وقال آخر

إذا ابتليت فثق بالله وأرض به إن الذي يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه لا تيسنَّ فإن الفاتح الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لامرئٍ حيلةٌ فيما قضى الله

غيره

تعطف بفضلٍ منك يا مالكَ الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني
لئن أبعدتني عن حماك حطيتي فأنت رجائي شافعي ويقيني
ولست أرى لي حجةً أبغني بها رضاك إن العفو منك يقيني
تأمل صنع ربك كيف تأتي لك السراء مع فرج قريبٍ
ولا تياس إذا ما نلت خطب فكم في الخطب من لطف عجبٍ

وقال آخر

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَّبْتُهُ
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَصْمُدْ لِإِبْلِيسَ عَابِدٌ
جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
تَجُودٌ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمًا
فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدَمًا
أَهْنَى وَأَمَا لِلسَّعِيرِ فَاأَنْدَمَا
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصِيرُ لِحَنَةِ

فصل ثاني وعشرون: في ضيق الحال والتوفيق وعدمه

قال بعضهم

يا قاسمَ الرزق لم فاتتني القسَمُ ما أنت متَّهماً قل لي من اتَّهمُ
إن كان نحمي نحساً أنت تُسعدُهُ فأنت في الحالتين الخضم والحكمُ
أعطيتني حكماً لم تعطني ورقاً قل لي بلا ورق ما تنفع الحكمُ
خذ من علومي شطراً واعطني ورقاً ولا تكلني إلى من شخصه صنمُ

غيره

إلهي قتل صبري واحتيالي وضاق الصدر وانصرفت حبالي
إلى من يشتكى المسكين إلا إلى مولاهُ يا مولى الموالي

وقال آخر

إذا ضاق صدري أستعين بخالقي قدير على تيسير كل عسيرِ
فقبل ارتدادِ الطرف من لطفِ ربنا فكأكَ أسير وانجبار كسيرِ
فسلم إلى الله الأمور جميعها فأفضالهُ يدريها كل بصيرِ

غيره

وإذا السعادة لاحظتك عيونها ثم فالمخاوف كلهنَّ أمانُ
واصطد بها العنقاء في حباللُ واقتد بها الجوزاء فهي عنانُ

غيره

فإن سخر الرحمان للعبد رزقهُ تساعدهُ الأيام من كل جانبِ
وإذا السعادة لاحظت عبد الشرا نفدت على ساداته أحكامه
ولو كللت شعر العديم علومهُ فما نفعها والطلعُ النحس حاضراً
ماذا أخاضك يا مغرور بالخطر حتى هلكت فليت النمل لم يطر
إذا أقبلت وهبت محاسنَ غيره وإن أدبرت سلبت محاسن نفسه

وقال بعضهم

من قسمة الله مولانا وخالقنا أعطى أناساً وأرضاهم وما سألوا
ونحن لما سألنا الورق قال لنا أنتم مفاليس روحوا اسألوا وكلوا

فصل ثالث وعشرون: في القلم

قال أبو الفتح البستي

إذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم وعدّوه مما يكسبُ المجد والكرمُ
كفى قلم الكتاب فخراً رفعةً مدى الدهر أن الله أقسم بالقلمُ

وقال أيضاً

إن هزّ أقلامه يوماً ليُعملها أنساك كلّ كميّ هزّ عامله
وإن أقرت على رقي أنامله أقرّ بالرق كتاب الأنامله

وقال بعضهم

إذا فتحت دواة العزّ والنعم فاجعل مدادك من جودٍ ومن كرم
واكتب بخيرٍ إذا ما كنت مقتدرًا بذاك يا صاحٍ تزهو نسبة القلمِ

وقال آخر

له قلمٌ عمّ الأقاليم نفعه بتوقيعه للعالمين منافعُ
وخمسة أنهار أنامله التي تسيلُ على الأقطار خمس أصابعُ

وقال آخر

أقلامه تحكي الرياح فكّم بها أضحى طعيناً ما به أمسى رمق
وإذا انتضى سيف اللسانِ مناظراً فيه يموتُ من المخافة من رمق

وقال ابن الرومي فضلاً القلم على السيف

إن يخدم القلمَ السيفُ الذي خضعتُ له الرقابُ ودانت خوفه الأممُ
فالموتُ والموتُ لا شيءٌ يغالبُهُ ما زال يتبع ما يجري به القلمُ
كذا قضى الله للأقلامِ ما بُرئتُ أن السيوفَ لها ما أُرهِفَتْ خدَمُ

وقال المتنبى مفضلاً السيف على القلم

إني رجعت وأقلامي قوائِلُ لي المجدُ للسيفِ ليس المجدُ للقلمِ
أكتب بنا أبداً قبل الكتابِ بهِ المجدُ للسيفِ ليس المجدُ للقلمِ

وقال آخر

وأجوفٍ مشوق كأن سنانهُ إذا استعجلته الكفُّ منقار لاقطِ
وتاةً به قومه فقلتُ رويدكم فما كاتبٌ بالكفِّ إلا كشارطِ

فصل رابع وعشرون: في الكتابة

من عقائد العقيان

نسبت الكتابة من نسيم نسيم المسك في خلق كريم
وقد كانت عفت فأنرت منها سواجاً لاح في الليل البهيم
فتحت من الكتابة كل باب فصارت في طريق مستقيم

وقال كشاجم

وإذا مُنمت بنانك خطأً معرباً عن كلاحه وسداد
عجب الناس من بياض معانٍ تجتلي من سواد ذاك المداد

وقال بعضهم

ربع الكتابة من سواد مدادها والربع حسن صناعة الكتاب
والربع من قلم تقوم بريه ومن الكواغد رابع الأسباب

وقال الوزير محمد بن الجيد من نوع الهجو

رأيت الكتابة والجاهلين وقد لبسوا عزها لامه
فقلت لكل فتى كاتبٍ بديع الفصاحة علامه
إن عز غيركم بالمداد فلا أنبت الله أعلامه

وقال بعضهم محذراً

وما من كاتبٍ إلا سيفني ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

وقال آخر داماً الخط

وما الخط إلا الخطُّ صُحِفَ لفظه فإن تك ذا حطُّ فإنك ذو خطُّ
فبالخطِّ بين الناس أنت مخطأء وبالخطِّ صوب رأي من شئت أو خطُّ

وقال ابن عروس يذم الكتابة

تعس الزمان قد أتى بعجائبٍ ومحى رسوم الظرف والآدابِ
فأتى بكتّابٍ أو انطلقت يدي فيهم رددتْهمُ إلى الكتابِ

وقال آخر

لا تحسبوا أنّ حسن من الخطِّ ينفعي ولا سماحة كفِ الحاتم الطائي
وإنما أنا محتاجٌ لواحدةٍ لنقل نقطةٍ حرفِ الخاءِ للطاءِ

فصل خامس وعشرون: في المراسلات والسلامات

قال ابن معتوق

سلامٌ حَكَى فِي حُسْنِهِ لَوْلَوْ الْعِقْدِ وَصُمِّخَ مِنْهُ الْجَيْبُ بِالْعَنْبِرِ الْوَزْدِ
وَأرَوَى تَحِيَّاتٍ تَغْنَى بِرَوْضِهَا حَمَامُ الثَّنَا شُكْرًا عَلَى فَنَنِ الْوُدِّ

قال بعضهم

وَكَتَبْتَ تَوْهَنَ لِلنَّوَى أَمِيالِهَا هِيَهَاتَ أَمِيالَ النَّوَى أَعْوَامُ
لَوْلَا الصَّحِيفَةُ مَا سَلَوْتُ فَإِنِهَا قَدْ قَامَ مِنْهَا مَا عَلِمْتَ مَقَامُ
وَصَلَّتْ إِلَيَّ مَعَ الْأَصِيلِ وَإِنَّمَا وَصَلْتَ إِلَيَّ حَدِيقَةَ وَمَدَامُ
بَرْدٍ مِنَ الْكَافُورِ نَمَمٍ دَرَجُهُ مَسْكَاً وَزَرَ عَلَيْهِ مِنْهُ خَتَامُ
مِنْ قِطْعَةٍ هِيَ قِطْعَةُ الدِّيَاجِ أَوْ هِيَ قِطْعَةُ الْبِسْتَانِ وَهِيَ كَلَامُ

وقال ذو الوزارتين الحسن جعفر

سَلَامٌ كَمَا نَمَتْ بِرَوْضِ أَزَاهِرُ وَذَكَرْتُ كَمَا نَامَتْ عَيُونُ سَوَاهِرُ
تَحِيَّةٌ مِنْ شَطَطٍ بِهِ عَنْكَ دَارُهُ وَأَنْتَ لَهُ قَلْبٌ وَسَمْعٌ وَنَاطِرُ
فِيَا سَيِّدَ السَّادَاتِ غَيْرِ مَدَافِعِ وَيَا أَوْحَدَ الدُّنْيَا وَلَا مِنْ يُفَاخِرُ
لَكَ الشَّرْفُ الْأَسْمَى الَّذِي لَاحَ وَجْهُهُ كَمَا لَاحَ وَجْهُ الصَّبْحِ وَالصَّبْحُ سَافِرُ

وقال الخوري نيقولا

سَلَامٌ يَفُوقُ الْمَسْكَ وَالنَّدَى نَفْحَةً تَضْمَنُ شَوْقًا لَيْسَ يَحْصِرُهُ الْحَدُّ
يَبْلُغُ مِمَّنْ ذَابَ شَوْقًا وَحَرَقَةً لِمَنْ نَيْسَ يَحْصِي فَضْلَهُ الْحَدُّ وَالْعَدُّ

من قلائد العقيان

سلامٌ كأنفاس الأُحبة موهنا سرت بشذاها العنبري صبا نجدِ
سلامٌ كإمياض الغزالةِ بالضحى إلى الروضة الغناء غب الحيا العدى
على من تحداني بمعجز شعره فأعجز أدنى عفوه منتهى جهدي

ومنه أيضاً

سلامٌ يُناجي منه زهرَ الرُبي عُرْفُ فلا سَمَعِ إِلَّا وَدَّ لَو أَنَّهُ أَنْفُ
حنيني إلى تلك السجايا فإنَّها لِأَثَارِ أعيانِ المَساعي التي أقفو
فَأَنْتَ الَّذِي لَوْلَاهُ ما فَاةَ لي فَمِّ وَلَا هَجَسْتَ نَفْسٌ وَلَا كَتَبْتَ كَفُّ

ومنه أيضاً

سلامٌ كما حيتك عاطرةُ النشْرِ وإلا كما هبَّ النسيمُ مع الفجرِ
وودُّ كما سلسلت صافيةِ الطلا وعهدٌ كما راقت خدودٌ من الزهرِ
وذكرٌ كما غشَّت حمامةُ أَيْكَةٍ وشوقٌ كما حنَّ الحمامُ إلى الوكرِ
تحيهٌ من يفديك من كل حادثٍ وقيتَ الردى بالنفسِ والأهلِ والوفْرِ

وقال بعضهم

كتبْتُ إليك والعبرات تجري ودمعُ العين ليس له انقطاعُ
ولستُ بئائس من فضل ربي عسى يومٌ يكون به اجتماعُ

وقال صفي الدين الحليّ

بالله لا تقطعوا عنا رسائلكم فإن فيها شفاء القلبِ والبصرِ

وأنسونا بها إن عزَّ قربكمُ فالأنسُ بالسمع مثل الأنس بالبرِّ

وقال أيضاً

ولما سطرْتُ الطرسَ شوهدت لفظهُ وجئتُ بما شاهدت من لحنه عمدا
عساك ترى عيباً به فنزدهُ جواباً لأن العيب يستوجب الردَّ

وله أيضاً

لقد اشتاق سمعي منك لفظاً وأوحشني خطابك بعد بيني
فاودع طيبَ لفظك لي كتاباً لأسمع ما تخاطبني بعيني

وقال بعضهم

ولو أن ينبوع المياه محابراً وكل نباتٍ في البسيطة أقلامُ
وراموا بأن يحصوا إليك تشوقي لما أدركوا معشار عشر الذي راموا

وقال آخر

سلام عليكم ما أمرَ فراقكم وما أظلم الدنيا لديّ وأوحشا
سألْتُ الذي يجري الرياح بأمره تقريبكم بعد البعاد كما يشا

غيره

سلام مشوقٍ قد براه التشوقُ على جيرة الحي الذين تفرقوا
وإني امرءٌ أحببتكم لكارمٍ سمعتُ بها والأذن كالعين تعشقُ

غيره

سلامٌ على تلك الجبال وأهلها سلامٌ مُحبٌّ لا يغير المدى
إذا ما مضى دهرٌ وعمٌّ وانقضى ترى حبه ينمو جديداً كما بدا

وقال آخر

سلامٌ كلما أبديت يدي لرؤياكم حريقي والتهابي
إليكم سادتي رقوا وجودوا لمضناكم بإرسال الكتاب

غيره

ولما سطرْتُ الطرس ناداهُ ناظري سامحوك من فيض المدامع بالوبل
كلانا سوادٌ في بياضِ فما الذي خصت به حتى تشاهدهُ قبلي

غيره

كتبْتُ إليك والعبرات تمحو سطوري والغرام عليّ يمي
وقد أرسلت روحي في كتابي ولو إني استطعت لكنتُ كلي

غيره

كتبْتُ وقلبي يعلم الله عندكم يحنُّ إليكم حين يمسي ويصبحُ
وعندي من الأشواق بها أو شرحتهُ لطال ولكني لستُ أشرحُ

فصل سادس و عشرون: فيما يكتب بالأجوبة

من عقائد العقيان

ورد الكتاب به فرحاً كأنني نشوان راحٍ من ثياب تبخرِ
لما فضضت ختامه فتبجّلت بيض الأماني من سوادِ الأسطرِ
قُبِلْتُ من فرح بن خدّ الثرى شكراً ولا حظّ لمن لا يشكرُ

وقال أيضاً

خليلي سيرا وأربعا بالمناهلِ ورداً تحيات الخليط المزائلِ
فإن سال الأحاب عني تشوقا فقولا تركناه رهين البلايلِ

وقال بعضهم

سلوا كتابي عما خطّه قلّمي فالرسمُ يخبرُ عن وجدي وعن ألمي
يدي تخطّ ودمعُ العين منهملٌ قد يشتكي الشوقُ للقرطاس من سقمي
ما زال دمعي على القرطاس منسكباً إن انقضت أدمعي اتبعها بدمي

وقال أبو الفتح البستي

لما أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كل فضلٍ ووعظٍ غير محدودِ
حكمت معانيه في أثناء أسطره أشارك البيض في أحوالي السودِ

وقال بعضهم

كتبْتُ أشكو إليكم بعض حبكمُ وألغازُ في كبدي من أجل بُعدكمُ

إني على العهدِ إلا أنساكم أبداً وكيف وكيف ينساكم قلبٌ يجبكم

غيره

أتاني كتابٌ منك عند ورودهِ أضأت له الدنيا وزال همومها
وفاح نسيم المسك من على نشرهِ فنذرتُ أياماً عليّ أصومها

غيره

يا نسيم الجنوب بالله بلغ ما يقول المتيمُّ المستهامُ
قل لأحبابه فداكم فؤادٌ ليس يسلو ومقلّةٌ لا تنامُ

غيره

يا طرسي قبل راحتيه وقل له هذا إليك تحيةُ المشتاقِ
لو يستطيع لكان بين حروفهِ كيما يفوز بنظرةٍ وتلاقِ
ولقد أبان الدمعُ بعد فراقكم ما كان يمكنهُ من الأشواقِ

غيره

ولما أتاني من عزيز جنابكم كتابٌ كريم باهي اللفظ والمعنى
سرت به حتى ظننت بأنه كتابي وقد أوثقته بيدي اليمنى

وقال حسام الدين المعروف بالمحاجر

وصل الكتاب كتابكم فأخذته ولصقته من حرقه بفؤادي
فكأنكم عندي نهاري كله وإذا رقدت يكون تحت وسادي

وقال بعضهم

أناني كتاب من حبيب أحبه فهيج بي شوقاً وأجرى مدامعي
فأقسمت بالرحمان ما نمت بعده من الشوق إلا والكتاب مضاجعي

غيره

وقفت على ما جاءني من كتابكم فكان لآلام القلوب مداويا
فهيج بي شوقي وما كان كامناً وأذكرني عهداً وما كنت ناسيا

نلتُ من ودك الجميل انتصافي حيث من سائر الأذى أنت صافي
وتيقنت مذ أذنت لكتبي أن توافي بأن لي أنت وافي

غيره

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة تراكم ترونا بالقلوب على البعد
ولستُ ألد العيش حتى أراكم ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

غيره

إذا غبت لم أجزع لبعده مفارقٍ سواك ولم أفرح بتقربٍ مقيمٍ
فيا ليتني أفديك من غربة النوى بكل خليلٍ صادقٍ وحميمٍ

غيره

إن كان صرّف الليالي عنك يبعدي فإنّ قلبي وروحي عنك ما بعدا

أو كنتُ أعطى المنى والأمر أجمعهُ وكان لي الحكمُ ما فارقتكم أبدا

أفدي سطوراً من كتابك أقبلت بعد البعاد وأذنت برجع
قبلتها فاحمّر وشي حروفها فكأنني رملتها بدموعي

غيره

منى السلام على من لستُ أنساهُ ولم يملُّ لساني قط ذكره
إن غابَ عني فإن القلب مركزه ومن يكونُ بقلبي كيف أنساهُ

فصل سابع وعشرون: في المودة وشكوى الفراق

قال أبو فراس

أودك ودّاً لا الزمان يببدهُ ولا النأي يفنيه ولا الهجر يألمه
واني لذو صبرٍ على النأي والجفا إذا لم يكن قلبي فالذي أنا صارمهُ
ولو رمت يوماً أن تروم صابتي إليك أزال الشوق ما أنا رائمهُ
فواعجباً للسيف لما انتضيته من الجفن لم يورق بكفك قائمهُ
وياعجباً للطرف لما ركبتهُ غداة الوري كيف استقلت قوائمهُ

وقال ابن المواز

رحتُ يوم الفراق أجرى دموعي حسرةً إذ قضي الفراقُ ببيني
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى أوقف الدمعَ قلت من بعد عيني

وقال بعضهم من نوع التوزيع

قلبي رشفت براشق الأحداقِ وقصدت قتل العاشقِ المشتاقِ
رفقاً بحقك من قلاك تحرقني وتأرقني لتفرح الأماقِ
قد قلتُ من حرقٍ بقلبي وقدها اقصر فإنَّ القلبَ في احراقِ
أوثقت رقى إن عشقت قوامهُ فترفقي باقٍ على الاطلاقِ
قد راق لي القلب الوريق وشاقني قمرٌ شريفٌ فاق في الآفاقِ
قد رقى من أرقى الفراقد فابق لي رمقاً ورقاً وراقني بتلاقي

قال البياض

لقد مدَّ الفراق إلى جفوني أكف الدمع فاستبلت فؤادي
كأنَّ العين تشرب من دموعي فتنبت أرضها شوك القتاد

وقال الشريف الموسوي

لا تحسبوا إذا البعد غيّرني فالبعد غير مغيرٍ عهدي
وإذا الفتى حسنت رعايتهُ في الغرب ضاعفها على البعدِ

وقال أبو العباس بن أحمد الضبي

ولا تركزنَّ إلى الفراق فإنه مُرّ المذاق
فالشمس عند غروبها تصفرُّ من ألم الفراق

وقال آخر

تو دار مرتاد المنية لم يجد غير الفرات إلى النفوس سبيلا
إني نظرت إلى الفراق فلم أجد للموت لو فقدَ الفراق سبيلا

لقد طال هذا الليلُ بعد فراقكم وعهدي من قبل الفرات قصيرُ
فكيف أرجي الصبح بعدَ بعادكم وغابت شمسُ منكم وبدورُ

وغيره

تضيّق عليّ الأرضُ خوفَ فراقكم وأيّ مكانٍ لا يضيّق بخائفٍ
وما أسفي إلا على التقرب بينكم ولستُ على شيءٍ سواه بخائفٍ

وقال عبد العزيز الماجشون

وقفتُ يوم النوى منهم على بُعدٍ ولم أودعهم وجرماً واشفاقاً
إنني خشيتُ على الأظعان من نفسي ومن دموعي احراقاً واغراقاً

غيره

كنا على ظهرها والدهرُ يجمعنا والجمعُ مشتملٌ والدارُ والوطنُ
فمزقَ الدهرُ بالتغريقِ الفتنا وصار يجمعنا في بطنها الكفنُ

فرافك أسكن الأحزان قلبي وغيّرَ حالتي ونفى رقادِي
وفرّق بين جفني المنامِ واكفف بين جفني والسهادِ

غيره

فرافكم سرعةً ما كان في أملي يا من بنار نواهم أحرقوا كبدي
كنتم سروري وكان الدهر يجمعنا وكنتم مشتكى حزني وطوع يدي

غيره

يا راحلاً وجميلُ الصبرِ يتبعهُ هل من سبيلٍ إلى لقياك يتفكُّ
ما أنصفتك دموعي وهي صافيةٌ ولا وقي لك قلبي وهو يحترقُ

لما لبستُ لبعدهِ ثوبَ الضنا وغدوتُ من ثوبِ اصطباري عارياً
اجريتُ وقف مدامعي من بعدهِ وجعلتهُ وقفاً عليه جارياً

وقال حسام الدين الحاجري

وَاحْفَظْ عُهُوداً بِالْجَمَى عَاهَدْتَنِي أَيَّامَ كُنْتَ مُنَادِمِي وَمُسَامِرِي
أَنَارُ ذَاكَ الْقُرْبِ بَيْنَ جَوَانِحِي وَخَيَالُ ذَاكَ الْعَيْشِ بَعْدُ بِنَاطِرِي
خَطَرَتْ بِقَلْبِي مِنْكَ كُلُّ عَجِيْبَةٍ إِلَّا فِرَاقَكَ لَمْ يَكُنْ فِي خَاطِرِي

وقال الفرزدق بن غالب التميمي

رحلت جمالهم بكل أسيلة تركت فؤادي هائماً مخبولا
لو كنت أملكهم إذا لم يرحلوا حتى أودع قلبي المتبولا
ساروا بقلبي في الحُدوج⁽¹⁵⁴⁾ وغادروا جسمي يعالج زفرة و عويلا

وقال بعضهم

قد أودعوا قلبي النوي إذ ودَّعوا وناء السرور وقد دنت أحزاني
من بعدهم يا ما جرى لي بعدهم قد أوحشوا من إنسهم أوطاني
فلأبعثن مع النسيم إليهم شكوى تميل لها غصون البانِ

وقال آخر من نوع الانسجام

استغفر الله إلا عن محبتكم فإنها حسناتي يوم ألقاهُ
فإن يقولوا بأن الحبَّ معصيةٌ فإنما الإثم ما يعصى به الله

وقلت مرةً

حان الفراق يا حباب حانا والوردُ فتَّحَ حُفَّ الريحانا

نادى بفرقتنا غرابٌ أسودٌ يبليه ربي فيما قد أبلانا
هنا لمن دام الحبيبُ نديمه معه يمضي الوقت والأمانا

غيره

شكى ألم الفراق الناس قبلي ورؤع بالنوى حيٌّ وميتٌ
ولما مثلما ضمننت ضلوعي فإني لا سمعت ولا رأيتُ

وقال نصري الطرابلسي في وداع لويس روس

قنصل دولة فرنسا الفخمة

لقد شطا قلبي يوم سارت حملوكم بسفح قُويق⁽²⁵⁴⁾ حيث أظعانكم تحدى
ودارت كؤوس اللثم عند وداعنا وقد وخذت أيدي المطايا بكم وخدا
لحا الله أيام النوى ما أمرها فما أقبلت إلا وشمته المردا
أجباي لا والعهد ما خنتكم به ولا كان صبّ حال أو نكت العهدا

وقال أيضاً

خذوا حديث الهوى العذري من سقمي فالحبُّ حيث وجود الجسم كالعدم
وسألوا عن فؤادي السائرين ضحىً فإنهم أخذوا قلبي مع الخيم

وقال بعضهم

وحقُّ الهوي ما غير البعد عهدكم وما أنا ممّن للعهود يخونُ
وعندي من الأشواق ما أو شرحته لذي الناس قالوا قد عراه جذونُ

قال الطيب لتقومي حين جسّ يدي إنّ فتاكم وربّ البيت مسحورُ
فقلت ويحك قد قاربت في ضعفي غير الصوابِ فهلا قلت مهجورُ

وقال عمر بن الفارض

وأسال نجومَ الليل هل زار الكرى جفني وكيف يزور من لم يعرف

لا غروَ إن شحّت بغمض جفونها عيني وسحّت بالدموع الدّرفِ
وبما جرى في موقف التوديع من ألم النوى شاهدتُ هولَ الموقفِ

وله أيضاً

ما أمر الفراق يا جيرة الحي وأحلى التلاقِ بعد انفرادِ
كيف يلتدُّ في الحياةِ معنَى بين أحشائه كورِي الزنادِ

وقال بعضهم

مددت إلى التوديع كفاً ضعيفَةً وأخرى على الرضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد منكم ولا كان ذا التوديع آخر زادي

وقال الراجاني

سأضمُرُ بالأحشاء عنكم تحترقا وأظهر للواشين عنكم تجلدا
وأمنع عيني اليوم أن تكثر البكا لتسلم لي حتى أراكم بها غدا

وقال بعضهم

ولما وقفنا للوداع عشيةً وطرفي وقلبي دامعٌ وخفوقُ
بكيّت فأضحكت الوشاةَ شماتةً كأني سحابٌ والوشاةُ بروقُ

غيره

أشكو إلى الله ما لاقيتُ من حرقِ يوم الفراقِ وما قاسيتُ من ألمِ
لو لم يكن في جناني رسم صورتمكم وفي لساني ثناكم ذبتُ من ندمي

وقال حسام الدين

روحي لفدا لغائبٍ ودَّعتهُ والطرفُ يذري الدمعَ من أعماقه
لو إنني انصفتُهُ ووفيتهُ بعهوده ما عشتُ بعدَ فراقه

فصل ثامن وعشرون: في عدم حفظ المودة والاخاء

قال البحري

إياك تغتزّ أو تخدعك بارقةً من ذي خداعٍ يرى بشراً وألطافاً
فلو قلبت جميع الأرض قاطبةً وسرت في الأرض أوساطاً وأطوانا
لم تلق فيها صديقاً صادقاً أبداً ولا أخاً يبذل الانصاف إن صاق

وقال الإمام علي

تَغَيَّرَتِ الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ وَقَلَّ الصِّدْقُ وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ
وَأَسْلَمَنِي الزَّمَانُ إِلَى صَدِيقٍ كَثِيرِ الْعَدْرِ لَيْسَ لَهُ رَعَاءُ
وَرُبَّ أَخٍ وَفِيَتْ لَهُ بِحَقِّ وَلَكِنْ لَا يُدومُ لَهُ وَفَاءُ
أَخْلَاءٍ إِذَا اسْتَغْنَيْتْ عَنْهُمْ وَأَعْدَاءٍ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ
يُدِيمُونَ الْمَوَدَّةَ مَا رَأَوْنِي وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْلِقَاءُ
وَإِنْ غُنَيْتُ عَنْ أَحَدٍ فَلَانِي وَعَاقَبَنِي بِمَا فِيهِ اِكْتِفَاءُ

وأيضاً

ذهبَ الوفاةَ ذهابِ أَمْسِ الذَّاهِبِ والناسِ بينِ مَخَاتِلٍ ومَوَارِبِ
يغشونَ بينهم المودةَ والصفاءَ وقلوبهم محشوةٌ بعقاربِ

ماتَ الوفاءَ فلا رَفْدٌ ولا طمَعُ في الناسِ للناسِ إلا اليأسُ والجزعُ
فاصبرِ على ثقةٍ باللهِ وأعينِ به فاللهُ أكرمُ مرجوًّا ويتبعُ

وقال أيضاً

ولا خير في ود امرئ متلونٍ إذا الريح مالت مال حيث تميلُ
جواد إذا استغيت عن أخذ مالهٍ وعند احتمال الفقر عنك بخيلُ
فما أكثر الاخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليلُ

وقال بعضهم

خليلي جربت الزمانَ وأهلهُ فما نالني منهم سوى الهمِّ والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجدُ خليلاً يوفي بالعهودِ ولا أنا

غيره

جنايةُ أبناءِ الزمانِ أعدّها عليّ جميلاً ليس فيه خفاءُ
لتصديقهم ماء الفؤاد كتبتُهُ بأن ليس في هذا الزمان وفاءُ

وقال ابن الوردي معاتباً

محبتكم كالورد لوناً وريحةً وعمّا قليلٍ تنقضي مدة الوردِ
وحبي لكن كالأس في اللون والبقا مقيمٌ على الحالينِ في الحرِّ والبردِ

وقال الوزيرُ ابن مقلّةٍ بعد رجوعه لوظيفته

تحالفَ الناس والزمانُ فحيث كان الزمانُ كانوا
عداني الدهر نصفَ يومٍ فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عنا عودوا فقد عادَ الزمانُ

من عقائد العقيان

أخ لي كنت آمنه غرورا يسرُّهما أساء به سرورا
هو السم الذعاف لشاربيه وإن أبدى لك الرأى المشورا
ويوسعني أذى فأزيد كما جذ الذبال فزاد نورا

من ديوان الجالستان

ليس الصديق الذي في اليسر يطلبُ في شرح الودادِ وببيدي حسنِ صحبتِه
إن الصديق الذي يعفو بأخذ يدٍ للخلِّ في عجزه حسماً لحيتهِ

وقال بعضهم

قد كنت أبكي على ما فات من فرحٍ وأهل ودي جميعاً غير أشتاتِ
واليوم فرَّق ما بيني وبينهمُ دهري فابكي على أهل الموداتِ

وقال المأمون

إن أخاً الهيجا من يسعى معك ومن يضرُّ نفسه لينفك
ومن إذا ريب زمانٍ صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

وقال بعضهم

وليس أخي من ودني بلسانهٍ ولكن أخي من ودني وهو غائبُ
ومَن ماله مالي إذا كنتُ معدماً ومالي له أن أعوزتهُ النوائبُ

وقد قيل تحريضاً

فكن حافظاً عهد الصديق وراعياً تذق من كمال الحفظ صفو المشارِ
وكن صاحباً للودِّ في كل مشهدٍ فما الحبُّ إلا خير خدنٍ وصاحبِ

وكل محبةٍ في الن تبقَى على الحاليين من فرجٍ وضيقِ
وكل محبةٍ فيما سواهُ فكالهلفاءِ في لهبِ الحريقِ

فصل تاسع وعشرون: في طلب الوفاء بالوعد

قال بعضهم

إذا قلت في شيء نعم فأتمه فإن نعم دَيْنٌ على الحرِّ واجبٌ
وإلا فقل لا تسترخَّ وترح بها لئلا يقول الناس أنك كاذبٌ

وليس كريماً من يجودُ بموعِدٍ ويمطلُ حتى ينقضي بعتابِ
ولكنه من يتبع الوعد مسرعاً جزيلاً ثوابِ وجميل جوابِ

ومما عاتبْتُ شخصاً مرةً

أيا فلان فكوا أسَرَ حالي فماذا المدغِ من شرفِ الموالي
فتوعدي مساءً في غداةٍ وما للغدِ وقتٌ في المطالِ
فانجزني بما بالأمس قلتُم تام الوعد من شيم الرجالِ

غيره

شكاك لساني ثم أمسكت نصفه فنصف لساني بامتداحك ينطقُ
فإن لم تجزني ما وعدت تركتني وباقي لساني بالمدمة مطلقُ

وقال بعضهم أيضاً

لا كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدٌ إلا بما تجدُ
فلا تعدَّ عدةً إلا وفيت بها واحذر خلافاً مقالٍ للذي تعدُّ

فانجز ما وعدت به وتمم فما المعروف إلا بالتمام
مواعيدُ الكريم عليه دينٌ ولا سيما لمثلك بالكرام

وقال صفي الدين الحلبي

أ إذا متنا نرى وعدكم أم إذا كنا تراباً وعاما
قد مضينا العمر في مطلقكم ووطننا وعدكم كان مناما

وقد أجاد بعض الأعراب بما قال

أظلت علينا منك يوماً سحابةً أضاء لها برقٌ وإبطاء رشاشها
فلا غيمها يجلي فييأس طامعٌ ولا غيثها يأتي فتروى عطاشها

وقال آخر

ها قد رأيتك في كمال سعادةٍ إن كانَ معروفٌ فهذا وقتهُ
يا سيداً لي قد تقدم وعدهُ وتأخر الإنجاز فيما رُمتهُ

غيره

أنعم بوعدك لي فهذا وقتهُ الوعد أحسنُ ما يكون معجلاً
يا من غدا بالمكرمات ومن إذا نودي أجاب تكرماً وتفضلاً

وقال آخر

باتت لو عدت عيني غير راقدةٍ والليل حتى الداجي منيت السحرِ

هذا وقد بتُّ من وعدٍ على ثقةٍ فكيف لو بتُّ من هجرٍ على حذر

غيره

ولقد وعدتَ وأنتَ أكرمَ واعدٍ لا خيرَ في وعدٍ بغيرِ تمامٍ
أنعم عليَّ بما وعدتَ تكرمًا فالمطلُّ يذهبُ بهجةَ الأنعامِ

وقال صالح اللخمي

لئن جمع الآفات فالبخل شرها وشراً من البخل المواعيدُ والمطلُّ
ولا خير في وعدٍ إذا كان كاذباً ولا خير في قولٍ إذا لم يكن فعلُ

وقال آخر

لعبدك وعدٌ قد تقدّم ذكره فأولُه حمدٌ وآخرُه شكرُ
وقد جمعت فيك المكارم كلها فما لك من تكريمٍ عكرمةٍ عذرُ

فصل ثلاثون: في العتاب

قال ابن الرومي

اتخذتم درعاً حصيناً لتدفعوا نبال العدا عني فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصرٍ على حين خذلان اليمين شمالها
فإن كنتم لا تحظوا لمودتي ذماماً فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف المستور عني بمعزلٍ وخلصوا نبالي للعدا ونبالها

من عقيدة العقيان

لحى الله قلبي كم يحنُّ إليكم وقد بعتمُ حظي وضاع لديكمُ
أما نحن أنصفنا أيكم من نفوسنا ولم تنصفونا فالسلام عليكمُ

وقال بعضهم

أعاتب ذا المودة من صديقي إذا ما رابني منه اجتنابُ
إذا ذهب العتابُ فليس ودُّ ويبقى الودُّ ما يبقى العتابُ

وقال علي الباطني من نوع المراجعة

قال الحبيب قد أبحت بسرنا جهراً فقلتُ يا خيلي من نَقْلُ
قلت الحسودُ قال كلا قلتُ مَنْ قال المتيمُّ قلتُ حاشا ثم كَلْ
قال تقدم أشغلت قلبك بالسوي فأجبت يوماً عنك قلبي ما اشتغلُ
قال الفؤاد قد سلى قلت انسلى فال احتمي بالصبر قلت فما أحتملُ
قال انتهِ عني وحلِّ يا مُدعي فأجبتُ ما يوماً لعقدي منك حلُّ

قلت الحيوة لا أنت هي لا انتهي عنها فقل لي يا حبيبي ما العمل

وقال صفي الدين الحلي

وعودتني من الجميل فإن يكُنْ جفاك لأمرٍ موجبٍ فجميلٌ
ولو كان لي في ذاك ذنبٌ فمنطقي قصيرٌ وإلا فالعتابُ طويلٌ

وقال ابن سنان الخفاجي

أعددتكم في دفع كل ملمةٍ عوناً فكنتم عون كل ملمةٍ
واتخذتكم لي جنهً فكأما نظر العد ومقابلي من جنتي
فلأنفضن يدي يائساً منكم نفص الأنامل من تراب الميـت

وقال بعضهم

إذا ما كنت منكر كل ذنبٍ ولم نجدل أخاك عن العتابِ
تباعد من تقاتل بود قربٍ وصار به الزمان إلى عتابِ

خبأت لكم حديثاً في فؤادي لأخبركم به عند التلاقي
أعاتبكم على ما كان منكم عتاباً ينقضي والودُّ باقي

وقال أيضاً صفي الدين الحلي

يا مانحي محض العهود ومانعي حفظ العهود ومجنتي معروفه
لي كل يومٍ منك عذرٌ حاضرٌ وأخاف ان يفضي إلى تصحيفه

وقال معاتباً صديقاً له

أعود حماركم في كل يومٍ إذا ما ضره فرط الشعير
ويمرضني التألم في جفاكم ولم أر عائداً لي من زفيري
فإن يك ذات حق جزاي منكم لإفراط المحبة في ضميري
فشكر للمحبة إذا حططتم بها الأصحاب عن قدر الحمير

وقال أبناء في الجواب

لا والذي جعل المحبة مانعي من أن أجازي سيدي بجفائه
ما حلت الأيام موثق حبه عندي ولا حالت عهدود وفائه
ودليل قلبي قلبه وفؤاده كوداده وصفائه وه كصفائه

وله في المعنى

كلنا على ما عودته طباعه مقيم وكل في الزيادة يجهد
لكم مني الود الذي تعهدونه ولي منكم الهجر الذي كنت أعبد

وقال أيضاً

اقرأ كتابك واعتبره قريباً فكفى بنفسك لي عليك حسيباً
أكذا يكون خطاب أخوان الصفا إن راسلوا جعلوا الخطاب خطوباً
ما كان عذري أن أجيب بمثله أو كنت بالعتب العنيف مجيباً
لكنني خفت انتقاض مودتي فيعيد احساني إليك ذنوباً

وقال المطران جرمانوس

هذا سلامٌ والصدورُ رحابٌ وهو المنازل في الفوائد حرابٌ
تغدو به الأشواق نحو أحيّةٍ سيماؤهم أن لا يرد جوابٌ
وأراعني صوت يتجاوبه الصدى ألف نريحٌ والبلادُ خرابٌ

وقال عمر بن الفارض

هَبِّكَ أَنْ اللاحي نهاهُ بجهلٍ عنك قل لي عن وصله من نهاك
وإلى عشقك الجمالُ دعاهُ فإلى هجره تُرى من دعاكا
أترى من أفتاك بالصدِّ عنى ولغيري بالودِّ من أفتاكا

وقال بشار بن برد

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه
فعرش واحدٌ أوصلُ أخاك فإنه مقارف ذنباً مرةً ومجانِبُهُ
إذا كنت لا تشرب شراباً على القذى ظمئت وأي الناس وصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى نبلاً أن تعد معايِبُهُ

وأيضاً قال بعضهم في ذم العتاب

إن بعض العتاب يدعو إلى الحقدِ ويؤذي به المحبُّ الحبيبا
فإذا ما القلوب لم تضمّر الود دَ فلن يعطفَ العتابُ قلوبا

فصل: حادي وثلاثون في حفظ السر

قال ابن الخطير

لا يكتتم السر إلا كل ذي ثقةٍ والسُرُّ عند خيار الناس مكتومٌ
فالسر عندي في بيتٍ له غلقٌ ضاعت مفاتيحهُ والباب مختومٌ

وقال بعضهم محذراً

وصاحب من صاحبت بغير حرصٍ ولا تودعهُ أسرار الفؤادِ
فبعض الناس ظاهرهُ بياضٌ وباطنهُ فأحلك من سوادِ

صن السر من كل مستصحِبٍ وحاذر فما الرأي إلا الحذر
أسيرٌك سرُّك إن صنتهُ وأنت أسيرٌ له إن ظهر

وقال آخر

إذا المرء أبدى سوءة من لسانهِ ولامَ عليها غيره فهو أحمقُ
إذا ضاق صدرُ المرء عن كتَم سرِّه فصدرُ الذي يستودعُ السرَّ أضيْقُ

كل علمٍ ليس في القرطاس ضاعُ وكل سرٌّ جاوز الاثنين شاعُ

وقال الإمام علي

فلا تفشِ سرَّك إلا إليك فإن لكل نصيحٍ نصيحاً
فإني رأيت غواة الرجال لا يتركون أديماً صحيحاً

وله أيضاً

لا تفسر سرّاً ما استطعت إلى امرء يفشي إليك سرايماً يستودعُ
فكما تسري بسرّ غيرك صانعاً فكذا بسرّك لا محالة يصنعُ
وإذا اتّمنت على السرائر فاحفظها واستر عيوب أخيك حين تطلعُ

وقال قيس بن الحليم

أجود بمكنون التلاد وإنني بسري عمن سألني لظنين
وإن ضيّع الأقوام سري فإنني كتومٌ لأسرار العشير أمينٌ

وقال بعضهم فيمن يحتصر على السر

ومستودعي سرّاً كتمتُ مكانه عن الحسنِ خوفاً أن ينمّ به الحسُّ
وخفت عليه من هوى النفس شهوةً فأودعته من حيث لا يعرف الحسُّ

وأيضاً عمن يفشيه

ولا أكتم الأسرار لمن أذيعها ولا أدعو الأسرار تعلو على قلبي
وإنّ قليل العقل من بات ليلةً تقلبه الأسرار جنباً إلى جنبٍ

غيره

إذا ضاق صدرك عن حديثٍ وافشته الرجال فمن تلومُ
وإن عاقبت من أفشى حديثي وسري عنده فأنا الملمومُ

فصل ثاني وثلاثون: فمن ينكر الجميل ولا يحفظ العهود

قال بعضهم

في غناهم وحكمهم ورضاهم يتجافون مربع الأصدقاء
فإذا جاءهم هوانٌ وعذْلٌ قدوا للأحباب شكوى العناء

وقال المطران جرمانوس

هو الدهر إن تأمنه يخدعك صاحبه فابناؤه قد سالمتهم شوائبه
أمنتُ إليهم مذ جهلتُ أباهم وللابن أن تُعزى إليه أقاربه
فأعطيني من حيثُ إني أودهُ وناهيك من خلّ دهنّي معاطبه
فأعددتّه في اليسر بتارِ نجدةٍ ولما انتضي في العسر فُلت مضاربه
فما كل غيثٍ في المهمات ناعجُ ولا كل خلّ في الملمات راغبه
وربّ صديقي زينتّه رسومهُ وما زينته بعد ذاك تجاربه
فقمّت له بالود حتى امتحنته فأبصرتُ ما لا يبصر البعد طالبه
ولا تعجبنُ من ناكثِ الودِّ إمّا هو الدهر والآفات فيه عقاربه
حمدتُ به الآفات من حيثُ إنها أرتنّي خوافيها بخلّ أصحابه

وقال بعضهم

خبز الشعير متى شبعت تدمهُ وكذا الجميل لدى العذول قبيحُ
الخور تعرف في لظى أعرافها وبصفو تلك أخو العذاب يصيحُ

غيره

ومن يصنع المعروف في غير أهله يجازى كما جازى مجير أم عامر
أعد لها حين استجارت بقربه أجاليب وألبان اللقاح الدرائر
واسمها حتى إذا ما تمكنت فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من بدا يصنع المعروف في غير شاكر

وقال آخر

صديقك حين تستغني كثير وما لك عند فقرك من صديقي
في تنكر على أحد إذا ما طوى عنك الزيارة بعد ضيقي

من ديوان الجالستان

الكلب لا ينسى الجميل بلقمة ضاعفتها بحجارة الأفا
وإذا منحت دني طبع دهره بأقل شيء يستطيل خلفا

ممن يصنع الخير مع من ليس يعرفه كواقد الشمع في بيت لعميان

فصل ثالث و ثلاثون: في الزهد بالناس والاعتزال عنهم

قال بعضهم

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيلٍ
فأقلل من أبناء الناس إلا لأخذ المعلم أو إصلاح حالٍ

وقال بعض الأدباء

الناس داءٌ دفين لا دواء له تحيرَ العقل فيهم فهو منزهلٌ
من كان منبسطاً سمّوه مسخرةً أو كان منقبضاً قالوا به ثقلُ
ان كنت تصحبهم قالوا به طمعٌ وإن تجانبهم قالوا به ملل
وإن تعففت عن أبوابهم كرمًا قالوا غني وأن تسألهم بخلوا
من أين آتي بعقل يرتضونَ به لا بارك الله فيهم بعضهم سفلٌ

وقال أبو العباس الأزدی

لكلب الناس إن فكرت فيهم أضرّ عليك من كلبِ الكلابِ
الآن الكلبِ تخشاه فيخشى وكتبُ الناس يربض للعتابِ
فإن الكلبِ لا يؤذي جليساً وأنت الدهر من ذا في عذابي

وقال آخر

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرفُ

وما كل من تهوى يحبك قلبه ولا كل من صاحبتك لك منصف

غيره

لما صحبت بني الزمان فلم أجد خلاً وفيّاً للشدائد اصْطُفي
أيقنت ان المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخلّ الوفي

وقال عبد الرحمان الدواوي

كان اجتماع الناس فيما مضى يورث البهجة والسلوة
فانقلب الأمر إلى ضدّه فصارت السلوة في الخلوة

كان في الاجتماع من قبل نور فمضى النور وأدلهمّ الظلام
فسد الناس والزمان جميعاً فعلى الناس والزمان السلام

وقال آخر

عاشر من الناس من تبقى مودته فأكثر الناس جمع غير مؤتلف
منهم صديق بلا قافٍ ومعرفة بغير فاء واخوان بلا ألف

وقال آخر مخمساً هذين البيتين

لا ينفعن امرء إلا سريرته لله إذ جلّ خطب فيها عمدته

هيهات ذو ثقةٍ ترضيك صحبتُهُ ما في زمانك من ترجى مودتهُ

ولا صديق إذا جارَ الزمانُ وَفَى

لو كان صحباك مثل الرملِ في عددٍ لم تلقَ دونِ إلهِ الخلقِ من سندٍ

إن كنت ذا فطنةٍ أو عاقلٍ رشِدٍ فعش فريداً ولا تركنِ إلى أحدٍ

إني نصحتك فيما قلتُهُ وكفى

إذا ما الناس جربهم لبيبٌ فإني قد أكلتهمُ ذواقاً

فلم أرَ ودَّهم إلا خداعاً ولم أرَ دينهم إلا نفاقاً

وقال بعضهم

وزهدني في الناس معرفتي بهم وغب اختياري صاحباً بعد صاحِبٍ

فلم ترني الأيام خلاً تسرني مبادئه إلا ساءني في العواقبِ

ولا قلت أرجوه ادفَع مِلمةٍ من الدهر إلا كان إحدى المصائبِ

فصل رابع وثلاثون: في الدهر ونوائبه

وقال قابوس بن وشمكير

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهر إلا من له خطرُ
أما ترى البحر تعلو فوقه جيفُ وتستنفّرُ بأقصى قعره الدررُ
وفي السماء نجومٌ لا عدد لها وليس يكسّفُ إلا الشمسُ والقمرُ

وقال عبد الرحيم أحمد

الدهرُ كالميزان يرفع ناقصاً جهلاً ويخفض زائدَ المقدارِ
وإذا انتهى الانصاف عادل دلهُ في الوزن بين حديدٍ ونصارِ

وقال بعضهم

الدهر يفتس الرجال فلا تكن ممن تطيشهم المناصب والرتبُ
كم نعمةٍ زالت بأدنى زلةٍ ولكل شيء في قلبه سببُ

وغيره

يهددني دهري كأني عدوهُ وفي كل يومٍ بالكريهة يلقاني
وإن رمّت خيراً جاء دهري بضدهِ وإن يصفو لي يوماً تكدر في الثاني

وقال إسحاق بن ابراهيم الموصلِي

واني رأيت الدهر مذ صحبتُهُ محاسنه مقرونة ومعايبه

إذا سرنى فى أول الأمر لم أزل على حذرٍ من أن تدم عواقبه

وقال المطران جرمانوس

أحاول فى عمري من الدهر راحةً وهل تطلينَّ العقلَ والطرفُ عن زنجي
فاصبح دهري عاجزاً عن سعادي كأني حرفُ الحلق والدهر افرنجي

وقال عبد الله بن ظاهر

ألم ترَ أنَّ الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما أعطى ويسلب ما أسدى
فمن سرُّه أن لا يدري ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يضاف له فقدا

وقال آخر

ليس كل الدهر يوماً واحداً ربما ضاقَ الفضا ثم اتسع
إمّا الدنيا متاعٌ زائلٌ فاقتصد فيه وخذ من ودع

وقال الإمام علي

الدهر أدبني والياسُ أغناني والقوتُ أقنعني والصبرُ ربّاني
وأحكمتني من الأيام تجربة حتى نهيتُ الذي قد كان أنهانى

وقال آخر

جزى الله النوائب كل خيرٍ كما كانت تخصصني بريقي
وما شكري لها إلا لأني عرفت بها عدوي من صديقي

ولا شك أن المرء طعمته دهره فما باله يا ويحه يأمن الدهرا

وقال ابن معتز يذمه

ألست ترى يا صاح ما أعجب الدهرا فذمًا له لكن للخالق الشكرا
لقد حبب الموت البقاء الذي أرى فيا حبذا منى لمن يد سكان القبرا

وقال أيضاً يشكوه

يا دهر ويحك قد أكثرت فجعاتي شغلت أيام دهري بالمصيبات
ملأت الحاظ عيني كلها حزناً فأين لهوى وأحبابي ولذاتي
حمداً لربي وذمماً للزمان فما أقل في هذه الدنيا ملذاتي

وقال بعضهم

الدهرُ يستخدم من يُخدم حتى يذيق الهونَ من يُكرم
كالأرض لا تطعم من فوقها إلا لكي تطعم من يُطعم

وقال المروزي

تقاضاك دهرَكَ يا أسلفا وكدرَّ عيشك بمد الصفَا
فلا تنكرنَّ أن الزمان جديرٌ بتشتيت ما أَلفا

وقلتُ من مطلع قصيدة

غدا دهري خووناً في الوعودِ كذوباً لا يفنيني بالعهودِ
فإن أهجوهُ لستُ لذاك كفواً لأن فعالهُ سلبتُ كُبودي
ترى كل الورى يشكونَ منهُ كما يشكى محقُّ من عنودِ
ظلومٌ مُشيئةُ فرعونَ مصرٍ بفعل الظلمِ مع شعب اليهودِ

وقال أبو نصر أحمد المقدسي

أقولُ والقلبُ مكدودٌ بأحزانٍ والصرُّ أبعدُ مما بين أجفاني
حتى متى أنا يُدمي العَضُّ أهلي غيظاً على زمنٍ قد رامَ أزماني
فكل يومٍ أراني من نوائبهِ كأنني أصبعي والدهرُ أسناني

فصل خامس وثلاثون: في الاغتراب والأسفار ومنافعها وذمهما

قال عبد العزيز الديريني

إذا ما ضاقَ صدركَ من بلادٍ ترحلُ طالباً أرضاً سواها
عجبتُ لمن يقيمُ بدارٍ ذلٍ وأرضُ اللهِ متسعٌ فضاءها
فذاك من الرجالِ قليلُ عقلٍ بليدٌ ليس يعلم ما طحاها
ففسكُ فز بها إن خفتَ صيماً وخَلَّ الدارَ تنعى من بناها
فإنكَ واجدٌ أرضاً بأرضٍ ونفسكُ لم تجد نفساً سواها
ومن كانت منيته بأرضٍ فليس يموتُ في أرضٍ خلاها

غيره

إن قلَّ نفعك في أرضٍ حللت بها سافر لتدرك قصداً أم ترى أملا
فالببيضُ لو لازمت اغمادها تلفت والشمس لو لم تسر ما حلت الحملا

بلادُ الله واسعةٌ فضاءً ورزقُ الله في الدنيا فسيحُ
فقل للقاعدين على هوانٍ إذا ضاقت بكم أرضٌ فسيحوا

وقال آخر

ارحل بنفسك من أرضٍ تضام بها ولا تكن لفراقِ الأهل في حرقِ

من ذلّ بين أهاليه ببلدته فالاغترابُ له من أحسن الخلقِ
الكحلُّ نوعٌ من الأحجار منطرحاً في أرضه كالثرى يرى على الطريقِ
لما تغرب نال العزَّ أجمعهُ وصار يحملُ بين الجفن والديقِ

غيره

سافر تجد عوضاً عمّن تفارقهُ واتعب فإنّ لذيذَ العيشِ في النصبِ
ما في المقامِ لذي لبٍّ وذي ثقةٍ معزّة فاترك الأوطان واغترِبِ
إني رأيت ركود السماء يفسدهُ فإن جرى طاب وإن لم يجر لم يطبِ
والأسد لولا فراق الغابِ ما قنصت والسهم لولا فراق القوس لم يصبِ
والبدرُ لولا أفول منه ما نظرت إليه في كل حينٍ عينٌ مرتقبِ
والثبرُ كالثرب مُلقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطبِ
فإن تغرب هذا عزَّ مطلبهُ وإن أقام فلا يعلو إلى رتبِ

غيره

إن كنت لا ترضى بلاد منزلاً والأرض حيث حلتها لك منزلُ
فإذا عرفت على المعالي فاخترط عزمًا كما عزم الرجالُ النزُلُ

غيره

وإذا الديار تنكرت عن حالها فدع الديار وسارع التحويلا
ليس المقام عليك فرقاً واجباً في بلدةٍ تدع العزيزَ ذليلا

من ديوان الجالستان

وربما دمت في الحانوت والدارِ ثاوباً فما زلتَ قدماً لم قصر قطُ إنسانا
فبادر إلى الدنيا بها متفرجاً فأنت من الدنيا ستلحق موتانا

وقال آخر

لا يمنعُكَ خفضُ العيشِ في دعةٍ ترعُ نفساً إلى أهلي وأوطانِ
تلقى بكل بلادٍ إن حللت بها أهلاً بأهلي وجيراناً بجيرانِ

وقال بعضهم

أرى وطني كعشٍ لي وكنٍ أسافر عنه في طلب المعاشِ
ولولا أن كسب القوتِ فرضٌ لما برحَ الفراخُ من العشاشِ

وقال آخر في الرفقة وقت السفر

إذا رافقت بالأسفار قوماً فكن بهم كذي الرحمِ الشفوقِ
بشوشُ الوجه ذا عفوٍ وصفحٍ وعمّ العين عن عيبِ الصديقِ
فإن تأخذ بعثرتهم يقلّوا وتبقى في الطريق بلا رفيقِ

وقال آخر

إذا أنت رافقت الرجالَ فكمن فتىً كأنك مملوكٌ لكلِ رفيقِ
وكن مثلَ طعمِ الماءِ عذباً وبارداً على كيدِ الظامي لكلِ صديقِ

وقال أبو الفتح البستي

لئن تنفلت من دارٍ إلى دارٍ وصرت بعد مقامٍ رهناً أسفاري
فالحرُّ حرٌّ عزيز النفس حيث أتى والشمس في كل برجٍ ذات أنوارٍ

وقال بعضهم

فَسِرُّ في بلاد الله والتمس الغنى تعشُ ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا
فلا ترضَ في عيشٍ بدون ولا تتم وكيف ينام الليل من كان معسرا

غيره للإمام علي

تَعَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجٌ هَمٌّ وَإِكْتِسَابٌ مَعِيشَةٌ وَعِلْمٌ وَأَدَابٌ وَصُحْبَةٌ مَاجِدِ
وَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَمِحْنَةٌ وَقَطْعُ الْفَيَافِي وَإِكْتِسَابُ الشَّدَائِدِ
فَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ بَدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

وقال بعض الكسالي بعكس

تَعَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْبَلَا وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ شَدَائِدِ
تَكْثُرُ هَمٌّ وَانْتِفَاصٌ مَعِيشَةٌ وَجَهْلٌ وَإِفْلَاسٌ وَمِحْبَةٌ حَاسِدِ
كَمَا قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَمِحْنَةٌ وَقَطْعُ الْفَيَافِي وَارْتِكَابُ الْمَفَاسِدِ
مَوْتُ الْفَتَى فِي بَيْتِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ أَعَزُّ لَهُ مِنْ طَوْلِ عَمْرِِ الْمَعَابِدِ

وقال غيره مستكرهاً الغربية

وإن اغتراب المرء من غير خلةٍ ولا همّةٍ يسمو بها لعجيبٌ
وحسب الفتى ذلًّا وإن درك الغنى ونال ثراء أن يقال غريبٌ

وقال آخر

يا نفس ويحك في التغرب ذلّةٌ فتجرعي كاسَ الأذى وهوانٍ
وإذا نزلت بدار قومٍ دارهم فلهم عليك تعزُّزُ الأوطانِ

فصل سادس وثلاثون: في منافع المال

قال ابن كثير

الناسُ أتباعُ مَنْ دانَتْ له النَّعْمُ والويلُ للمرءِ إن زَلَّتْ به القَدَمُ
المالُ عَزٌّ، ومَنْ قَلَّتْ دراھِمُه حَيٌّ كَمَنْ مات، إلا أَنه صَنَمٌ
ما رَأَيْتُ أَخِلَّائِي وَخالِصَتِي والكلُّ مُسْتَبِرٌّ عَنِّي وَمُحْتَشِمٌ
أَبَدُوا جِفاءً وإِعْراضاً فقلت لهم أَذْنِبْتُ ذَنْباً؟ فقالوا: ذنبك العَدَمُ

ألم ترَ أنَ الفِقرَ يَرجو لَه الغنى وأنَّ الغنى يَخشى عليه من الفِترِ

وقال الامام علي

كثيرُ المالِ ليس لَه عوارُ ولا في كل ما يَأْتِيه عارُ
لأنَّ المالَ يَسترُ كلَّ عيبٍ في الفِقرِ المذلَّةِ والصِغارُ
كَذلكَ الفِقرُ بالأحرارِ يُذرى كما أَذرتُ بِشاربِها العقارُ

وقال آخر

إن قَلَّ مالي فلا خُلُّ يَصابِني إن زادَ مالي فكلَّ الناسِ خِلايِ
فكم عدو لأجلِ المالِ صَاحِبِني وكم صديقٌ لفقْدِ المالِ عادايِ

وقال آخر

احفظ عرى مالك تحظ به ولا تفرط به تبقى ذليل
وأن يتولوا باخلً بالعطا فالْبُخْلُ خير من سؤال البخيل

الحرص على الدراهم والعين تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بإنسانها وقوة الانسان بالعين

وقال محمود اليامي

غالبت كل شديدة فغلبتها والفقير غالبني فاصبح غالبني
إن أبده أفضح وإن لم أبده أقتل فقبّح وجهه من صاحب

غيره

إذا قل مال المرء قل حياؤه وضاعت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدري وإن كانت عازماً أقدامه خير له أم وراؤه

المال يرفع سقفاً لا عماد له والفقير يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر

شيئان لا تحسن الدنيا بغيرهما المال تصلح منه الحال والولد
زين المدينة هما لا كان بغيرهما كان الكتاب به عن ربنا يرد

كل النداء إذا ناديت يخذلني إلا ناديت إذا ناديت يا مالي

فصل سابع وثلاثون: في المداراة وبعض نصائح

قال مالك بن الأندلسي

لا تعاد الناس في أوطانهم قلّ ما يرعى غريب الوطن
وإذا ما شنت عيشاً بينهم خالق الناس بخلقٍ حسنٍ

وقال الامام علي

سليم العرض من حذر الجوابا ومن دارى الرجال فقد أصابا
ومن هابَ الرجالَ تهيبوهُ ومن يهن الرجالَ فلن يهابا

من ديوان الجالستان

يا من يرى شخص النحيفٍ محقرًا أضخامهُ الأجسام تحسب معرفهُ
يفنى الجواد بضعفه يوم الوغى والثورُ مغتنمٌ جريشُ المعلقةُ

وقال بعضهم

الخير يبقى وإن طال الزمان بهِ والشر أقبح ما أوعيتَ من زادِ
فاترك الشرَّ وابدِ الخيرَ مجتهدًا للناس طرًا فإنَّ الفضل للبادِ

وقال أبو الاسود الدؤلي ناصحًا

وما كل ذي نصحٍ بمؤتيك نصحهُ وما كل موتٍ نصحهُ بليبِ
ولكن إذا ما استجمعا عندَ واحدٍ فحق له من طاعةٍ بنصيبِ

وقال بعضهم

فلا تأمن عدوك لو تراهُ أقلُّ إذا نظرتَ من القرادِ
فإن الحربَ ينشئ من جبانٍ وإن النار تضرم من رمادِ

وقال ورقة بن نوفل

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلت لهم إني النذير فلا يضرکم أحدُ
لا شيء مما ترى تبقى بشاشتهُ إلا الإله ويردى المالُ والولدُ

يغشية زينوإو وقال طرفة

ولا ترفدن النصحَ من ليس أهلهُ وكن حين تستغني بربك غانيا
وإن امرء لو ما تولى برأيهِ فدعهُ يصيب المرشد أو يكُ غاويا

وقال الأصمعي

النصح أرخص ما باع الرجالُ فلا تردد على ناصحٍ نصحاً ولم تلم
إن النصائح لا تخفى مناهلها على الرجال ذوي الأبوابِ والفهمِ

وقال معاذ

نصحتك والنصيحة إن تعدت وهوى المنصوح عزَّ لها القبولُ
فخالفت الذي لك فيه حقاً فنالك دون ما أمّلت غولُ

وقال بعضهم

لا تحقرنَّ عدواً في مخاصمةٍ ولو يكونُ ضعيفَ البطشِ والجلدِ
فلبلعوضةٍ في الجرح المديد يدٌ تنالُ ما قصرَّت عن يد الأسدِ

وقال آخر

ومن يطلب الأعلَى من العيش لم يزل حزيناً على الدنيا كثير غبونها
إذا شئت أن تحيي سعيداً فلا تكن على حالةٍ إلا رضيت بدونها

وقال ابن الوردي

فاحذر منازعة الملوک وبأسهم ولا تخاصم سيِّداً بمحلِّه
ما شمتُ عصفوراً يزاحم باشقاً إلا لخفتهٍ وقلتهٍ عقله

وجاء في تعريب الجالستان

احفظ عنانك إن حظيت بمنصبٍ فيه مجالٌ أذى العداوة ضيقُ
لا تخشَ بأساً فإن طهرت فللنقا ضرب القميص وعمه التميزُ

ومنه أيضاً

ألم تنظر المداح في وضع كفهم على الصدرِ في دستِ الأمير سُجداً
فإن حطه دهرٌ ترى الخلق كلهم على رأسه بالنعل داسوا تعمداً

غيره

ما حلّ هذا القيد رجلك قبلما أبت المسامح للنصوح قبولا
فاحذر تضع في حلق أفعى اصبعاً أعياك سابق لذعها تعليلا

وقال بعضهم محذراً

الزم يقينك سوء الظن تنج به من عاش مستيقظاً قلت مصايه
والق العدو بوجهٍ باسمٍ طلق وانصب له في الحشا جيشاً يحاربه

غيره

أعد عدوك أدنى من وثقت به وحاذر الناس وأصحابهم على دخل
وحسن ظنك بالأيام معجزة فظن شراً وكن منها على وجل

وقال المطران جرمانوس ناصحاً

كن محسناً تحسم ملامة لآثم فاللوم يغري الخلق أن يتخلفا
لن يخلق الزنديق زنديقاً لمن دعاه الحال أن يتزندقا

وقال آخر

تكرم بما تدریه نصحاً وواعظاً وإن هو لم يقبل مقالك سامعهُ
فعمّا قليل يوثق العبد ساقهُ لقلّة رأي منه فاضت مدامعهُ
يقلب كفيهِ ويصرخ نادماً على ردّ نصحٍ لا تردّ منافعهُ

غيره

لا تأمنن فتىً اسكنت مهجتهُ غيظاً وتحسب أن الغيظ قد زال
إن الأفاعي وإن لانت ملامسها تبدي انعطافاً وتخفي السمَّ قتلاً

وقال آخر ناصحاً

ملك الوري إن شت فاقبل نصيحتي فأفضل منها لم تحز كتب الفضلِ
عديم النهى لا تعطه عملاً وإن يكن مثله لم يأت في عمل العقلِ

فصل ثامن وثلاثون: في الشيب وتبكيته من لا يحترمه

قال بعضهم

عرض المشيب بعارضيه فاعرضوا وتقوضت خيم الشباب فقوضوا
فكأن في الليل البهيم تبسطوا وكأن في الصبح المنير تقبضوا
فمن العجائب والعجائب جمه بين غراب البين فينا أبيض
وقال المطران جرمانوس منذراً

أدركتُ شاؤك فاتقِ الاسواء فالشيب حلّ بلمة سوداء
لا حبذا ضيفُ أمم بعارضي بسمت له الآجال ما جاء
هبت بفلك الجسم الرياح العفا سحراً وكان **مهبطها** النكباء
وقال البديع الهمداني

يا من يعللُ نشده بالباطل نزل المشيب فمرحباً بالنازل
إن كان ساءك طالعات بياضه فلقد كساك بذات ثوب الفاضل
لا تبكين على الشباب وفقده لكن على الفعل القبيح الحاصل

وقال أحمد الشاهيني من نوع الايضاح

نصل الشباب وما نصلت من الهوى وبدا المشيب وفي فصل نصايي
وغدوت اعترض الديار مسلماً يوماً فلم تسمح بود جواي
فكأنها وكأنني في رسمها أعمى يحدق في سطور كتابي

وقال دعبل الخزاعي

أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه سمه العنيف وهيئة المتخرج
وكان شيبى نظم در زاهر في تاج ذي ملكٍ أغر متوج

وقال المنصوري

وما هذه الأيام إلا عجائب تزيد بها الآمال والعمر ينقص
وما موتنا إلا كتاب مؤجل وعنوانه هذا المشيب المنغص

وقال علي الاجهوري في أسباب

الشب من سبعة يأتي الرجال ومن يدنو السبع لا يسلم من الخطر
همم وغم ركوب البحر ثالثها موت البنين عيالاً عند مفتر
وللخليفة قالوا شبت قال لهم من المنابر خوف الله فاعتبر

وقال بعضهم

سألت من الأطباء ذات يوم طبيباً عن مشيبي قال بلغم
فقلت له على غير احتشام لقد أخطأت فيما قلت بل غم

وقال الخوري نيقولا موبخاً

على ما لا تكف عن المعيب وشمس العمر مالت للمغيب
وما لك جائلاً بهوى التصابي تذيلاً بثوب دنيك القشيب
وقد خطت يد الأيام خطأ **بفؤدك** مذ بدا وخط المشيب

وله أيضاً بهذا المعنى

يا بالغاً حِلْمَ المَشْيِبِ إلى مَتَى تلهو بجهلٍ والمنا لك طالبُ
أَعْضَاؤُكَ انتحلت وانتَ مُقْوَسُ وعيَاكِ محضارٌ وعقلُك غائبُ
قد شُبِّتَ فيكَ اللهُو يا مَنْ يَبْتَغِي زَهُوَ الشَّيْبَةِ وهو شيخُ شائبُ
أضحى نقيُّ الشيبِ منك مدناً فببياضه قد سَوَدَّتْهُ مَعَايِبُ
يا صَبْغَةً بيضاءَ أَتَقَنَّ صَبْغَهَا الـ باري فسَوَّدَهَا الجَهُولُ العائِبُ
وجَّه مَسِيرِكَ نحوَ غَايَتِكَ التي حَصَرْتَ فَإِنَّكَ عن قليلٍ ذاهِبُ
حَتَّامٌ تعدو للغواني والأغا ني صابياً ولسانِ حالكِ نادِبُ

وقال بعضهم لائماً من يصبغ الشيب

يا خاضب الشيب وفي ظنه أن خضابَ الشيب لم يشنه
يكفيك قول الناس يا جاهلاً يكذبُ هذا الشيخ في ذقنه

وقال محمود الوراق

يا خاضب الشباب الذي كل ثالثيةٍ يعود
إنَّ الفُضُولَ إذا بدا فكأنَّه شيبٌ جديد
بدويهةٍ روعيةٍ مكروهها أبداً عتيد
فدع المشيب كما أراد فلن يعود كما تريد

وقال آخر

يا من يسود شعره بخضابه فعاؤه من أهل الشيبية يحصل
ها فاختضب بسواد حظي مرّة وأنا الكفيل بأنه لا ينصل

وغيره

يا خاضب خاضب اللحية ما تستحي تشارك الرحمان في صبغته
أفبح شيء شاع بين الوري أن الفتى في لحية

وقال بعضهم مجاباً

وعيشك ما خضبت بياض شيبى رجاء أن يعود لي الشباب
ولكني خشيت يراد مني عقول ذوي المشيب فلا يصاب

وقال آخر

تولى الجهل وانقطع العتاب ولاح الشيب وافتضح الخضاب
لقد أبغضت نفسي في مشيبى فكيف تحبني الخود الكعاب

وقال غيره مستغفراً

إن الملوک إذا شابت عبيدهم في رقهم شذوهم عتق الأحرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرماً فد شبت في الرق فأعتقني من النار

فصل تاسع وثلاثون: في التأسف على زمان الشبوية

قال بعضهم

هبني بقيتُ على الأيام والأبدِ ونلتُ ما نلتُ من مالٍ ومن وِلدِ
من لي برؤية من قد كنت آلفهُ وبالشباب الذي ولى ولم يعدِ

وقال الشافعي

ولدّة عيشِ المرء قبل مشيبيه وقد فنيت نفسٌ توّلى شبابها
إذا اسودَّ جلدُ المرء وابيض شعرهُ تكدّر من أيامه مستطابها

وقال بعضهم

عُريتُ من الشبابِ وكنْتُ غصناً كما يعرى من الورقِ القضيْبُ
ونحْتُ على الشبابِ بدمعِ دعيني فما نفحُ البُكا ولا النحيْبُ
فياليتَ الشبابَ يعودُ يوماً فأخبرهُ بما فعل المشيبُ

وقال أبو حسن الحصري

إذا كانُ لباسُ حزنٍ بأندلسٍ فذاك من الصوابِ
ألم ترني لبستُ بياضَ شيبِي لأنّي قد حزنْتُ على الشبابِ

وقال بعضهم

قد كنتُ لا أدري لأيةِ علّةٍ صار البياضُ لباسَ كل مصابِ

حتى كساني الدهرُ سَحَقَ ملاءةً بيضاء من شيبٍ تفقد شبابي

وقال منصورُ التَّميري

ما تنقضي حَسْرَةً مني ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
بأنَّ الشبابُ وفانني مسرتهُ صروفُ دهرٍ وأيامٌ لها جزعُ
ما كنتُ أوفي شبابي كُنْهَ عزتهِ حتى مضى فإذا الدنيا له تبُعُ

وقال بعضهم

وشيخٍ في جهاتِ الأرضِ يمشي ولحيتهُ تقابلُ ركبتيه
فقلتُ له لماذا أنتَ محنٍ فقال وقد لوى نحوي يديه
شبابي في الثرى قد ضاع مني وها أنا محنٍ بحثاً عليه

وقال ابن الرومي

أيَا بُردِ الشبابِ لكنتَ عندي من الحسناتِ والقسمِ الرغابِ
لبستك برهةً لبسَ ابتدالٍ على علمي بفضلِكَ في الشبابِ
ولو ملكتُ صونك فاعلمنهُ لصنتك في السريرِ من الغيابِ

وقال الإمام علي

بكيَتِ على شبابٍ قد توَلَّى فيا ليتَ الشبابَ لنا يعودُ
فلو كان الشبابُ يباعُ ببيعاً لأعطيتُ المبايعَ ما يريدُ
ولكنَّ الشبابَ إذا توَلَّى على شرفٍ فمطلبهُ بعيدُ

وقال آخر

ثنتانٍ لو بكت الدماءَ عليهما عيناى حتى آذنت بذهابِ
لم يقضيا المعشَرَ من حقيهما شرخ الشبابِ وفرقةِ الأحبابِ

وفصل أربعون: في النساء وشرفهن

تنبيه

فليعلم القارئ أنه

ليس كل النساء سويةً، لأنه كما يوجد ما بين الرجال طالحٌ وصالحٌ. كذلك ما بين النساء. وأما نحن كلامنا ههنا عن النساء الطالحات.

قال بعضهم

لها في زوايا الوجهِ تسع معائبٍ فواحدةٌ منهنَّ تبدي جهنَّما
فوجهٌ شنيعٌ ثم ذاتٌ قبيحةٌ كصورةٍ خنزيرٍ تراهُ مزمما

إن النساء وأن أظهرنَ مرحمةً لم يخلُ من جورهنَّ الدهرُ إنسانُ
إن هنَّ أبغضنَ إنساناً فتكنَ بهِ وحبهنَّ لمن أحببنَ خسرانُ

وقال آخر

شيئانِ يأنف ذو الرياسة عنهما رأي النساء وأمرة الصبيانِ
أما النساء فميلهنَّ إلى الهوى وأخو الصبا يجري بكل عنانِ

غيره

هي الضلَعُ العوجا تقيّمها إلا إن تقويم الضلوع انكسارها
وتجمع ضعفاً واقتداراً على الفتى وهذا عجيبٌ ضعفها واقتدارها

وقال آخر

رأيت الهمَّ في الدنيا كثيراً وأكثره يكون من النساء
فلا تأمن زمانك قط أنتى ولو قالت نزلت من السماء

ومن بعض ما قال بحقهنَّ المطران جومانوس

السيف والحيـف في حربٍ وفي حربٍ أهنا من المرأة الدهيـاءِ في الحُجْبِ
كأنها وهي في خطراتها شرُّ تنقُضُ من جمرات النار في الحطبِ
أفـعى وفي لفظها سُمٌّ لسامعها يخاله في الهوى ضرباً من الضربِ
فيها هلاك نفوسٍ لا عداد لها كم أسقطت راقياً في السبعة الشهب
يا منظرأ ترشق الألباظ أسهمه فاعجب به هدفاً يُصمى ولم يُصِبِ

إلى أن يقول

تفشي السرائر تدعو الظالمين إلى ال آثام والشرِّ والعدوان والكذب
علامةٌ في هوى الشهواتِ بل ظهرت علامة الشرِّ إن شابـت ولم تشب

وقال بعضهم

فإن حقدتْ لم يبقَ في قلبها رضى وإن رضيت لم يبقَ في قلبها حقدُ
كذلك أخلاق النساء وربما يضلُّ بها الهادي ويخفى بها الرشدُ

فكم نار شرٌّ أحرقت كبدَ الورى ولم يكُ إلا مكرهنَّ لا أصلا

وقال الخوري نيقولا في مرأة السوء

ما المرأه السوءِ إلا وهدهُ العطبِ فاحذرِ بلاها وإن نادت فلا تُجبِ
ذرها تشقُّ قميصاً أنت لابسُهُ واهربُ كيوسفَ يوماً فازاً بالهرَبِ
قبيحهُ الحسنِ كم ساءت محاسنها كأنها السُمُّ في كأسٍ من الذهبِ
فكم نفوسٍ مَسَى فيها الردى حَبباً لما مَسَّت في الهوى نهداً على حَببِ
فقر المعيشة نزع الشانِ ما فتئت هدمَ الحيوة لواء العارِ والريبِ
تولي عُهوداً ولكن لا بات لها كأنها طُبعت طبعاً على الكذبِ
لا صَبَحَتها الأماني إنَّ صَحَبَتها نارُ فلا تكُ إيأها بمُصطحِبِ
مَن يلمس القارَ يَلصق في يديه ومَن يقرب من النارِ هل ينجو من اللهبِ

إلى أن يبلغ قوله

تالله إنَّ أصول الإثم أربعةٌ تَباً لمن كانَ عنها غير مُحْتَجِبِ
وهي النساء والغنى والسكرُ يشفعه فُبْحُ البطالة ذات اللهو واللعبِ

وقال في محل آخر من قصيدة

هي الأفعوان الأرقشُ النافثُ الردى هي العقربُ اللدغاءُ سرّاً لصاحبِ
هي الذبئة المعطاءُ نهشاً ومنظراً هي الحيةُ الرقطاءُ ذات الذوائبِ

هِيَ الْمُومِسُ الْخَرَقَاءُ فَاوْحَشِ زُبُوعَهَا وَأَنَسِ بُوْحَشِ زَائِرِي السَّبَاسِبِ
 إِذَا ظَفِرَتْ بَاهَتْ وَإِنْ غَلِبَتْ بَكَتْ وَأَجْهَدَتِ الْأَيْدِي بِقَرَعِ التَّرَائِبِ
 وَإِنْ كُوشِفَتْ عَمَّا أَجَنَّتْ وَمَا جَنَّتْ تَجَنَّتْ وَفَاهَتْ فِي بَدِيْعِ الْمَكَادِبِ

وقال بعضهم

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينَ خُلِقْنَ لَنَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ
 هُنَّ أَصْلُ الْبَلِيَّاتِ الَّتِي سَلَفَتْ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ

وقال طفيل العفوي

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ لَنَا مِنْهِنَّ مَرٌّ وَبَعْضُ الْمَرِّ مَأْكُولِ
 إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يَنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بُدَّ مَفْعُولِ

وقال الأعمى

يَفْنِدَنَّ الْحَكِيمَ، بِغَيْرِ لُبِّ وَهَنَّ، وَإِنْ غَلَبَنَّ، مَفْنِدَاتِ
 يُخْلِدَنَّ الْإِمَاءَ نُضَادًا صَوِغِ فَهَلْ تِلْكَ الشَّخْوَصُ مُخْلِدَاتِ
 يَغَادِرَنَّ الْجَلِيدَ قَرِيْنَ ضَعْفِ صَوَابِرُ لِلنَّوَى مُتَجَلِّدَاتِ
 تُقَيِّدُ لَفْظَهَا عَن كُلِّ بِرٍّ مَوَاشٍ، بِالْحُلِيِّ مَقِيِّدَاتِ
 وَتَنْقُصُ خَيْرَهَا أَشْرًا وَفَتْكَأَ صَوَاحِبُ مَنْطِقٍ مَتَزِيِّدَاتِ
 وَقَدْ أَعْمِدَنَّ فِي أُرْرٍ وَلَكِنْ سِيَّوْفٌ لِحَاطِظَهِنَّ مُجَرِّدَاتِ
 وَمَنْ فَقَدَ الشَّيْبَةَ فَالْغَوَانِي لَهُ عِنْدَ الْوُرُودِ مُصَرِّدَاتِ

فما بينَ المقابِرِ نادباتٌ وما بينَ الشُّرُوبِ مُغرَّدات

وقال أيضاً

فوارس فتنيةٍ أعلامِ عيٍّ لقينك بالأساور معلّماتِ
فلا ترمق بعينك راياتِ إلى حمامهنَّ مكلماتِ
متى يطمعنَ فيك يريك تيهاً لأطيب مطعمٍ متهجماتِ
أخذنَ كريشِ طاووسٍ لباساً ومسكاً بالضحى متلغماتِ
فأبعدهنَّ من رباتِ مكرٍ سواحر يفتدينَ مغرماتِ
فلا يدخلنَ دارك باختيارٍ فقد ألفتِهِنَّ مذماتِ

وقال بعضهم

إنَّ النسا وإن عُرِفْنَ بعفةٍ جيَّفُ عليهنَّ النسور الحومُ
اليوم عندك جيدها وحديثها وغداً لغيرك كُفُّها والمعصمُ
كالخان تنزهه وتصبح راحلاً عنه وينزلُ فيه من لا تعلمُ

وقال ابن الواعظ

اعلم بأن النسا أصحاب مكيدهٍ لا يستحينَ ولا يفكرنَ بالحرمِ
إذا دعتهنَّ أغراضُ لهن فلا يفرقنَ بين أصيل الجد والقدمِ
فلا تدعهنَّ في حزنٍ ولا فرحٍ عند الجيران فقد تنجو من الندمِ
ما في الرجال على النسوان من ثقةٍ ولا أمينٍ كما قد جاء في القدمِ

واحذر عجوزاً توليها على حريمٍ فالذئب ليس بمأمونٍ على الغنمِ

وقد صدق بما قاله بعضهم في عجوزٍ

عجوز النحس إبليسٌ يراها تعلمهُ الخديعة من سكوتِ
تعود من السياسة ألف بغلٍ إذا نفرُوا بخيطِ العنكبوتِ

وقال آخر ناصحاً

أعصِ النساء فتلك الطاعة الحسنة فلن يفوز فتى يعطي النساء رسته
يعقنه عن كمالٍ في فضائله ولو سعى طالباً للعلم ألف سنه

وقال غيره (علقمة)

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبيرٌ بأحوالِ النساء طيبٌ
إذا شاب راس المرء أم قلّ ماله فليس له من ودهنٍ نصيبٌ

فصل حادي وأربعون: في الرجل الثقيل

قال بعضهم

تكدرت الخواطر منك حتى قنعنا من ديارك بالرحيل
وأنشدني فراقك بيت شعرٍ تلقأه فضيلٌ عن فضيلِ
إذا حلَّ الثقيلُ بأرض قومٍ فما للساكين غير الرحيلِ

غيره

ثقيلاً براهُ الله أحسن من برى ففي كل قلبٍ بغضةٌ من كامنهُ
مشى فدعى من ثقله الحوتُ ربهُ وقال إلهي زادت الأرضُ ثامنهُ

وقال آخر

يبدو فتكرههُ النفوسُ لثقله فتراه أبعد ما يكون إذا دنا
يا ثقل صورتهِ وخفة رأسه لمْ لا نقلت من هذا إلى هذا

وقال بعضهم وهو نعم القول

وثقيلٌ على الفؤادِ رصاصٌ جاءني زائراً مع العوَادِ
قال شكواك قلتُ بعدك عني أشتهي أن تدارني بالبعَادِ

وقال آخر

وثقيلٌ كأنه غصص الموم تِ يفيضُ وكالعذابِ الأليمِ
لو عصمت ربها الجحيمُ لما كا نَ سواهُ عقوبةً للجحي

غيره

وثقيلٌ إن تحالى فهو كالسهم السقطري
كيف نرجو منه ليناً وهو صخرٌ ابن صخرٍ

غيره

يا من تبرمت الدنيا بطلعه كما تبرمت الأجان بالرمد
يمشي على الأرض مختالاً فاحسبه من ثقل طينته يمشي على كبدي
لو أن في الأرض جزاءً من سماجته لم يقدم الموت اشفاقاً على أحدٍ

غيره

وثقيلٌ تبسما أصبح الكونُ مظلماً
حطاً في الشرق رجلاه مالمت الأرض والسما

وقال آخر

قلتُ لزيدٍ أحيناً يا ثقيل الثقلاء
أنت في الصيفِ سمومٌ وجليدٌ في الشتاء
أنت في الأرض ثقيلٌ وثقيلٌ في السماء

فصل ثاني وأربعون: في المذمة والهجو

قال بعضهم

إذا رمت هجواً في ان تصدني خلايقي قبج عنه لا تتزحزح
تجاوز قدرَ الهجوِ حتى كأنه بأقبح ما يهجي به المرءُ يمدحُ

وقال الوزير بن الجيّد من نوع العتاب

يا هاجرِين أضلَّ اللهُ سعيكم كم تهجرون محبيكم بلا سبِ
يا مسرِّين للإخوان غائلةً ومظهرين وجوه البر والرحبِ
ما كان ضركم الإخلاص لو طبعت تلك النفوس على علياء أو أدبِ
أشبهتم الدهر لما كان والدكم فأنتم شر أبناء لشر أبِ

وقال عبد الله بن عروة يهجو بعضهم

ذهب الذين إذا رأوني مقبلاً بشّوا إليّ ورحبوا بالمقبلِ
وبقيت في خلقٍ كأنَّ حديثهم ولخَّ الكلابِ تهاششت في المنزِلِ

وقال آخر يذم منزلاً وبعض أناسٍ

يا منزلاً عبثَ الزمان بأهلهِ فأبادهم بتفرقي لا يجمعُ
أين الذين عهدتهم بك مرةً كان الزمان بهم يضرُّ وينفحُ
ذهب الذين يُعاش في إكرامهم وبقي الذين حياتهم لا تنفحُ

وقال بعضهم

لما علمت بأنّ ضرسى خاننى بنوائب الأوجاعِ والتغييبِ
فقلعتهُ لما تباينَ عيئه فالحرُّ يكرهُ عشرةُ المعيوبِ
وسئل صفي الدين الحليّ في ذمِّ رجلٍ كان مدحهُ فقال
إني مدحتك من فساد قريحتي وعلمتُ أن المدح في ان يضيعُ
لكن رأيتُ المسكَ عند فسادهِ يديني إلى بيت الخلا فيضرعُ

وقال الخوري نيقولا الصايغ

يا من له للشر قلبٌ مسرّجٌ عن وصف خلقك لي لسانٌ ملجمٌ
لا اشتبك ولا أدنس منطقي فلسانٌ حالك ناطقٌ يتكلمُ
كلمتَ قلبي حينما كلمتني ختلاً فقلبي عن كساك مكلّمُ

وقال بعضهم يهجو امرأة

لها جسم برغوث وساقا بعوضةٍ ووجه كوجه القرد بل هو أقبحُ
تبرقُ عيناها إذا ما رأيتها وتعبس في وجه النزيلِ وتكلحُ
لها منظرٌ كالنار تحسب أنها إذا ضحكت في أوجه القوم تلقحُ
إذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوذ منها حين يمسي ويصبحُ

وقال حسام الدين الحاجري في طبيب

طبُّ ابن شمعون بلا ريبةٍ حكمٌ على هذا الورى تقضي

ما عادَ يوماً من به علّةٌ وعادَ موجوداً على الأرضِ
يمشي وعزرائيل من خلقه مشمّر الأردان للقبضِ
وقال فيه

أفنى ابن شمعون جميع الوري فليت لو يُعدُّنا طِبُّهُ
لست أطيل الشرح في وصفه لو عالج الخضرَ قضى نحبَهُ

وله أيضاً

ليت أين شمعونَ درى أنه يفعلُ فعل الأرقمِ القاتلِ
مبارك الطلعة في طبِّه لكن على الحفّار والغاسلِ

وقلت مرة في جواب لشخص

رويدك يا فتى أخش أسوداً ففي لبنان رابضةً فادرِ
ولا تأذٍ بلابله حذارِ فبومٌ أنت تبغى فعل نسرِ

غيره

فلبستُ وجهاً من حديدٍ لملتهم وقلتُ بذا ألقاهم في المشاهدِ
فلم أدرِ أنّ القومَ من عظم بخلهم أعدوا لوجهي ألسناً عن مبارِدِ

وقال في الدين الحلي ذاماً رجلاً

لو أنّ قوة وجهه في قلبه قنص الأسودَ وجدل الأبطالِ
أو كان طولُ لسانه بيمينه أفنى الكنوزَ وأنفَذَ الأموالِ

وقال آخر

من عجبٍ بأبي بين قومٍ تعيشُ كلابهم وأموت جوعاً
فست مولى أرى فيهم كريماً كأن الناس قد ماتوا جميعاً

وكان مدح السراج الوراق إنساناً فما أكرمه فقال

أعد مدحي إلىَّ وخذ سواه فقد أتعبتني يا مستريحُ
ولا تغضب إذا أنشدت يوماً سواه وقيل لي هدا مليحُ

وقال أيضاً

أعد مدحاً كذبتُ عليك فيه وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنني سأصدق فيك قولاً فلا يصعب عليك الحق منه

وكنت أرسلت لشخص بيتين نصيحة

فأجابني بهذه الأبيات القبيحة فخمستها بالحال ورددتها إليه

عملنا في النصيحة كل جهدٍ فأبدلتم معانيها بضدٍ
فحيثُ الطبعُ ساترك ماءكم من غير وردٍ
فيكم مثل فهدي
وذاك لكثرة الوردِ فيه

كنت أظنكم أبنا كرامٍ فملتتم للردى ميلان حسامٍ
سباكم كل نذلٍ مستهامٍ إذا سقط الذبابُ على طعامٍ

رفعت يدي ونفسي تشتهيهِ

دنيُّ النفس يلقى في بلاءٍ ويضحى الذلُّ فيه مثل داءٍ
فنفس الحرِّ تشنى فعل ساءٍ ويجتنبُ الأسودُ ورودَ ماءٍ

إذا كان الكلاب ولغنَ فيه

فمن يسمو بإكرامٍ وفنٍ إذا نهى الغبي عن سوء ظنٍ
وما شاء الغبي اعفاء نتي فيرجعُ الكريمُ خميص بطنٍ

ولا يرضى مساهمة السفه

وقال الحكمي يهجو بعضهم

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تُمْتُ إنَّ الكلابَ طويلة الأعمارِ
ما زلت تنحني لتشرفَ جاهداً كالكلبِ ينبحُ كامل الأعمارِ

وقال بعضهم

لحى الله دنيا ألجأتنا لمعشرٍ فراقهمُ اشهى الأمور إلى القلبِ
فصحبتهم تودي إليهم ضرورةً كما اضطرَّ صيادٌ إني صحبةِ كلبِ

وقال بعضهم يهجو شيخاً

شيخٌ سوء لا تستحي ومن قبيحٍ قد تمادى في غيِّهِ واستمرّاً
فهو كالصلِّ من سمِّ الأفاعي كلما زادَ عمرّاً زادَ شرّاً

وقال بعضهم ذاماً رئيساً

أقول لمن قد طيسته رياسته تمهّل رويداً فيك قد غلط الدهرُ
وما سدّت عن علمٍ ولا عن فصاحةٍ ولا من ذكا فضلٍ وهذا هو القهرُ
تأني يراجع فيك دهرَكَ عقله فما سدّت إلا والزمانُ به سكرُ
ولكن سيصحى الدهر من بعد سكره ويسقيك كاساتٍ مذاقتها الصبرُ

فصل ثالث وأربعون: في المديح والشكران

قال حسان بن ثابت

وأحسن منك لم ترَ قطُّ عيني وأجمل منك لم تلد النساءُ
خُلقت مبرءً عن كل عيبٍ كأنك قد لُقت كما تشاءُ

وقال أبو قيس

رأيتك في السوادِ فقلتُ بدرًا بدا في ظلمة الليل البهيمِ
وألقيتُ في السوادِ فقلتُ شمسُ محت بشعاعها ضوء النجومِ

وقال بعضهم

أعيذك بالرحمانِ من كل حاسدٍ لا زالت الحسادُ تغبى وتصقرُ
لساني قصيرٌ عن مديحك سيدي لأني فقيرٌ والفقيرُ مقصرُ
وكان يحوي الروضَ ناظر خلقه ما كان يبذل نورهُ بشتائه
أو قابل الأفلاك طالعُ سعده ما سار نحسٌ في نجوم سماءه

وقال الحسن بن هاني

إذا نحن أتينا عليك بصالحٍ فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ يوماً ممدحةً لغيرك إنسان فانت الذي نعني

وقال آخر

لأشكرنك ما ناحت مُطوّقةً جهدي وإن كنت لا أقضي الذي وجبا

فَمَا تَقَلَّبَتْ إِلَى نَعْمَاءٍ سَابِغَةٍ إِلَّا رَأَيْتُكَ فِيهَا الْأَصْلَ وَالسَّبَابَ

وقال ابن عمار مادحاً أبا يحيى بن معن

أَمْعَصَمًا بِاللَّهِ وَالْحَرْبُ تَرْمِي بِأَبْطَالِهَا وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقِي
دَعْتَنِي بِاللَّهِ الْمَطَايَا لِلرَّحِيلِ وَإِنِّي لِأُفْرَقُ مِنْ ذِكْرِ النُّوَى وَالتَّفُوقِ
وَإِنِّي إِذَا غَرَبْتُ عَنْكَ فَأَيْمًا جَبِينِكَ شَمْسِي وَالْمَرْيَةَ مَشْرِقِي

وقال ابن زيدون

فَإِذَا غُصُونُ الْكَرِيمَاتِ تَهَدَّلَتْ كَانَتْ الْهَدَيْلُ ثَنَاءَهَا الْمُتْرَنَمُ
الْفَخْرُ ثَغْرٌ مِنْ حِيَاضِكَ بِاسْمٍ وَالْمَجْدُ بَرْدٌ عَنْ وَقَائِكَ مَعْلَمُ
فَاسْلَمْ عَلَى الدُّنْيَا فَأَنْتَ جَمَالُهَا وَتَسْوُغُ النِّعْمَى فَإِنَّكَ مَنَعَمُ

وقال بعضهم موجباً الشكر

وَلَوْ كَانَ يَسْتَغْنَى عَنِ الشُّكْرِ مَا جَدُّ لَكثِرَ مَالٍ أَوْ عَلُو مَكَانٍ
لَمَا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ وَقَالَ أَشْكُرُونِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ

وقال المتنبي

لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كُئِيبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصِرِ الْأَوَّلِ
خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحْلِ
وَقَدْ وَجَدْتَ مَجَالَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ

وقال بعضهم

ووجهك بدر في الغياهب مشرقٌ وكفك في شهب السنين غمامٌ
عجيب لبدر لا يزال أمامه سحابٌ ولا يغشاه منه ظلامٌ
واعجب من هذا غمام إذا سطا تلظى مكان البرق منه حسامٌ

وقال الخوري نيقولا في رسالةٍ

أخجلت دهرا قد كشفت خداعه بمقالك البادي البيان الأوضح
يا من أناط العلم في سلك التقى وأعاد من رسم الجحى ما قد محى

وله أيضاً

لو شام طلعتك المجوس لوحدوا ربّ الجمالِ وسبحوه وكبروا
فالشمس أنت تنير كل مكونٍ وبنوك زهرٌ في علايك تزهرو
أدرکتتم بالسبق غياتٍ فما تكبو نهودكم ولا تتعثرُ

من عقائد العقيان

فلأنت بدرُ السعد وهو هلاله ولأنت سيفُ المجد وهو السمهري
وإذا وهبت فأنت أكرم واهبٍ وإذا نطقت فأنت أصدق مخبرٍ
وإذا تباعُ كريمةٌ أو تشتري فسواك بائعها وأنت المشتري

ومنه

أملك بيغي في سمائي كوكباً وفي جوك الشمس المنيرة والبدرُ

ويلتمس الحصباء في تعب الحصا ومن يحرك الفياض يستخرج الدرُّ
عجبتُ لمن يهوي من الصفر تومَةً وقد سال في أرجاء معدنه التبرُّ

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي

أوصافكم تجري أحاديثها مجرى النجوم الزهر في الأفق
كما أحاديث النداء عنكم تسندها الركبانُ من طرقِ

وقال صفي الدين الحلي

أثنى فثنيني صفاتك مظهرًا عيًّا وكم أعيت صفاتك خاطبا
لو إنني والخلقُ جمعاً ألسنا تشى عليك لما قضينا الواجبا

وقال أبو نواس

إذا لم تزر أرض الخصبِ ركابنا فأى فتى بعد الخصبِ تزورُ
فتى يشتري حسنَ الثناء بماله ويعلمُ أنّ الدائراتِ تدورُ
فيما فاته جودٌ ولا ضلُّ دونهُ ولكن يسيرُ الجود حيث يسيرُ

وقال جمال الدين بن نباته

روت عنك أخبار المعالي محاسنا كفت بلسان الحال عن السنِّ الحمدي
فوجهك عن بشرٍ وكفك عن عطا وخلقك عن سهلٍ ورأيك عن سعدِ

فصل رابع وأربعون: في الاختبار والامتحان

قال بعضهم

لا تمدحن امرءً حتى تجربهُ ولا تذمُّ امرأةً من غير تجريبِ
إن الرجال صناديقٌ مغفلةٌ وما مفاتيحها غير التجارِبِ

غيره

إذا كنت مختصاً لنفسك صاحباً فمن قبل أن تلقاه بالودِّ اغضبه
فإن كان في حال القطيعة منصفاً وإلا فقد جربته فتجنبتَه

وقال آخر

لا تمدحن امرءً من غير تجريبه فربما قامَ إنسانٌ مقام فيه
الدال والذال في التصوير واحدةٌ الدالُّ أربعةٌ والذالُّ سبعمائة

غيره

نعم أثبتوا لديك في الحرب قدرةً ولكن مع البازي فليس له ذكرُ
وكالليث يسطو الهرَّ في فتك فارةٍ ولكنه كالفار إن ظهر النمرُ

وقال بعضهم ناصحاً

إذا ما أردت إخاء امرءٍ فسل كيف كان لإخوانه
فإما رضيت فأحببته وإما رغبت عن شأنه

وقال آخر

وما غفلت يدي بصديق صدقٍ أخاف عليه إلا خفت منه

وما ترك التجارب لي صديقاً أميل إليه إلا ملت عنه

ألم ترَ العقل زيناً لأهله ولكن تمامَ العقل طول التجارب

فصل خامس وأربعون: في الهدية والزيارة

قال بعضهم

أنت سليمان يومَ العرضِ قنبرةً تهدي إليه جراداً كان في فيها
وأنشدت في لسان الحالِ قائلةً إن الهديةَ من مقدار هاديتها

وقال صفي الدين الحلي

بالله إلا ما قد قبلت هديتي وجعلت لي فضلاً على الأقرانِ
فالبحر تنشا منه كل سحابةٍ صدرت ويقبلُ فاضلاً الغدرانِ

وله أيضاً

بعثتُ هديتي لكم وليست تدرك في القياسِ ولا بقديري
ولكنُّ امكناني وأرجو لديك قبولها وقيام عذري
فدع كسر القلوبِ فني حسابي يكون لها مقابلةً بجبرِ

وقال أيضاً

لو أن كل يسيرٍ ردَّ محتقراً لم يقبل الله يوماً للورى عملا
فالمرء يهدي على مقدار قدرتهِ والنملُ يعذر بالقدر الذي حملا

وله

تَزْفُ إِلَيْكَ أَبْكَارُ الْمُعَانِي وَسَائِرُهَا لَنَا مِنْكَ اِكْتِسَابُ
وَنَحْمَلُ عَنْ نَدَاكَ إِلَيْكَ مَالاً فَأَنْتَ الْبَحْرُ يَمْطِرُهُ السَّحَابُ

وقال بهذا المعنى أحمد المأموني

على العبد حقُّ فهو لا بدَّ فاعلهُ وإن عظم المولى وجَلَّت فضائله
ألم تَرْنَا نَهْدِي إِلَى اللَّهِ مَالَهُ وَإِنْ كَانَ عَنْهُ ذَا غِنَى فَهُوَ قَابِلُهُ

وقال بعضهم

لو أن يهدى إلى الانسان قيمتهُ لكان تهدي لك الدنيا وما فيها
فاله يقبل وزنَ الدر من عملٍ وهو الغنيُّ عن الدنيا وما فيها

إذا دخل الهديةُ دارَ قومٍ تطايرتِ العداوةُ من كواها

وقال آخر

إن الهدية حلوَةٌ كالسحرِ تختلب القلوبا
تدني البعيدَ من الهوى حتى تصيرهُ قريبا
وتعيد معتقدَ العداوةِ بعد نفرتِه حبيبا

وقال بعضهم في الزيارة

رُزُّ مَنْ تَحَبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حَاجِبٌ وَأَسْتَارُ

لا يمنعك بعد من زيارته أن المحب لمن يهواه زواراً
وقال آخر

عليك بإقلال الزيارة إنها إذا كثرت صارت إلى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائماً ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

وقال الحريري ناصحاً في تأخير الزيارة

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنتظر العيون إليه

وقال المطران جرمانوس مناقضاً

فزر حبيبك في كل يوم ولا تخش زيارته المالا
وكن كالشمس تظهر كل يوم ولا تك في زيارته هلالا

وقال آخر في الملل من كثرة الزيارة

إني كثرت عليه في زيارته فملل والشيء مملول إذا كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى في طرفه قصرأ عني إذا نظرا

وقال آخر

أقلل زيارة من تهوى مودته فالناس من لم يواسيهم أجلوه
والغيث وهو حيوة الناس كلهم إن دام أكثر من يومين ملؤه

وقال كشاجم

وقد قلت لَمَّا أن شكت تـري زيارتها خلوبُ
إن التباعد لا يضرُّ إذا تقاربتِ القلوبُ

فصل سادس وأربعون: في رديء الأصل ومن لا يذوق طعم الكلام

قال بعضهم

أرى الإحسانَ عند الحرِّ ديناً وعند النذلِ منقصةً وذمًّا
كقطرٍ صار في الأصدافِ درًّا وفي فم الأفاعي صار سمًّا

وقال آخر

المسبُحُ سبعٌ وان كَلَّتْ مخالِبُهُ والكلبُ كلبٌ ولو بين السباعِ رُي
وهكذا الذهبُ الأبريزُ خالطُهُ صفرُ النحاسِ وكان الحقُّ للذهبِ

وعاقبهُ ابنُ الذنْبِ ذنْبٌ وإن يكن تربي مع الانسانِ دهرًا وعمرا

من تعريب الجالستان

أترغِبُ من أردى المعادنِ صيقلًا وكل دنيّ الأصل لا يبلعُ المجدَا
تري الغيثُ يسقي الأرض من فردِ مزنةٍ فينبت شوكةً بعضها والسوي وردا

أعقربُ أنت من تلقاهُ تضربُهُ أم بومةٌ أنت ما تأواهُ تخربُهُ

ومنه أيضاً

الكلبُ لا ينسى الجميلُ بلقمةً ضاعفتها بحجارةِ الآفا
وإذا منحت رديء طبعٍ دهره بأقل شيءٍ يستطيلُ خلافا

عند اللقاء كشاة لا نطاح لها في الغيب كذئبٍ بالدماء غرقا
وكانت عجوزٌ ربت جرّو ذيبٍ فلما كبر قتل شاتها قالت
بقرت شويهتي وفجعت قومي وأنت لشاتنا ابن ريبُ
غديت بدرها ونشأت معها فمن أنباك أن أباك ذنبُ
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدبٌ يفيدُ ولا أديبُ

وقال بعضهم فيمن لا يذوق طعم الكلام

فاعدت فعلك ذا معي فكأما هدمٌ تواتر فيه هدمُ اليوم
إن كان شعري كالشعرِ لديكم لا غرو إن قدمته لبهيم

وقال ابن الواعظ

ليس المقامُ بدر الذل من شيمي ولا معاشرَةُ الأندال من قسيمي
ولا مجاورةُ الأوباشِ تحملُ بي كذلك البازُ لا يأوي مع الرخمِ

من ديوان الجالستان

إذا لم يذوق طعم العبارة سامعٌ فلا تطلب الأطنابَ من متكلمٍ
فأوسع من الأسماع ميدانَ رغبةٍ تجد كرهَ الافصاحِ تدنو من الفمِ

وقال محمد شهاب في مفتي

مفتي الديار عن السؤال بمعزلٍ فجوابُ نهر دمشق بحر عمانِ
في مصر يستفتيه مالكُ أرضها فيجيبهُ بمعرةِ النعمانِ

فصل سابع وأربعون: في الجهل والحمافة

قال المطران جرمانوس

أمسى الغبي من الصلاح عقيماً وعلى كلا الحالين عاد ذميماً
فإذا يصبه للخير كان لثيماً وإذا يصبه الشرّ كان أليماً

من ديوان الجالستان

إذا لم تحز فضلاً وشفوّ كماله فحقك لا تبدي اللسان من الفم
لسان الفتى بالجهل يفضح جهله كما خفّ جوزٌ عادمٌ اللب فافهم

ومن أيضاً

وابله وافي للحمار معلماً وأنفق خيرَ العمرِ في غير لازم
فقال حكيم يا أخي الجهل ما الذي صنعت ولم تحذر ملامة لائم
فلا تدرك البهْمُ الكلامَ وإمّا بحقك فاسكت مثل هذه البهائم

وقال بعضهم

لو كنتَ تعلم ما تقول عذرتني لو كنت تجهل ما أقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتك

لكل داء دواءٌ يستطابُ بهِ إلا للحمافة أعيت من يداويها

وقال بعضهم

إذا كَمَل الرحمانُ للمرء عقلهُ فقد كملت أخلاقهُ ومآيبهُ
تشيئُ الفني في الناس قلَّةُ عقلهِ وإن كرمت أخلاقهُ ومكاسبهُ

وقال آخر

وفي الجهلِ قبل الموتِ موتٌ لأهلهِ وأجسادهم قبل القبورِ قبورُ
وإذا امرء ما نتج العلمَ ميتٌ وليس له حتى النشورِ نشورُ
ومن منح الجهالَ علماً أضاعهُ ومن منعَ المستوجبين قد ظلم

وفصل ثامن وأربعون: في التآني والنهي عن المخاطر

قال بعضهم

تأنّ ولا تعجل لأمرٍ تريدهُ وكن راحماً للناس تبلى براحم
فما من يدٍ لا يدُّ الله فوقها ولا ظالمٌ إلا سييلى بظالم

وقال النابغة

الرفق يمنُّ والأناةُ سعادةُ فتأنّ في أمرٍ تلاقٍ نجاها

وقال آخر

إنّ التآني في المقاصد حكمةُ وخلافهُ قد أفسد الأشياء

وقال القاطمي

قد يدركُ المتآني بعض حاجتهِ وقد يكون مع المستعجلِ الزلُّ

غيره

اقرن برأيك رأي غيرك وأستشر فالرأي لا يخفى عن الاثنين
فالمراءِ مرآة تريه وجهه ويرى قفاهُ بجمع مرأتين

وقال محمد بن بشير في عدم التآني

كم من مضيعٍ فرصةٍ قد أمكنت لغدٍ وليس غدٌ له بمواتٍ
حتى إذا فاتت وفات طلابها ذهبت عليها نفسهُ حساتٍ

وقال ابن المعتز في انتهاز الفرصة

وإن فرصة أمكنت في العدا فلا تبد فعلك إلا بها
وان لم تلج بابها مسرعاً أتاك عدوك من بابها
وإياك من ندمٍ بعدها وتأميل أخرى وأنى بها

وقال القاطمي

وربما فات قوماً بعض نجحتهم من التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقال المطران جرمانوس في النهي عن المخاطر

تنكبِ العامَ الغرارَ واحذرهُ في أول العمر إذ يلقاك مبتسماً
ولا تخاطر ولا تأمن مكانهُ ليس المخاطر بمحمودٍ ولو سلما

وقال بعضهم

من قد أغارك يا مغرور بالخطرِ حتى هلكت لبت النمل لم يطرِ

كم في البحور منافعٌ لا تنتهي وأرى السلامة في لزوم الساحلِ

فصل تاسع وأربعون: في من يعظ ولا يتعظ وينظر عيب غيره ولا نظر عيوبه

قال الخوري نيقولا

وتُنذِرُ بِالْعَفَافِ وَأَنْتَ تَرْنُو إِلَى الْحُسْنَى كَصَبِّ مُسْتَهَامِ
تَحْتُّ عَلَى الصَّلَاةِ وَقَدْ تَرَاهَا وَسَاعَتْهَا تَنُوطٌ بِالْفِ عَامِ
وَتُؤَثِّرُ فِي سِوَاكَ نِظَامَ نَفْسٍ وَنَفْسُكَ فِي هِوَاكَ بِلَا نِظَامِ
وَتَتَدَبُّ فَجَعَةَ الدُّنْيَا وَتُؤَلِي مَخَافَ حَرْبِهَا أَمَّنَ السَّلَامِ
تُحَرِّضُ عَلَى اطِّرَاحِ الْعُجْبِ كُلًّا وَتُعْجِبُ فِي مُطَارَحَةِ الْكَلَامِ
تُعَلِّمُ فِي دَوَامِ النَّوْحِ مُتُّ تَقَهَّقُهُ كَالصَّغِيرِ بِلَا احْتِشَامِ
تُهَدِّدُ فِي وُرُودِ الْمَوْتِ حِينًا وَلَا تَخْشَى مِنَ الْمَوْتِ الزُّوَامِ
وَتَقْرَأُ فِي الْحِسَابِ عَقِيبَ مَوْتٍ فَتَقْرِئُهُ بِمَزْحٍ وَابْتِسَامِ
تُشَرِّفُ ذِلَّةَ الْمَسْكِينِ لِفِظًا وَتَنْهَرُهُ بِالْأَفَاطِ ضِخَامِ
وَتُوسِعُ جَامِعَ الْأَمْوَالِ شَتْمًا وَتَجْمَعُ مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامِ
وَتَمْدَحُ زَاهِدًا وَتُحِبُّ فَقْرًا وَتُفْنِي الْعُمَرَ فِي جَمْعِ الْحَطَامِ

وقال بعضهم

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَا كَيْمَا يَصْحُ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ

وَتَرَاكَ تُصَلِّحُ بِالرِّشَادِ عُقُولَنَا أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ
فَأَبَدًا بِتَفْسِيكَ فَانْهَاهَا عَنْ غَيِّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيَهْتَدِي بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنَهُ عَنِ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وقال آخر

قبيحٌ على الإنسان ينسى عيوبه ويذكرُ عيباً في أخيه قد اختفى
فلو كان ذا حزمٍ لما عاب غيره وفيه عيوبٌ لو رآها بها اكتفى

وفصل خمسون: في مدح الخمرة والتوبة عنها

قال أبو النواس

سعى بكاسٍ إلى ناسٍ على حربٍ كلاهما عجبٌ في منظرٍ عَجَبِ
قامت تريني وأمرُ الليلِ مجتمعٌ صُبحاً تولد بين الماء والذهبِ

وقال الشيخ بدر الدين السبكي

وكنت إذا الحوادثُ دنّستني قرعتُ إلى المدامةِ والنديمِ
لأغسلَ بالكؤوسِ الهمَّ عني لأنّ الخمرَ صابونَ الهمومِ

وقال بعضهم

شربُ النبيذِ على الطعامِ ثلثَةٌ فيه الشفاءُ وصحّةُ الأبدانِ
تمرّي الطعامِ وتبتدي بمسرةٍ وتزيل كل الهمَّ والأحزانِ

غيره

إذا فقيهٌ نهى عنها وحرّمها فاشربْ على رأي قسيسٍ وشماسِ

غيره

وما غرّني فيها واعرف اثمها سوى قوله فيها منافعٌ للناسِ

وقال عمر بن الفارض

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامةً سكرنا بها من قبل أن يُخلقَ الكرمُ
قالوا شربت الإثمَ ك وإثماً شربتُ التي في تركها عندي الإثمُ

وعندي منها نشوة قبل نشأتي معي أبداً تبقى وإن بلى العظمُ

وقال آخر

إذا ما ضُبَّ في الكاسات خمرٌ رأيتُ لها شموساً في بروج
وإن جُليت على الندمان يوماً تزاومتِ الهجوم على الخروج

وقال ابن الرومي

خلُّ الزمان إذا تعاسرَ أو نجح واشكُ الهمومَ إلى المدامة والقدح
واحفظ فؤادك إن شربت ثلثَةً واحذر عليه أن يطيرَ من القدح
هذا دواء للهموم مجرَّبٌ فاسمع نصية ناصحٍ لك قد نصحُ

وقال ابن الوكيل آخذاً عن ارسطاطاليس

وليست الكيمياء في غيرها وُجِدَتْ فكلما قيل في أبوابها كذبُ
قيراطُ خمر على قنطار من حزنٍ يعود في الحال أفرحاً وينقلبُ

وقال أبو نواس

تعلل بالمدمام عن النديم ففيه الروحُ كَرَّبَ الهموم
وبادر بالصبح فإنَّ فيه شفاء السقم للرجل السقيم
وخذها إن شربت وميض برقٍ بماء المَرْنِ من لطف الهموم
لتجعل هذه عرساً لهذا فإنَّ العقرَ بعَلَّ للكروم

وقال أيضاً

قف لا تحلجلُ عن راجٍ وريحانٍ فما البراحُ وتلك الراح ريحاني
لا تبرحنُ فقد كرت قوافرها واشرب عقاراً كعين الديك ندماني
من سلسبيل إذا ما الماء خالطها فاحت كما فاح تفاح بلبنانٍ

وقال ابن المعتز

أما ترى الدهر لا تبنى عجائبه والدهر يخلط مَعسوراً بميسورٍ
وليس للهَم إلا شرب صافيةٍ كأنها دمعَةٌ من عين مهجورٍ

من درر الحور محبوبك الطرفين

بدت لنا الراحُ في تاجٍ من الحَبَبِ فتحرقت حلَّة الظلماء بالهَبِ
بكرٌ إذا زوجت بالماء أولدها أطفال دُرٌّ على مهدٍ من الذهبِ
بعيدة العيد بالمعصار لو نطقت لحدثنا بما في سالف الحَقَبِ

وله أيضاً

حَيِّ الرِفَاقِ وَطَفِ بِكَاسِ الرَّاحِ وَاطْرِزِ بِكَاسِ حُلَّةِ الْأَفْرَاحِ
حُبُّ الْكُوُوسِ إِلَى جُسُومٍ أَصْبَحَتْ فِيهَا الْمُدَامِ شَرِيكَةَ الْأَرَوَاحِ
حَجَبَ الْحَبَابِ شُعَاعَهَا فَكَأَنَّهُ شَفَقٌ تَلَهَّبَ تَحْتَ ذَيْلِ صَبَاحِ

وقال أبو تمام حبيب الطائي

راحٌ إذا ما الراحُ كُنَّ مَطِيَّهَا كَانَتْ مَطَايَا الشَّوْقِ فِي الْأَحْشَاءِ
طُفِيْتُ وَرَاضَ الْمَرْجُ سَيِّءَ خُلُقِهَا فَتَعَلَّمْتُ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الْمَاءِ

عذراء يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ حَبَابُهَا كَتَلَأْعَبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ
وَصَعِيفَةٌ فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ كَذَلِكَ فُذْرَهُ الضُّعْفَاءِ

وقال ابن هيم

صفراء لو لاحت لشمس الضحى من قبل أن نطلع لم تطلع
أحسن ما في وصفها أنها لم تجتمع والهم في وضع

وقال الصفدي

أدرها سلافاً ما أملت بمنزل وما نزلت إلا مع السعد طالعه
وما اجتمعت والهم يوماً لأنها بكاساتها صفراء للهم قاطعه

وقال يزيد بن معاوية

وشمسة كرم برجها قعر دنها وطلعتها الساقى ومغربها فمي
مدام كتبر في إناء كفضة وساق كبدر مع ندامى كأنجم

وقال ابن وكيع

وصفراء من ماء الكروم كأنها فراق عُدُوٍّ أو لِقَاءِ صَدِيقِ
كأن الحباب المُستدير بطوقها كواكب دُرٍّ في سماء عَقيقِ
صَبَبْتُ عَلَيْهَا الْمَاءَ حَتَّى تَعَوَّضَتْ قَمِيصَ بَهَارٍ مَن قَمِيصِ شَقِيقِ

وقال عمر الدين الموصلی

لئن شبّه الساقى المدام بمسجد فقد مال بالتشبيه عن صيغة الأدب

ولكن راءها جوهراً سُميت طلا فميز ما قد حَلَّتِ الكاس بالذهبِ

وقال بكر بن خبرجة

غسلوني إن متُّ في ماء كرمٍ إنَّ روحي تحب ماء الكروم

حنطوني بتربها ثم رشوا كفني من رحيقها المختوم

وادفنونني بحانة عند دنٍ بفنا عسكر الدنان مقيم

وقال أبو الهندي

إذا حانت وفاتي فأقبروني بكرمٍ واجعلوا زقاً وسادي

وابريقاً إلى جنبي وطاساً يروي هامتي ويكون زادي

إن يزيد بن الجون بدرق كل ماله في السكر فاتفق يوماً شكتُهُ له للخليفة
وهو سكران حرق ساجهُ وسجنه في بيت الدجاج، فلما أفاق من سكره قال:

وقد كانت تخبرني ذنوبي بأني من عذابك غير ناجي

أقاد إلى السجون بغير ذنب كأني بعض عمال الخراج

ولو معهم حبست لهان وجدي ولكنني حبست مع الدجاج

أمير المؤمنين فدتك نفسي علام حبستني وخرقت ساجي

ويوماً سكر القاضي يحيى ابن أكرم فقال فيه المأمون

ناديته وهو ميت لا حراك به مكفن في ثياب من رياحين

فقلت: قم؟ قال: رجلي لا تطاوعني وقلت: خذ! قال: كفي لا تواتيني

فعندما فاق من سكره أجاب الملك المأمون

يا سيدي وأمير الناس كلهم قد جار في حكمه من كان يسقيني
إني غفلت عن الساقى فصيرني كما رأيت سليب العقل والدين
لا أستطيع نهوضاً قد وهى بدني ولا أجيء لداع حين يدعوني
فاختر لأرضك غيري إنني رجلٌ الراح تقتلني والعودُ يحييني

وقال أبو النواس مما أصابه من ضر الكاس

عُنَيْتُ مِرْغَبِ الْبِرْدُونِ حَتَّى أَضَرَ الْكَيْسَ إِغْلَاءَ الشَّعِيرِ
فَحَلْتُ إِلَى الْبِغَالِ فَأَعَوَزْتَنِي فَحَلْتُ مِنَ الْبِغَالِ إِلَى الْحَمِيرِ
فَأَعَيْتَنِي الْحَمِيرُ فَصِرْتُ أَمْشِي أَرْجِي الرَّجْلَ كَالرَّجْلِ الْكَسِيرِ

وقال رجل من بني قريش يذم الخمرة

ومن يجعل الكس اللثيمة شركه فلا بد يوماً أن يسيء ويجهلا
ولم أرْ مشروباً أشدَّ سفاهةً وأوضع للأشرافِ منها وأخملا

وقال البهاء زهير فيمن تاب توبة افلاس

قالوا فلانٌ قد غدا تائباً واليومَ قد صلى مع الناسِ
قلتُ متى ذاك وأنى له وكيف ينسى لذة الكاسِ
أمسٍ بهذي العينِ أبصرتهُ سكرانَ بين الوردِ والآسِ

وَرُحْتُ عَنْ تَوْبَتِهِ سَائِلًا وَجَدْتُهَا تَوْبَةً إِفْلَاسٍ

وقال محيي الدين بن قرناس تائباً حقيقة

وسلمتُ الأمور إلى إلهي وملت عن التهتك والهيام
وسلمتُ الأمور إلى إلهي وسلمتُ الأمور إلى إلهي

وقال بعضهم

قد هجرتُ الراح حتى ليس لي فيها نصيبُ (مرام)
وعلى الراووق مني طول ما عشتُ نصيبُ (السلام)

وقال أبو الفضل بن أحمد

تركنت النبيذ وشرابهُ وصرتُ صديقاً لمن عابهُ
شرابٌ يضل طريق الهدى ويفتحُ للنشر أبوابهُ

وقال نصير الحمامي

أقول للناس إذ تبدت في كَفِّ ساقِي لون أحمر
أخربت بيني وبينت غيري واصلُ ذا كعبك المدور

وقال الربيع الهمداني

تمادوا للمدام وعنفوني وقالوا هاك حظك من نعيم
فقلتُ أخافُ عقابها ولكن أشيئكم إلى دار النعيم

فصل حادي وخمسون: في المزاح والتحدّر منه

قال المتنبّي

وَمَا صَارَ وُدَّ النَّاسِ خِبَاءً جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بَابْتِسَامٍ
وَصِرْتُ أَشْكَ فَيَمَنْ أَضْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ
يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبِّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ

وقال الإمام علي ينهى عنه

فياك يوماً أَنْ تَمَازَحَ جَاهِلاً فتلقَ الذي لا تشتهي حين تمزحُ
ولا تك مريضاً تشاتم من دنا فتشبه كلباً بالسفاهة ينبحُ

وقال أيضاً

لا تمزحن الرجال إذا مزحوا لم أرَ قوماً تمازحوا سلموا
فالجرحُ جرح اللسان تعلمهُ فربّ قولٍ يسيلُ منها دمٌ

وقال بعضهم

أقلل المزاح في الكلام احترازاً فبإفراطهِ الدُّمَاءُ ترائُ
قلّة السمِّ لا تقتل وقد يقتلُ مع فرطٍ أكله الترياقُ

إن المزاح للجلالِ مَسْلُوبَةٌ والضحك أيضاً للبهاءِ مذهبَةٌ

وقال آخر

لا ينطقون بحرفٍ في المزاح سوي ما فيه نفعٌ أخصى عقلٍ به انتصحا
ومن تلا ألفَ بابٍ كلها حكمٌ لجاهل قال هذا طالما مزحا

وقال أبو نواس

قد صار في الناس جدًّا ما مزحتُ به كم مازحٍ صار بين الناسٍ مذموم

وفصل ثاني وخمسون: في الزهد بالأولاد والزواج

قال عبد العزيز الديريني

أحبُّ بنيتي وأودُّ أني وضعتُ بنيتي في قعرٍ لحدٍ
وما أن بغضها غرضي ولكن مخافة أن تذوق الذلَّ بعدي
وتسلم إن فقدتُ إلى نعيمٍ فيشتمُّ والدي ويُسبُّ جدي
فإن زوجها رجلاً فقيراً أراها عنده والهَمُّ عندي
وإن زوجها رجلاً غنياً فتبقى عنده في حال عبدٍ
سألت الله يأخذها قريباً وإن كانت أعزُّ الناس عندي

وقال آخر

وعيشك ليس بالأولاد خيرٌ فيا طوبى لمن أمسى عقيماً
فأما أن تربيهِ عدواً وأما إن تخليه يتيماً
وأما أن يموتَ وأنت حيٌّ فتصبحُ بجعه صبا سقيماً

وقال أبو الطيب سهل الصعلوكي

تقولون ذكر يحيى بنسله وليس له ذكرٌ إذا لم يكن نسلٌ
فقلتُ لهم نسلي بدائع حكمتي فإن فاتنا نسلٌ فإننا به نسلو

وقال الحسن بن يزيد العلوي

قالوا عقيمٌ ولم يولد له ولدٌ والمرء يخلفه من بعده الولدُ

فقلت من علقته بالحربِ همتهُ عافَ النساءِ ولم يكثر له عددُ

وقال سعيد بن عبد الله الثكلمي

هذا الزمان الذي كنا نحذرهُ فيما يُحدِّثُ عن كعبٍ ومسعودِ
إن دام هذا ولم يحدث به غيرُ لم يُيكَ ميتٌ ولم يُفَرِّحْ بمولودِ

غيره

معدَّبُ القلبِ لا ينفكُ من كمدٍ من كان ذا بلدٍ أو كان ذا ولدِ
والفارغُ القلبِ من لم ترَضَ همتهُ سكنى مكانٍ ولم يركنِ إلى أحدِ

غيره

كم حسرةٍ بي بالحشا من ولدٍ قد انتشا
كنا نشاء رُشدَهُ فما نشا كما نشا

وقال ابن الواظ

القبرُ سترٌ لجميع البنات وهو كما يروى من المكرمات
أما ترى الله سبحانه قد قرن النعش^(٢٥٤) بجنب البنات

وقال بعضهم في زهد الزواج

من يريد ضعفاً مروّجاً فليبادر يتزوج
من قريب سترهُ احذب الظهْرَ معوجَ

وقال آخر

قالوا تزوج قلتُ كلا أحسنُ ما كنتُ مخلأً
أكون حوتاً في قعر بحرٍ أصبح في طاجن مقلأً

يقون تزويجٌ واشهد هو البيعُ إلا من يشاء يُكذَّبُ

وقال آخر

زللتُ بقولي قبلتُ الزواج فاستغفر الله من زلتي
يقولون النساء جنان الرجالِ فقلت الجحيم ولا جنتي

فصل ثالث وخمسون: في بيان زوال الدنيا

قال شرف الدين بن أسد

يا من تملك ملكاً لا بقاء له حملت نفسك آثاماً وأوزارا
هذه الحيوة بذى الدنيا وإن عذبت إلا كطيف خيالٍ في الكرى زارا

وقال آخر

وغاية هذه الدار لذة ساعةٍ ويعقبها الأحزان والهم والغم
وهانك دار الأمن والعز والتقى ورحمة رب الناس والجود والكرم

غيره مكتوبٌ على قبرٍ

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا أن الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعينا لعرفتكم أن المفرط بالتزود قادم
لا تستعزوا بالحيوة لأنكم تبنون والموت المفترق هادم
ساوى الردي ما بيننا في حفرةٍ حيث المخدم واح والخادم

وقال عبد الله بن طاهر

أليس إلى ذا صار آخر أمرنا فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس ما تريه فكل أمور الناس هذا مصيرها

وقال بعضهم

عن قليل أصير كوم ترابٍ وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظماً رميمًا وجفاه الصحاب والاخوان

غيره

والله لو كانت الدنيا بأجمعها تُبقي علينا ويأتي رزقها رَعَدًا
ما كان من حُرٍّ أن يذلل لها فكيف وهي متاعٌ يَصْمَحِلُّ غدا
نفسي التي تملك الأشياء ذاهبةً فلست آسى على شيءٍ إنا ذهبنا
نزهتُ نفسي عن الدنيا ولذتها فضةً ابتغي منها ولا ذهبنا

وقال آخر

ألا إنما الدنيا رياحٌ زعازعٍ فتعمى وتهوي بالممالك والدُول
وتلوي بلب المرء بعد استقامةٍ إلى أن يرى تمن جَارَ فيها كمن عدل

وقال ابن سارا

بنوا الدنيا بجهلٍ عظموها فجَلَّتْ عندهم وهي الحقيرةُ
يهارشُ بعضهم بعضاً عليها مهارشةَ الكلابِ على العقيرةُ

قال الأعمى

نمِلُ إلى الدنيا على سطواتها وما نشرت من شرها المتداركِ
أعانقها عند الوداع تشبثاً وأي وداعٍ بيت قالٍ وفاركِ

ولما اختبرها ابو العتاهية

نَظَرْتُ إلى الدُّنيا بَعَيْنٍ مَرِيضَةٍ وَفِكْرَةٍ مَغْرُورٍ وَتَدْبِيرٍ جَاهِلِ
فَقُلْتُ هِيَ الدَّارُ الَّتِي لَيْسَ غَيْرُهَا وَنَاقَسْتُ مِنْهَا فِي غُرُورٍ وَبَاطِلِ

وقال أيضاً

ما رأيتُ العيشَ يصفو لأحدٍ دونَ كدٍّ وَعَناءٍ وَنَكْدٍ
قد أرى أن لستُ في الدنيا ولو بقيتُ لي دائماً طولَ الأبدِ
إنَّ للموتِ لسهماً قاتلاً ليسَ يفدي أحداً منه أحدُ
أجمعُ المالِ لغيري دائباً وأقاسي العيشَ منه في كبدِ
لمنِ المالُ الَّذي أجمعه ألتفسي أم لأهلي والولدِ
لا يُبالي وُلدي بعدي إذا غيبوا والدَّهْمَ تحتَ اللبدِ
وأصابوا مالَهُ من بعده أَلغيتُ قد مضى أم لِرشدِ
إمَّا دُنياكَ يَوْمٌ واحدٌ فإذا يَوْمُكَ وُلِّيَ لِمَ يَعُدُّ

وله أيضاً

يا دنياي ما لي لا أراكِ تسومي منزلاً إلا لباي
فما لي لستُ أحلبُ منك شطراً فأخمدَ منك عاقبةَ الجلابِ
وما لي لا أُلحَ عَلَيْكَ إلا بعثتَ الهَمَّ لي مِنْ كُلِّ بابِ
أراكِ وإنْ طلبتِ بكلِّ وجهٍ كحلْمِ النُّومِ، أو ظلِّ السَّحابِ
أو الأمسِ الَّذي وُلِّيَ ذهاباً وليسَ يعودُ، أو لمعِ السَّرابِ

وجاء في ديوان عقائد العقيان

أين الملوكُ ومن بالأرضِ قد عمروا قد فارقوا ما بنوا فيها وما عمروا
وأصبحوا رهنَ قبرٍ بالذي عملوا عادوا رميمًا به من بعد ما دثروا

أَيْنَ الْعَسَاكِرُ مَا رَدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا ادَّخَرُوا
أَتَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزْرٌ

وقال آخر

تَرَى خَضِرَةَ الدُّنْيَا تَرَوُّقٌ وَأَنْهَا سَوَادٌ خَضَابٍ لَا سَوَادٌ شَبَابٍ
نَصِييَكَ مِنْ أَنْهَارِهَا إِنْ وَرَدَهَا غُرُورٌ سَرَابٍ لَا سُرُورٌ شَرَابٍ

وقال الحريري

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا إِنَّهَا شَرُّكَ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَدًا بَعْدَ لَهَا مَنْ دَارِ
وَإِذَا أَظَلَّ سَحَابُهَا لَمْ يَنْتَقِعْ مِنْهُ صَدَى لَجَهَامِهِ الْغَرَارِ

وقال الإمام علي

وَكَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا بَيْنَهَا وَسَاءَ نِي مَعَ النَّاسِ مَيِّنٌ فِي الْأَحَادِيثِ وَالنَّقْلِ
مُغَيَّرَةُ الْحَالَاتِ نَاقِضَةُ الْقُوى مُوْتَقِنَةُ الْأَغْلَالِ مُحَكِّمَةُ الْعُقُلِ

وقال يذمها

يَا أُمَّ دَفَرٍ لِحَاكِ اللَّهِ وَالِدَةَ مِنْكَ الْإِضَاعَةُ وَالتَّفْرِيطُ وَالسَّرْفُ
لَوْ أَنَّكَ الْعِرْسُ أَوْقَعْتُ الطَّلَاقَ بِهَا لَكِنَّكَ الْأُمُّ هَلْ لِي عَنْكَ مُنْصَرَفٌ

وقال مقسماً العمر في هذه الدنيا

إِذَا عَاشَ الْفَتَى سِتِينَ عَامًا فَنِصْفُ الْعُمْرِ تَمَحُّقُهُ اللَّيَالِي
وَنِصْفُ النِّصْفِ يَذْهَبُ لَيْسَ يَدْرِي لِعَفْلَتِهِ يَمِينًا مِنْ شِمَالِ
وَتُلُتْ النِّصْفِ أَمْالٌ وَحِرْصٌ وَشُغْلٌ بِالْمَكَاسِبِ وَالْعِيَالِ
وَبَاقِي الْعُمْرِ أَسْقَامٌ وَشَيْبٌ وَهَمٌّ بِارْتِحَالِ وَإِنْتِقَالِ
فَحُبُّ الْمَرْءِ طَوْلَ الْعُمْرِ جَهْلٌ وَقِسْمَتُهُ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ

فصل رابع وخمسون: في التحذير من غرر الدنيا وبيان خداعها

قال أبو العتاهية

يا خالط الدين بالدنيا وباطلها ترضى بدنيات شيئاً ليس يسواه
حتى متى أنت في لهوٍ وفي لعبٍ والموت نحوك يهوي فاتحاً فاهُ

وقال أيضاً

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت لديه
تهينُ المكرمينَ لها بصغرٍ وتكرهُ كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه وخُذْ ما كنت محتاجاً إليه

وقال بعضهم

أتعمى من الدنيا وأنت بصيرٌ وتجهلُ ما فيها وأنت خبيرٌ
وتصبحُ تبنيها كأنك خالدٌ وأنتَ غدا عمًا بنيتَ تسيرٌ
فدونك فاصنع كلما أنت صانعٌ فإنَّ بيوتَ الميِّتِينَ قبورٌ

غيره

طلقوا الدنيا ثلاثاً ترحبوا واتركوها تستريحوا من صحيحٍ
فاقصروا عن طلبها يا خلتي لا تطيلوا ما عليها مستريحٍ

وقال الإمام علي

دنياك دارٌ من يحلُّ فناؤها فقد غمستهُ في الشرور الغوامسُ

وسلطانها كالنارِ إن هي أُلْمِسَتْ تحرق من يدنو لها ويلامسُ

وله أيضاً

إذا صقلت دنياك مرآة عقلها أرتك جزيلَ الخيرِ غيرِ جزيلِ
فبعداً لحاكِ الله يا شرَّ منزلٍ نراهُ من الانسانِ شرَّ نزيلِ

وقال بعضهم

إياك والدنيا فإنَّ لباسها يبلى الجسومَ وطبيها لا يعبُ
ولها همومٌ بالنفوسِ لو أبُقُّ وسرورها بصدورنا لا يلبُقُّ

غيره

لا تركزنَّ لدمنيةٍ مخضرةٍ من دونها فهناك كل سوادِ
ومتى صفت غلطاً براحه ساعةٍ استدركت بتتابعِ الأنكادِ
أترك ديارَ الأشقيا تنزُّها تجد السعادةَ نحو حيِّ سعادِ

وقال آخر

أصاحِ هي الدنيا تشابهُ ميتةً ونحن حواليتها الكلابُ النواجِ
فمن ظلَّ منها أكلاً خاسراً ومن عاد عنها ساعياً فهو رابِحُ

غيره

إنما الدنيا همومٌ كلها فاسمعِ النصحَ من القولِ الصحيحِ

كم غنيٌّ وفقيرٍ أتعبت يا لعمرى ما عليها مستريحٌ
غيره

ألا إنما الدنيا نضارةٌ أيكةٍ إذا اخضرَّ منها جانبٌ جفَّ
جانبٌ
فلا تكتحل عبارات منها بعبرةٍ على ذاهبٍ منها فإنك ذاهبٌ

وقال آخر

كفاك من الدنيا الذميمة مخبراً فتعي محبّوها وتشقى كرامها
وإن رجالَ النفع تحت مداسها وإن رجالَ الضرِّ فوق سنامها

غيره

دعها ولا تحفل بنا يا طالما عزّ اللئيم بها وذلّ كريمها
من شأنها تنجو مديح نزيلها ظلماً كما يهجو الحسينَ زعيمها

وقال الحافظ بن حجر

خليلي ولىّ العمر بها ولم نُنّب وننوي فحال الصالحين وما نبنا
فحتى متى نبني قصوراً دُمشيدةً وأعمارنا منا تهدُّ وما تبني

وقال ابن الرومي

لا تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاءُ الطفل ساعةً يولدُ

وإلا فما يُبكيه فيها وأنها لأفسح مما كان فيه وأرغد
إذا أصر الدنيا استهل كأنه بما سوف يلقي من آذاها يهدد
وقال أبو نواس

وما الناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين غريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وقال أبو العتاهية

ألا نحن في دارٍ قليل بقائها سريح تدانيها وشيك فناؤها
تزوّد من الدنيا الثقى والنهى فقد تنكّرت الدنيا وحان انقضاؤها
عداً تخرّب الدنيا ويذهب أهلها جميعاً وتطوى أرضها وسماؤها
ترقى من الدنيا إلى أي غاية سموت إليها فالمنيا وراؤها
ومن كلفته النفس فوق كفافها فما ينقضي حتى الممات عناؤها

فصل خامس وخمسون: فيمن يزهد بالدنيا وتكبت محبتها

قال عبد الله بن المبارك

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم هجوعُ
أطار الخوفُ نومَهُم فقاموا وأهل الأمنِ في الدنيا هجوعُ

وقال آخر

لله درُّ السادة الزهادِ في كل وادٍ مقفرٍ ونادٍ
هجرُوا المراقد في الظلام لربهم واستبدلوا سهراً بطيب رقادٍ
كتموا الضنا حفظاً لهم فتحملوا فأنت عليهم حرقَةُ الأكبادِ
لا يفترونَ إذا الدجا وافاهم من كثرة الأذكار والأورادِ

غيره

أهلُ المحبَّةِ بالمحبوبِ قد شغلوا وفي محبَّتهِ أرواحُهُم بدَّلوا
وخزَّبوا كلَّ ما يغنى وقد عمروا ما كان يبقى فيا حسن الذي عملوا
لا زينةُ الأرض تلهيهم وتعجبهم ولا جناها ولا فخرٌ ولا حُلُّ
تاهوا عن الكون من وجدٍ ومن طربٍ وما استقل بهم ربعٌ ولا طللُ
داعي المنية نادهم وألقهم فكيف يهدونَ والنيرانُ تشتعلُ
وافت لهم خلْعُ التشريفِ يحملُها عرف النسيم الذي من نشره ثملوا
همُ الأحبَّةُ أدناهم لأنهمُ عن خدمةِ الصمدِ المحبوبِ ما غفلوا

وقال الخوري نيقولا

هكذا هكذا أَتَتْكَ كِرَامٌ تَتَجَارَى إِلَيْكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
وإذا ما تطارحوا لَحَنَ نَظْمِ طَرَحُوا اللَّحْنَ مِنْ فُصُولِ الْكَلَامِ
لابْسِينَ الْجِدَادَ فَوْقَ جُسُومِ شَفَّ مِنْ تَحْتِهَا نَحِيفُ الْعِظَامِ
لَهُمُ الْبِرُّ وَالْعَفَافُ وَشَاخُ غَيْرُ مُسْتَرِدِّ مَدَى الْأَيَّامِ
مَنْطَقَتْ حَقْوَهُمْ مَنَاطِقُ نُسُكِ أَكْسَبَتْهُمْ طَهَارَةَ الْأَجْسَامِ
أَلَمُوا جِسْمَهُمْ بِالْآلَامِ زُهَيْدِ أَقْدَتِ النَّفْسَ مِنْ قَدَى الْآلَامِ
خَاصَمُوا الْجِسْمَ وَاللَّعِينَ وَدُنْيَا هُ فَفَازُوا بِالصُّلْحِ مِنْ ذَا الْخِصَامِ

قال أبو العتاهية محرصاً من الدنيا

اعْمَدُ لِنَفْسِكَ وَإِذْكَرْ سَاعَةَ الْأَجَلِ وَلَا تُعْرَنْ فِي دُنْيَاكَ بِالْأَمَلِ
سَابِقِ حُتُوفِ الرَّدَى وَعَمَلِ عَلَى مَهَلٍ مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى مَهَلٍ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَمُفْتَحَصٌ عَمَّا عَمِلْتَ وَمَعْرُوضٌ عَلَى الْعَمَلِ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا فَإِنَّهَا قُرْنَتْ بِالظُّلِّ فِي الْمَثَلِ
لَا يَحْرُزُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقَبَةٍ يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجَلِ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتِ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا أَحْجَى اللَّيْبِ بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ

وقال أيضاً

أَمَلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْتَ مُدْرِكُهُ وَالْعُمْرُ لَا بُدَّ أَنْ يَفْنَى وَإِنْ طَالَا

حَتَّى مَتَى أَنْتَ بِالْأَمَالِ مُشْتَبِكٌ إِذَا انْقَضَى أَمَلٌ أَمَلْتَ آمَالاً
 أَلَمْ تَرَ الْمَلِكَ الْأُمِّيَّ حِينَ مَضَى هَلْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا نَالَا
 أَفْنَاهُ مَنْ لَمْ يَزَلْ يُفْنِي الْمُلُوكَ فَقَدْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ عَنْهُ الْمَلِكُ قَدْ زَالَا

ومما قال أيضاً مزهداً عاشقها

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارٍ بَقَاءِ كِفَاكَ بِدَارِ الْمَوْتِ دَارَ فَنَاءِ
 فَلَا تَعَشَّقِ الدُّنْيَا أُخَيِّ فَإِمَّا تَرَى عَاشِقَ الدُّنْيَا بِجُهْدِ بَلَاءِ
 حَلَاوَتِهَا مَمْرُوجَةٌ بِمَرَارَةٍ وَرَاحَتِهَا مَمْرُوجَةٌ بِعِنَاءِ
 فَلَا تَمْشِ يَوْمًا فِي ثِيَابٍ مَخِيلَةٍ فَإِنَّكَ مِنْ طِينٍ خُلِقْتَ وَمَاءِ

وله أيضاً

أَلَا كُلُّ مَوْلُودٍ فَلِلْمَوْتِ يَوْلَدُ وَلَسْتُ أَرَى حَيًّا لِسَيِّئٍ يُخَلِّدُ
 تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِمَّا سَقَطْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ
 وَأَفْضَلُ شَيْءٍ نَلْتَ مِنْهَا فَإِنَّهُ مَتَاعٌ قَلِيلٌ يَضْمَحِلُّ وَيَنْفَدُ
 وَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ أَذْهَبَ الدَّهْرُ عِزَّهُ فَأَصْبَحَ مَرْحُومًا وَقَدْ كَانَ يُحْسَدُ
 فَلَا تَحْمَدِ الدُّنْيَا وَلَكِنْ قَدِّمِهَا وَمَا بِالْشَيْءِ دَمَهُ اللَّهُ يُحْمَدُ

وقال

يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا أَلَمْ تَرَ زَهْرَةَ ال دُنْيَا عَلَى الْأَيَّامِ كَيْفَ تَصِيرُ

لا تُعْظِمِ الدُّنْيَا فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِيهَا صَغِيرٌ لَوْ عَلِمْتَ حَقِيرُ
نَلَّ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَنَالَ مِنَ الْغِنَى إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَقْنَعِ فَأَنْتَ فَقِيرُ
يَا جَامِعَ الْمَالِ الْكَثِيرِ لِغَيْرِهِ إِنَّ الصَّغِيرَ مِنَ الذُّنُوبِ كَبِيرُ
هَلْ فِي يَدَيْكَ عَلَى الْحَوَادِثِ قُوَّةٌ أَمْ هَلْ عَلَيْكَ مِنَ الْمَنُونِ حَفِيرُ

وقال بعضهم موبخاً

فيا من بات ينمو بالخطايا وعين الله ساهرة تراه
أما تخشى من الديان طرداً بجرم دائماً أبداً تراه
أتعصي الله وهو يراك جهراً وتنسى في غد حقاً تراه
وتخلو بالمعاصي وهو دان إليك وليس تخشى من لقاءه
وتنكر فعلها ولها شهود بمكتوب عليك وقد حواه
فيا حزن المسيء لشؤم ذنب وبعد الحزن يكفيه حماه
فيندب حسرة من بعد موت ويبيكي حيث لا يجدي بكاه
يعض يديه من ندم وحزن ويندب حسرة ما قد عراه
فكن بالله ذا ثقةٍ وحاذر هجوم الموتِ قبلاً أن تراه
فبادر بالصلاح وأنت حي لعلك أن تنال به رضاه

وقال ابن ربيعة

ألا كل ما خلا الله باطلٌ وكل نعيم لا محالة زائلٌ

وكل ابن أنثى لو تناول عمره إلى الغاية القصوى فلقبر آيلُ

كل امرئ يوماً سيعرف سعيه إذا حصلت عند الإله الحصائلُ

وقال الإمام علي

يا طالبَ الصفوِ في الدنيا بلا كدرٍ طلبتَ معدومةً فإياسَ من الظفرِ

وأعلمَ بأنك ما عمّرتَ مُمتحنٌ بالخيرِ والشرِّ والميسورِ والعُسْرِ

أني تنالَ بها نفعاً بلا ضررٍ وأنها خلقتَ للنفعِ والضررِ

فصل سادس وخمسون: في التوبة وطلب العفو من الله

قال المطران جرمانوس

تُب إنما الأعمار برقُّ خَلْبٍ ووبرقها تذرُ الحياة رَذاذا
واسعد بموتٍ صالحٍ في توبةٍ مرضيةٍ تكسو الخطاةَ جُذاذا
وابغضَ خطيئتك التي من شأنها تدعُ الغنيَ بفضائلٍ شحّادا

وجاء في ديوان عقائد العقيان

أيها المطرود من باب الرضى كم يراك الله تلهو معرضا
كم إلى كم أنت في جهل الصبا قد مضى عمرُ الصبا وانقرضا
قم إذا الليلُ دجت ظلمتهُ وستلذِ الجفنُ أن يغمضا
فضع الخدَّ على الأرض وُنح وأقرعِ ألسنَّ على ما قد مضى

وقال بعضهم

بادر إلى التوبة الخلاء مجتهداً فالموتُ ويحك لم يمددُ إليك يدا
فإما المرء في الدنيا على خطرٍ إن لم يكن ميتاً في اليوم مات غدا

قال أبو العتاهية

آيس من الناس وأرجُ الواحد الصمدا فإنه هو أعلى منةً ويذا
إن كان من نال سلطاناً فسادَ به مستيقناً أنه يبقى له أبدا

أولا فويحك فلا تلعب بنفسك إذ لم تدر في اليوم ما يقضى عليك غدا

وقال أيضاً

يا ربُّ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ قَدْ أَعْقَبَتْ مَنْ نَالَهَا حُزْناً هُنَاكَ طَوِيلَا
عَظَّمَ الْبَلَاءُ بِهَا عَلَيْهِ وَإِيَّاهَا نَالَ الْمُفْضَلُ لِلشَّقَاءِ قَلِيلَا
فَإِذَا دَعَتَكَ إِلَى الْخَطِيئَةِ شَهْوَةٌ فَاجْعَلْ لِطَرْفِكَ فِي السَّمَاءِ سَبِيلَا
وَخَفِ الْإِلَهَ فَإِنَّهُ لَكَ نَاطِرٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ زَاجِراً وَسَئُولَا
مَاذَا تَقُولُ غَدًا إِذَا لَاقَيْتَهُ بِصَغَائِرٍ وَكِبَائِرٍ مَسْئُولَا
لَا تَرْتَكِنَنَّ إِلَى الرَّجَاءِ فَإِنَّهُ حَدَعَ الْقُلُوبَ وَضَلَّلَ الْمَعْقُولَا

وقال بعضهم طالباً للخلاص

إني بليت بأربعٍ يرميني بالنبل عن قوسٍ لها تأثيرٌ
وإبليسُ والدنيا ونفسي والهوى يا رب أنت على الخلاصِ قديرٌ

وقال الإمام علي طالباً للعفو

إلهي أنت ذو فضلٍ ومَنُّ وإني ذو خطايا فاعفُ عني
وظني فيك يا رب جميلٌ فحقق يا إلهي حسنَ ظني

وقال أيضاً

أيا من ليس لي منه مجيرٌ بعفوك من عقابك أستجيرٌ
أنا العبد المقرُّ بكل ذنبٍ وأنت السيّد الصمدُ الغفورُ

فإن عذبتني فالذنبُ مني وإن تغفر فأنت بهِ جديرٌ

وله أيضاً معترفاً بذنوبه

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي بَعْفُوكَ إِن عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا عَضْتُ أَنَامِلِي وَقَرَعْتُ سَنِّي
وَبَيْنَ يَدَيَّ مُحْتَبَسٌ طَوِيلٌ كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ لَهُ كَأَنِّي
يَظُنُّ النَّاسُ بِي حَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِن لَمْ تَعْفُ عَنِّي
أَجْنٌ بِرَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا وَأَفْنِي الْعُمَرَ مِنْهَا بِالتَّأْنِي
فَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ فِيهَا قَلَّبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمَجَنُّ

وقال بعضهم مستغفراً

تذكرت أيامي وما كان في الصبا من الذنب والعصيان والجهل والجفا
وناديت من لا يعلم السر غيره ومن وعد الغفران من كان قد جفا
وعاد إليه من كبار ذنوبه فجاد عليه بالجميل تعطفوا
أغثنني إلهي واعف عني فإنني أتيت كثيراً مذنباً متلهفا
وخذ بيدي من ظلمة الذنب سيدي وجد لي بما أرجوه منك تطفوا

غيره

يا رب أنت الذي بالعفو متصفاً تجودُ حلماً على الخاطئ وتستره
تخفي القبيح وتبدي كل صالحاً وتغمر العبدَ إحساناً وتشكره

وقال آخر

ما زلت أعرف بالأساة دائماً ويكونُ منك العفو والغفرانُ
قولي الجميلَ على القبيحِ تكرماً أنت الكريمُ المنعمُ المتأنُّ

غيره

شكوتُ إلى خيرٍ سوءَ حظِّي فأوصاني بتركي للمعاصي
لأنَّ الحفظَ فضلٌ من إلهي وفضلُ الله لا يعطى لعاصي

وقال أبو نواس

أقلني قد ندمتُ على الذنوبِ وبالإقرار عدتُ عن الجحودِ
أنا استدعيتُ عفوك عن قريبٍ كما استغفيتُ سخطك من بعيدِ
فإن عاقبتني فبسوءِ فعلي ولم تظلم عذوبةً مستفيدِ

وقال أيضاً في طلب العفو

أيا من ليس لي منه مجيرُ بعفوك من عذابك استجيرُ
أنا العبد المقرُّ بكل ذنبٍ وأنت السيّد المولى المجيرُ
أفرُّ إليك منك وأين إلا إليك يفرُّ منك المستجيرُ

وقال بعضهم تائباً

فعبدك في معاصيك تمادى وبادر إن طغى وبغى عنادا
وها أنا واقف بالباب فرداً كما تأتي العبيد غداً فرادا

فكم سوّدت من صُحفٍ ولكن ستورُ الحلمِ غطيَنَ السوادا
فواخجلى فما لي ثم وجهُ أواجهكم ولا أعددتُ زادا
ولا مالٌ يقربني إليكم ولا جاءهُ يبلغني المرادا
فيا مولاي جُد بالعفو وارحم كئيباً قد أتى جهراً ونادى
أقلني عثرتي يا ربّ واغفر لعبدٍ في المعاصي قد تمادى

وقال المطران جرمانوس

من مشرقِ العين أو من مغربِ الدمعِ أحييتِ يا توبهً ميتاً بلا نفع
إنّ اعتماداي قضى والإثمُ مصرعه يا شامتينِ صلُّنَّ الوترَ بالشفع
لما رفعتُ بنودَ التوبةِ انخفضتِ أعلامُ إثمِي فحزنتُ الخفضَ بالرفع
تبّاً لكم عُدتُ حياً حين تبّتُ كما قد كنت ميتاً وبعثُ الميت للمدعي

وقال يعطي الطوبى للتائب

طوبى لمن قد تابَ بعدَ خطائِهِ طوعاً وأدَى دَينَهُ بِبُكائِهِ
ورأى الهدى أنّ لا يضلُّ هُداءَهُ واعتاضَ عن طُغيانِهِ بِهُدائِهِ
ونجا بتوبتِهِ الصحيحةِ مذ رأى سجنَ الجحيمِ مُؤبّداً بلطائِهِ

وقال أبو نواس

يا ربّ إن عَظمتُ دُنوبي كثرةً فَلقد عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكِ أعظَمُ
إن كانَ لا يَرجوكِ إلّا مُحسنٌ قِيمَن يَلوذُ وَيستَجيرُ المُجرِمُ
أدعوكَ ربّ كما أمرتَ تَصرّعاً فَإذا رَدَدتْ يَدَي فَمَن ذا يَرحمُ

وقال بعضهم تائباً وطالِباً المغفرة

يا رب قد تبت فاغفر زلتي كرماً وارحم بعفوك من أخطأ ومن ندما
لا عدت أفعَل ما قد كنت أفعله عمري فخذ بيدي يا خير من رحما
هذا مقام ظلوم خائف وجلِّ لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما
فاصفح بعفوك عمن جاء معتذراً واغفر ذنوب مسيء طالما اجترما

وقال آخر بما يجيب به الرحمان للتائب

قُلْ لِلَّذِي أَلْفَ الذُّنُوبِ وَأَجْرَمَا وَعَدَا عَلَى زَلَاتِهِ مُتَّئِدَمَا
لَا تَيَأْسُنْ وَاطْلُبْ كَرِيماً دَائِماً يُؤْوِي الْجَمِيلَ تَفْضُلاً وَتَكْرُماً
يَا عَاصِينَ فَإِنْ جُودِي وَاسِعٌ تَوَبُوا وَدُونَكُمْ الْمُنَى وَالْمَغْنَمَا
لَا تَخْتَشُوا مَنْ قَبِحَ ذَنْبٍ سَالِفٍ إِنِّي أَحِبُّ بَأْنَ أَجُودٍ وَأَرْحَمَا
هَذَا قَدْ أَبْحَثْتُمْ جَنَانِي فَادْخُلُوا بِالْأَمْنِ فَهُوَ مِمَّنْ أَتَانِي فِي حَمَا
يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ إِلَى مَتَى تُفْنِي زَمَانِكَ فِي عَسَى وَلَرَّيْمَا
بَادِرْ إِلَى مَوْلَاكَ يَا مَنْ عُمُرُهُ قَدْ ضَاعَ فِي عَصِيَانِهِ وَتَصَرَّمَا

وغيره بهذا المعنى

فكم ليبت عبدي إذ دعاني وراعى الوداد وما رعاني
أنا المرخي السور على المعاصي على العبد الجسور إذا عصاني
وأصفح للأثيم إذا أتاني وعاتب نفسه عما جفاني

فكم أعددت للتوابع عندي من الخيرات في غرف الجنانِ
وإن ناداني الخاطيء بصدق وإخلاصٍ حوى كل المعاني
فمن يأتي إلي ينال عزاً ويحظى بالمسرة والأمانِ

وفصل سابع وخمسون: في التأهب للموت

قال الإمام علي

مضى الدهر والأيام والذنب حاصلٌ وجاء رسول الموت والقلب غافلٌ
تزود من الدنيا فإنك ميتٌ وبادر فإن الموت لا شك نازلٌ
نعيمك في الدنيا غرور وحسره وعيشك في الدنيا محال وباطلٌ
ألا إثمها الدنيا كمنزل راكبٍ أناخَ عشياً وهو في الصبح راحلٌ

وقال بعضهم

يا ابن آدم لا تغررك عافيةٌ عليك شاملة فالعمرُ محدودٌ
ما أنت إلا كزرعٍ عند خضرته بكل شيء من الآفاتٍ مقصودٌ
فإن سلمتَ من الآفاتِ أجمعها فأنت عند كمالِ الأمرِ محمودٌ

وقال عبد الله بن المعتز

نَسِيرٌ إِلَى الآجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهِنَّ مَرَاجِلُ
وَلَمْ نَرِ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الأَمَانِيُّ بَاطِلُ
وَمَا أَقْبَحُ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرِّأْسِ نَازِلُ
تَرَحَّلَ عَنِ الدُّنْيَا بِنَازِدٍ مِنَ التُّقَى فَعُمُرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ

وقال الإمام علي

النَّفْسُ تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدِ عَلِمَتْ إِنَّ السَّلَامَةَ فِيهَا تَرُكُ مَا فِيهَا

لا دارَ لِلْمَرءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ بَانِيهَا
 كَمِ مِنْ مَدَائِنَ فِي الْأَفَاقِ قَدْ بُنِيَتْ أَمَسَتْ خَرَاباً وَدَانَ الْمَوْتُ دَانِيهَا
 لِكُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ مِنَ الْمَنِيَّةِ آمَالٌ تُقْوِيهَا
 فَأَلْمَرءُ يَبْسُطُهَا وَالذَّهْرُ يَقْبُضُهَا وَالنَّفْسُ تَنْشُرُهَا وَالْمَوْتُ يَطْوِيهَا

وقال أبو نواس محذراً

أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ وَالذُّنُوبُ تَزِيدُ وَالكَاتِبُ الْمَحْصِي عَلَيْكَ شَهِيدُ
 كَمِ قُلْتَ لَسْتُ بِعَائِدٍ فِي سَوَاءَةٍ وَنَذَرْتَ فِيهَا ثُمَّ صِرْتَ تَعُودُ
 حَتَّى مَتَى لَا تَرَعُوي عَن لَذَّةٍ وَحِسَابُهَا يَوْمَ الْحِسَابِ شَدِيدُ

وقال ابن سنا

سِوَايَ يَخَافُ الذَّهْرَ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدَى وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَكُونَ مَخْلَدَا
 وَلَكِنِّي لَا أَزْهَبُ الذَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَحْذَرُ الْمَوْتَ الرُّؤْمَ إِذَا عَدَا
 وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَدِيثُ الذَّهْرِ كَفَّهُ لِحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أُمِدَّ لَهُ يَدَا

وقال المطران جرمانوس

دَخَلْنَا إِلَى الدُّنْيَا عِرَاءً وَإِنَّا عِرَاءَةٌ نَفَارِقُهَا وَلَا خُلْفَ فِي الْأَمْرِ
 ذَا كَانَ ذَا لَا بَدَّ مِنْهُ فَقَمِ بِنَا نَمْرُقُ ثُوبَ الْمَالِ بِالنَّسْكِ وَالْفَقْرِ

وقال أيضاً

زُرِينِي فَإِنَّ الْمَوْتَ بِالْبَابِ واقِفٌ يِعَارِكُنِي حَتَّى هِيَ مَهْجَتِي الْعِرْكُ

وقد كثر الموتُ الردي عن نواجذٍ فلا حبذا سنٌ ولا حبذا فكٌ

وقال أبو العتاهية

أَفْتَيْتَ عُمَرَكَ إِدْبَاراً وَإِقْبَالاً تَبْغِي الْبَنِينَ وَتَبْغِي الْأَهْلَ وَالْمَالَا
لِلْمَوْتِ غَوْلٌ فَكُنْ مَا عِشْتَ مُلْتَمِساً مِنْ غَوْلِهِ حَيْلَةٌ إِنْ كُنْتَ مُحْتَالَا
وَأَسْتُ حَقًّا بِهَوْلِ الْمَوْتِ مُنْقَلِباً حَتَّى تُعَايِنَ بَعْدَ الْمَوْتِ أَهْوَالَا

وله أيضاً

لَيْتَ شِعْرِي فَإِنِّي لَسْتُ أَدْرِي أَيُّ يَوْمٍ يَكُونُ آخِرَ عُمْرِي
وَبِأَيِّ الْبِلَادِ تُقْبِضُ رُوحِي وَبِأَيِّ الْبِقَاعِ يُحْفَرُ قَبْرِي

وقال محثاً للتأهب

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَإِنبُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ
لِمَنْ نَبِيٍّ وَنَحْنُ إِلَى تُرَابِ نَصِيرُ كَمَا خُلِقْنَا مِنْ تُرَابِ
أَلَا يَا مَوْتُ لَمْ أَرْ مِنْكَ بُدًّا أَبِيتَ فَلَا تَحِيْفُ وَلَا تُحَايِ
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيْبُ عَلَى شَبَابِي

وقال الأعمى

الموتُ بازٌ والنفوسُ حمامٌ والقبرُ مفترسٌ ونحنُ فرائسُ
وإذا رجعت إلى الحقائق لم يكن في العالم السفلي إلا بائسُ

وقال أيضاً

تقدم الناس فيا شوقنا إلى اتباع الأهل والأصدقا
ما أطيب الموت لشرابه إن صحَّ الأموات وشكُّ التقا

وقال أيضاً متأهياً

حياتي تعذيبُ وموقى راحةُ وكل ابن أنثى في التراب سجينُ

يفقد غرايزي شمِّي وذوقي ولمسي تابعُ بصري وسمعي
إذا ما أعظمي صارت هباءً فإن الله لا يعيه جمعي

وقال أبو العتاهية موبخاً

قد سمعنا الوعظَ لو ينفَعُنَا وقرأنا جُلَّ آياتِ الكُتُبِ
كُلُّ نَفْسٍ سَتُوْفَى سَعِيْهَا ولها ميقاتٌ يومٌ قد وجب
جَفَّتِ الأَقْلَامُ مِنْ قَبْلُ هِما حَتَمَ اللّهُ عَلَيْنَا وَكَتَبِ
يَهْرُبُ المَرءُ مِنَ المَوْتِ وَهَل يَنْفَعُ المَرءَ مِنَ المَوْتِ الهَرَبِ
كُلُّ نَفْسٍ سَتُقاسي مَرَّةً كُرَبَ المَوْتِ فَلِلْمَوْتِ كُرَبِ
أَيُّهَا النّاسِ ما حَلَّ بِكُمْ عَجَباً مِنْ سَهوِكُمْ كَلَّ العَجَبِ

وَسَقَامٌ تُمَّ مَوْتُ نَازِلٌ تُمَّ قَبْرٌ وَنُشُورٌ وَجَلَبٌ
وَحِسَابٌ وَكِتَابٌ حَافِظٌ وَمَوَازِينٌ وَنَارٌ تَلْتَهِبُ

وقال ابن لئنك البصري

نحن والله في زمانٍ غشومٍ لو رأيناها في المنام فرعنا
أصبح الناس فيه من سوء حالٍ حقُّ من مات منهم أن يُهنا

وقال بعضهم

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً والناس حولك يضحكون سرورا
فاحرص على عملٍ تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً وسرورا

وقال منصور الفقيه

قد قلتُ مُد مدحوا الحياة فأسرفوا في الموتِ ألف فضيلة لا تعرفُ
عنها أمان لقاؤه بلقاؤه وفراقُ كل معاشٍ لا يُنصفُ

وقال أبو أحمد الكاتب

من كان يرجو أن يعيش فإنني أصبحت أرجو أن أموتَ فاعتقا
في الموتِ ألف فضيلةٍ لو أنها عُرِفَت نكات سبيله أن يعشقا

وقال الفارابي

مَلتُ أَيَمَ اللّهِ عَن نَفْسِي يَا حَبْذا يَوْمَ حُلُولِ رَمْسِي
أولُ سَعْدِي زوالِ حَسِي وَكُلُّ جَنسٍ حَقَّ بِالْجَنسِ

وقال الرزاي

نِهايَةَ أَقدامِ العُقُولِ عَقالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ العالِمِينَ ضالُّ
وَأرواحنا فِي وَحْشَةٍ مَن جَسومنا وَتَأمِيلِ دِنيانا أذَى وَوبالُّ

وفصل ثامن وخمسون: في الموت وتذكر أواخر الجسم

قال بعضهم

فلو كان هوْلُ الموتِ لا شيءَ بعدهُ لهان علينا الأمرُ وأحتقر الأمرُ
ولكنه حشرٌ ونشرٌ وجنَّةٌ ونارٌ وما قد يستطيلُ به الخبرُ

غيره

ولو كنا إذا متنا تُركنا لكان الموت راحةً كل حي
ولكننا إذا متنا بُعتنا ونسأل بعدهُ عن كل شيء

قال أبو بكر من نوع الإجازة

الموت بابٌ وكل الناس تدخلهُ يا ليت شعري بعد البابِ ما الدارُ

فأجازه عمر بن الخطاب بقوله

الدار دارٌ نعيمٍ إن عملت بما يرضي الإله وإن خالفت فالنارُ

فأجازه عثمان بقوله

هما مجلان ما للناسِ غيرهما فانظر لنفسك أي الدار تختارُ

فأجازه علي بقوله

ما للعباد سوى الفردوس أن عملوا وإن هفوا هفوةً فالربُّ غفار

حَيْلُ ابن آدم في الأمور كثيرةٌ والموتُ يقطع حيلةَ المحتالِ

وقال المتنبى

إذا ما تأملتُ الزمانَ وصرّفه تيقنتَ أن الموتَ ضربٌ من القتلِ
وما الموتَ إلا سارقٌ دق شخصه يصولُ بلا كُفٍّ ويسعى بلا رجلِ

ومما قيل في شاب كان يأكل عسلاً شرق ومات

اعمل وأنت صحيحٌ مطلقٌ فرحٌ ما دمتَ ويحك يا مغرور في مهلِ
يرجو الحياةَ صحيحٌ ربما كمنت له المنية بين الزبد والعسلِ

وقال بعضهم

وما هذه الأيامُ إلا صحائفٌ يؤرّخُ فيها ثم يمحي وتمحُّقُ
ولم أرَ في دهري كدائرة المنى توسعها الآمالُ والعمرُ ضيقُ

رأيتُ الموتَ للحيوان داءً فكيف أعالج الداء القديم

وقال الامام علي

الموتُ لا والداً يبقى ولداً هذا السبيل إلى أن لا ترى أحداً
للموت فينا سهامٌ غير خاطيةٍ من فاته اليوم سهمٌ لم يفته غداً

وقال المتنبى

نحن بنوا الموقى فما بالناس نعافُ ما لا بدّ من شربه

يموتُ راعي الضان في جهلهِ موتةَ جالينوس في طبّهِ

ومما قاله بعضهم

إن الطبيب له في الطب معرفةٌ ما دام في أجلِ الانسان تأخيرُ
حتى إذا قضيت أيامُ مدتهِ حار الطبيبُ وخانتهُ المقاديرُ

وقال الأعمى

على الموت يجتاز المعاشرُ كلهم مقيماً بأهله ومن يتغربُ
وما الأرض إلا مثلنا الرزقَ تبتغي فتأكل من هذه الأنام وتشربُ

وقال الإمام علي

ألا هل إلى طول الحيوة سبيلاً وإني وهذا الموت ليس يحولُ
وإني رأيت أصبحت بالموت موقناً فلي أملٌ دون اليقينِ طويلُ

وقال السموأل

يقرب حُبُّ الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطوُلُ
وما مات منا سيدٌ حتف أنفه ولا ظلُّ منا حيث كان قتيلاً

وقال أبو العتاهية

كانَّ الموتُ قد نزلنا مفرق بيننا عاجلاً

كفى بالموتِ موعظةً ومعتبراً لمن عقلا

وقال أيضاً

ما أشد الميْتِ حدّاً ولكن ما ورا الموتِ حقاً الشدُّ
كلُّ حيٍّ ضاقتِ الأرضِ فيه سوف يكفيه من الأرضِ لحدُّ
كل من مات سهى الناسُ عنه ليس بين الميْتِ والحي ودُّ

وقال

أرى الطيبَ بطبه ودوائه لا يستطيع دفاعَ مكروهٍ أتى
ما للطيبِ يموتُ بالداء الذي قد كان يبرى منه فيما قد مضى
ذهب المداوي والمداوي والذي جلب الدوا وباعه ومن اشترى

وله

ما أبعد الموتِ للدنيا وأسحقه وما أمرَّ جنى الدنيا وأحلاه
كم نافس المرء في شيء وكادَ بهِ الناسَ ثم مضى عنه وخلاه
يكي عليه قليلاً ثم يخرجهُ فيمكن الأرض من ثم ينسأه
وكل ذي أجلٍ يوماً سيبلغهُ وكل ذي عملٍ يوماً سيلقاه

وقال أيضاً

ما حالَ مَنْ سَكَنَ الثرى ما حالهُ أمسى وقد قُطعتِ هُنَاكَ جبالهُ

أَمْسَى وَلَا رَوْحَ الْحَيَاةِ تُصِيْبُهُ يَوْمًا وَلَا لُطْفَ الْحَبِيبِ يَنَالُهُ
أَمْسَى وَقَدْ دَرَسَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ وَتَفَرَّقَتْ فِي قَبْرِهِ أَوْصَالُهُ

وقال الأعمى في عدم تكريم الجسد بعد الموت

لا تحرموا جسدي إذا ما حلَّ بي ريب المنونِ فلا فضيلةً للجسدِ
فحوادث الأيام غير تواركٍ نسر النجوم ولا السماك ولا الأسدِ

وقال الخوري نيقولا في أواخر الجسم

كوني استحالَ إلى بلىٍ وفسادٍ لا غرورَ هذه غايَةُ الأجسادِ
بُعداً لجسمٍ قد غدا متبذراً وهو المولَّفُ شاملَ الأبعادِ
أي جائزاً هذا السبيلَ تَرَفَّقَن بي وانتبه من رائجٍ أو غادِ
أني غدوت الآنَ مَضْجَعِ السَّرى فمتى يكونُ به مهبُّ رُقادي
أَمْسَيْتُ لِلْحَشْرَاتِ خَيْرَ فَرِيْسَةٍ يَا لَيْتَ كُنْتُ فَرِيْسَةَ الْآسَادِ
نَهَلْتُ دِمَائِي وَلَا تَسَلْ حَتَّى ارْتَوَتْ مَنِّي قُلُوبٌ لَمْ يَزَلْنَ صَوَادِي
قِفْ وَاتْلُ مَا سَطَّرْتُهُ لَكَ وَاعْتَبِرْ وَانظُرْ بِلِحْدِي إِنَّ فِيهِ رَمَادِي
عَمَّرْتُ لِي قَبْرًا وَكُنْتُ بِصِحَّتِي حَيًّا عَلَى دُعْرِ بَغِيرِ تَمَادِي
وَارْمُقْ لِمُدُودِ بِهِ مَتَضَيِّقٍ ضَيْقًا بِلَا فَرَجٍ لِيَوْمِ مَعَادِي
فِي ظَلْمَةٍ أَبَتْ الضِّيَاءَ كَثِيْفَةً مَنْ جَاَزَ فِيهَا لَمْ يَقْزِ بِرَشَادِي

متكبلاً اقيادَ خصمِ داركِ قاسِ تملكِ مُهجتي وقيادي
وغدوت منه مغلاً لا استطيعُ بهِ الحراكِ على مَدَى الآبادِ
ويروعي صوتُ الملاكِ منادياً يوماً يُنادي عندَ ذاكِ الناديِ
يا ذا الرُقودُ من القُبورِ إلا أخرجوا هُبُّوا أيَا نُوأمُ بعدَ رُقادِ

فصل تاسع وخمسون: في التعازي والمراثي

قال عمر بن المظفر

الدهر يفججُ بعد العين بالأثرِ فما البكاء على الأشباحِ والصورِ
فالدهر حربٌ وإن أبدا مسالمةً والبيضُ والسمرُ مثل البيضِ والسمرِ
فلا يغرّنك من دنياك نومتها فما صناعةُ عينيها سوى السهرِ

وقال بعضهم

وما أهل الحيوة لنا بأهلٍ ولا دار الفنا لنا بدارِ
ولا أرواحنا إلا عيارٌ سيأخذنا المعيرُ من العارِ

وقال أبو العتاهية

إصِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرَّةَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
أَوْ مَا تَرَى أَنَّ الْمَصَائِبَ جَمَّةٌ وَتَرَى الْمَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ مِرْصَدِ
مَنْ لَمْ يُصَبْ مِمَّنْ تَرَى مُصِيبَةً هَذَا سَبِيلٌ لَسْتَ فِيهِ بِأَوْحَدِ

ومما قلت أعزّي بعضهم

بصير يقتني الفردوس حقاً كما عنه نبا ربُّ الجنودِ
وإن طالت سلامتنا زماناً فلا بُدَّ القضاء بلا جودِ
تغويننا الدنيَّةُ بالدنايا وما للمرء فيها من ركودِ
فمن يبكي على مئيتِ بكه فلا يجديهِ نفعاً بالركودِ

ولو كان البكا للميت يجدي لأروت أدمعي تُربّ المجود
فلا يجدي سوى أفعال خير لمن أضحى ليفناً بالكتود

وقال الخوري نيقولا يعزى أحد أصحابه

فاحزَنَ على ابنك حُزَنَ داودِ على آبيشَلُومَ وما بذاك تكلف
فالأصل يُرجى بعد قطع فروعِهِ أن تَبَّتَ الاغصانُ منه فيُخِلِفُ
من ذا الذي يحيى وليس يرى فسا دأً مثلما قال النبي الأشرِفُ
هذي الشريعةُ ليس يُنْقَضَ وضعُها هل مُخِلِفٌ عن أمرها يتخلفُ
الموتُ مُعِفٌ كلَّ أحقابِ الورى إن يعتفوا منه وإن لم يعتفوا
مستظهِراً ابداً على أجيالهم إن يختفوا عنه وإن لم يختفوا
والموتُ لو هجنته ألسنة الورى فيه مزايا جمَّةٌ لا تُوصَفُ

وقال بعضهم

ولم تر عيني كالصغار مصابهم يُقَلِّبُ اكبادَ أكبادَ على الجمرِ
فلا تبك مفقوداً إلى ربه مضى سعيداً بلا إثم عليه ولا وزرِ
فإنك رأس المال ما دمت باقياً وعودت منه بالمشوبة والأجرِ

وقال ابن الوردي

كُتِبَ الموتُ على الخلقِ فكم هَدَّ من عرشٍ وأفنى من دُولِ

أَيْنَ كَنَعَانُ نَمْرُودُ وَمَنْ مَلَكَ الْأَرْضَ وَوَلِيَّ وَعَزَلُ
 أَيْنَ عَادُ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ رَفَعَ الْأَهْرَامَ مِنْ يَسْمَعُ يَخْلُ
 أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنَوْا هَلَكَ الْكُلُّ وَكَمْ تُغْنِي الْقُلُ

وقال ابن معتوق

أَمْوَالِي هَذَا عَادَةُ الدَّهْرِ فِي الْوَرَى وَلَيْسَ بِهِ خَيْرٌ يَدُومُ وَلَا شَرُّ
 فَعُدْرًا لِمَا يَجْنِيهِ فِيكُمْ فَكَمْ وَكَمْ لَهُ عِنْدَكُمْ مِنْ قَبْلِ فَادِحَةٍ وَتُرُّ
 عَسَى اللَّهُ يَجْزِيكَ الثَّوَابَ مُضَاعَفًا وَيَعْقُبُ عُسْرَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ يُسْرُ
 وَيُلْهِمُكَ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ بِفَضْلِهِ وَيَمْتَدُّ فِي الْحِظِّ السَّعِيدِ لَكَ الْعُمْرُ

وقال أيضاً يرثي علي بن أبي طالب

حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَنْقُضِي وَتَصْبُرِي مِنِّي عَلِيٌّ تَعَدَّرَا
 وَرَحْمَتَاهُ لَصَارِحَاتٍ حَوْلَهُ تَبْكِي لَهُ وَلَوْجِهَا لَنْ تَسْتُرَا
 مُلْقَى عَلَى وَجْهِ الثُّرَابِ تَظَنَّهُ دَاوُدَ فِي الْمِحْرَابِ حِينَ تَسُورَا
 لَهْفِي عَلَى الْعَارِي السَّلِيبِ ثِيَابُهُ فَكَأَنَّهُ ذُو النُّونِ يُنْبَذُ بِالْعَرَا
 لَهْفِي عَلَى الْهَاوِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَمَرٌ هَوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكُورَا
 لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبَنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوْ أَنَّهَا ائْتَصَلَتْ لَكَانَتْ أَبْحُرَا
 لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مَجْنَدٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا
 لِحِقِّ الْعُبَارِ جَبِينَهُ وَلَطَالَمَا فِي شَاوِهِ لِحِقِّ الْكِرَامِ وَغَيْرَا

وقال يرثي كمال الدين الموسوي فكيف

فكيفَ رياضَ الحُزنِ يبسُّمُ نَوْرُها وترجو حياةً بعدَما هَلَكَ القَطْرُ
وكيفَ نُرجي أنَ لليلِ آخِراً وفي ظُلماتِ الأرضِ قد دُفِنَ الفَجْرُ
فأَيُّ عِظامٍ في نَراهُ عَظيمةٌ تجلُّ وعن إرثانِها يصعُرُ الشَّعْرُ
فَمَنْ لِليتامى والأرامِلِ بعدَهُ وممَّنْ نرجي النُفَعِ إنْ مَسَّنا الضُّرُ
كَأنَ الوري من حوله قبلَ بعثهم دَعاهُم من الأجداثِ في يومه الحَشْرُ
لَئِنْ غَدَرَتْ فيه اللَّيالي فإنَّها بكُلِّ وفيَّ العهدِ شيمَتُها العَدْرُ
سَرَتْ نسمَةُ الرُضوانِ نحو ضريحه ولا زالَ فيها من شَذا طيبه نَشْرُ

وقال أبو محمد القبطري يرثي امرأته

يا ربةَ القبرِ فوق القبرِ ذو حرقٍ يرثي له القبرِ من شجوةٍ ومن شجنِ
تباينت فيك أحوالي أسىً فمضى إلى لقائك صبري طالبِ الوسنِ
وخالف القلبُ فيك العين من كمدٍ فاسودَّ بالغمِّ وabiضَّت من الحزنِ

وقال محمد بن عبد الله العتبي يرثي أبناً له

أضحت بخدي للدموعِ رسومٌ أسفاً عليك في المِوادِ كلومٌ
والصبرُ يحمدُ في المواطنِ كلها إلا عليك فإنه مذمومٌ

وقال بعضهم

خليلي ما ازدادُ إلا صاباهُ إليك وما تزدادُ تنائيا

خليلي لو نفسُ فدت نفسَ ميتٍ فديتك مسروراً بنفسي وماليا
وقد كنت ارجي أن تعيش وأن أمت فحال رجاء الله دون رجائيا

غيره

فأرى ديارك بعد وجهك قفرةً والقبر منك مشيّدٌ معمورٌ
فالناس كلهم لفقْدك واجدٌ في كل بيت رنةٌ وزفيرٌ

وقال منصور بن اسماعيل المصري

سألتُ رسومَ القبرِ عمن ثوى بهِ لأعلم ما لاقى فقالت جوانبهُ
اتسألُ عمن عاشَ بعد وفاتهِ بإحسانه اخوانهُ وأقاربهُ

وقال الأصمعي

لعمرك ما الرزيةُ فقدُ مالٍ ولا فرسٌ يموتُ ولا بعيرٌ
ولكن الرزيةُ فقدُ حُرٌّ يموتُ لموته خلقٌ كثيرٌ

وقال الصفدي

يا غائباً في الثرى تبنى محاسنهُ الله يوليك غفراناً واحسانا
إن كنت جرعت كاسَ الموتِ واحدةً في كل يوم أذوق الموتَ أحيانا

وقال بعضهم عن لسان ميتٍ

ضعوا خدي على لحدي ضعوه ضعوا خدي على لحدي ضعوه

وشقوا عنه أكفاناً رفاقاً وفي الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه إذا تقضت صبيحة ثالثٍ أنكرتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه على وجناته وانفض فوه
وناداه البلا هذا فلانُ هلموا فانظروا هل تعرفوه
حببيكم وجاركم المفدى تقادم عهده فنسيتموه

وقفت شعراً مكتوباً على قبر

قف واعتبر يا من ترى قبري وما بي قد جرى
بالأمس كنت نظيركم واليوم أبراني البري
قل ربنا ألطف بنا وأرحم عظاماً في الثرى

وقال بعضهم

مالي وقفتُ على القُبورِ مُسَلِّماً على الرميمِ فلم يردَّ جوابي
يا صاح مالك لا تجيبُ منادياً أنكرتَ بعدي خِلَّةَ الأصحابِ
قال الرميمُ وكيف لي بجوابِكم وأنا رهينُ جنادلٍ وتُرابِ
أكل الترابُ محاسني فنسيْتُكم وحجبتُ عن أهلي وعن أحبائي

وغيره

رب يا رباه هذا جسدي تحت أطباق الثرى مرتهنا
ما أرى لي عملاً لكن أرى يا إلهي فيك ظني حسنا

وعلى عفوك يا ذا الفضل قد كنت في دنيائي أحسنت الثنا

وقال العباس بن الأحنف يرثي صديقاً له

إذا ما دعوتُ الصبر بعدك والبُكا أجاب البُكا طوعاً وما جاوب الصبرُ
فإن ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

وقال بعضهم

وقفْتُ على الأُحبة حين صَفَّتْ قبورهم كأفراسِ الرهائي
فلما أن بكيْتُ وفاضَ دمعي رأَت عيناى بينهما مكاني

وقال أشجع السلمي

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض فحسبك منى ما تكون الجوانحُ
وما أنا من رزء وأن جَلَّ جازعٌ ولا بسرورٍ على فقدك فارحُ

ومما قلت في مرثية

يا وحشتي من بعد فقدي سلوتي بلوى وصدري دون بلوى ضيُّقُ
واحسرتي طول المدى واحسرتي من بعده ما زال لبسى الأزرق
يا بدر تم لا هلالاً ناقصٌ ينعيك ربعٌ كنت فيه تشرقُ
علمي البدورُ في الأعالي ركزها ما بال وجهك ضمن رمسٍ **مرهقُ**
أضمرت ناراً في فوادي ضدها عبراتُ عيني مثل نهر يدفقُ

وقال المطران جرمانوس

أَفْأَيُّ عَيْنٍ لَا تَرُفُ وَتَدْمَعُ أم أي قلبٍ لا يرقُّ ويوجعُ
لمصائب الدهر الخؤون لأهله فكأنه سهمٌ ونحن المصرعُ
فكأنما أعمارنا وكرورها ماءً هوى من شاهقٍ إذ يسرعُ
يا بينُ ما لك في ربوعي نازلاً ومنازلي فيها الأحبة هُجَّعُ
إني أخاف ولست أولَ خائفٍ والرعد تسبقه البروق اللُّمَّعُ
يا ساكني الشهباء هل لي عندكم خلٌّ ولكن بالدلالِ مُقَنَّعُ
فارقتُ في لبنان طلعةً أنسه فعدمتها يا حبذاك المطلعُ
فأضعتَه ما بين لبنانٍ وما حلبٍ فإني مُضَيِّعٌ ومُضَيِّعُ
يا تاري في حزنه من بعده مثلاً تسير به الرياح الأربعُ
قد شقَّ جيبَ القلبِ فيك حُشاشةٌ تفديك عني مهجةٌ تتقطَّعُ
ولقد صدعت عليك قلباً شيقاً ناهيك من قلبٍ عليك يُصدَعُ
أخبار موتك لو رأى آثارها قلبٌ كفورٍ لاثنتي يتوجَّعُ
يوم الثلاثاء قد كساني حزنهُ ثوباً ولكن بالدموع مرصَّعُ
يا فقدَ قلبي والحبیبِ ومنزلي فثلاثةٌ فيها المصيبة أربعُ
يا راحلاً والقلب معهُ راحلٌ شوقاً فهل يرتدُّ قلبٌ مولعُ
قد كنتَ سرّاً في ضميري كامناً فوشى بك الموت العدو الأشنعُ
سلكُ الدموع به فرائدُ ذكركم ما أحسنَ الأشعارَ حين تُرصَّعُ
فأخي وقلبي سافرا عني معاً هذا وذاك مُضَيِّعٌ ومُشَيِّعُ
ودعت قلبي حين سار مودَّعي فأنا وذاك مودَّعٌ ومودَّعُ

وقال بعضهم

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلِبَ الرَّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ
وَأَسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاقِلِهِمْ وَأَسْكِنُوا حُفْرًا يَا بَيْسَمَا نَزَلُوا
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ دَفْنِهِمْ أَيِنَّ الْأَسَاوِرُ وَ التِّيَّجَانُ وَ الْحَلَلُ
أَيِنَّ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَبَةً وَكَانَ مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَ الْكِلَلُ
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ تَقْتَتِلُ
قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا دَهْرًا وَ قَدْ شَرِبُوا وَأَصْبَحُوا الْيَوْمَ بَعْدَ الْأَكْلِ قَدْ أُكَلُوا

فصل ستون: في جمع أبيات على نسق مذاكرة الأنفاس

لكن مختلفة المعاني والأوزان

ولي أمل قطعت به الليالي أراني قد فנית به وداما
الله أصدق والآمال كاذبة وجلّ هذه المنّا في الصدر وسواسُ
سويّ الحظوظ ونظم الرزق قدره يعطيك فضلاً ويعطى للسوي بختا
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنتَ بالتنفس لا بالمجسم انسانُ
نكد الأديب وطيب عيش الجاهل قد أرشداك الي حكيمٍ كاملٍ
لعمرك ما ضاقت بلاداً بأهلها ولكن أخلاق الرجالِ تضيقُ
قد يرزقُ المرء بلاداً تتعب رواحلهُ ويحرم الرزقَ ممن قد جدّ بالطلبِ
بفردٍ رغيفٍ يمتلي جوف جائحٍ ولا شيء يرضى ضيقَ العين في الدنيا
أسير قيود البطن ليس براقِدٍ عشيّة في العيش أو ليلة التخمِ
ما كل ما فوق البسيطة كافياً وإذا قنعت ف كل شيء كافٍ
فازجر فؤادك عن حرصٍ ومن نصبٍ فيما وحقك يأتي الرزق بالنصبِ
بالجود تملك أرواح الجنود وأن تبخل يفرّوا إلى نحو السوي سرعا
أيقنت أن من السخاء شجاعهً وعلمت أن من السماحة جودا
إذا كنت في أمر فكن فيه محسناً فعما قليل أنت ماضٍ وتاركه
هوّن عليك فما الدنيا بدائمةٍ وإنما أنت مثل الناس مغرورُ
رُبّ أمرٍ يسوء ثم يسرُّ وكذلك الزمان حلوّ ومرُّ
رأيت الذنوب هميت القلوب وقد يورث الذلّ إدمانها

إذا المذنب الخطيء والعفو واسعٌ
 وخرقته ثوب المرء وهي قديمه
 ليس الشفيح الذي يأتيك متزراً
 الأمن والخوف أيام مداولة
 . على المرء أن يسعى ويبدل جهده
 إذا لم يكن للمرء جدّ مساعداً
 يسعى امرء لينال ما يسعى له
 بعد المتابِ نجاه العبد ممكنة
 سُقام الحمق ليس له دواءٌ
 بالطيِّ نامٍ ولم يشعر به أحدٌ
 هل يدفع الدرع الحصين منيةً
 تسرُّ بما يفنى وتفرح بالمنى
 من يصرّف العمر فيما ليس ينفعه
 تلومُ على القطيعة من أتاها
 يقولون الزمان به فسادٌ
 نعيب زماننا والعيب فينا
 ألم ترّ أن الدهر يومٌ وليلةٌ
 تدمّ دهرك جهلاً في تصرفه
 ربُّ يوم بكيت منه فلما
 هنيئاً لمن لا ذاق للدهر لوعةً
 ولو لم يكن ذنبٌ لما عُرف العفو
 على المرء من ثوب الاعارة أجملاً
 مثل الشفيح الذي يأتيك عريانا
 بين الأنام وبعد الضيق تتسع
 ويفضي إله الخلق ما كان قاضياً
 فلا جدّه يغني ولا جهده يُجدي
 والأمر يصرّفه القضاء الغائبُ
 إلا تخلصه من ألسن الناس
 وداء الجهل ليس له طبيبٌ
 والحين فاجا وما قامت نوادبه
 يوماً إذا حضرت لوقت مماتٍ
 كما سرّ باللذات في النوم حاماً
 أضاع أمواله من غير تقويتٍ
 وأنت سنّنتها للناس قبلي
 لقد فُسدوا وما فُسد الزمانُ
 وما لزماننا عيب سوانا
 يكرّان من سبتٍ عليك إلى سبتٍ
 لا تشك دهرك إن الدهر مأمورٌ
 صرت في غيره بكيت عليه
 ولم تأخذ الأيام من نصيبا

الحادثات إذا أمَّ خطوبها
 نحن بنوا الموقى فما بالننا
 هلك المداوي والمداوى والذي
 يا طالب الطبِّ من داء تخوفه
 إذا أنت لم تعلم طبيبك كل ما
 مضى الخير طراً ليس في الناس منصفُ
 فلو كان علم الطبِّ للموت مانعُ
 وما الطبُّ إلا حدهُ حفظ صحّةِ
 رأيتُ لسان المرء ألة عقله
 نسيْتُ عهدك والنسيانُ مغتفره
 سوء حظي أنا لني منك هجرأ
 بحرمةٍ ما قد كان بيني وبينكم
 يفارقني من لا أطيعق فراقه
 هي المقاديرُ تجري في أعتها
 لكلا حالات بؤسٍ ونعمةُ
 هب الدنيا تقادُ إليك عفواً
 لا تسأل الناس عما في ضمائرهم
 يريك الرضى والغلّ حشو جفونه
 تظن فتاة وهي تمّت ازارها
 الشمس نور الكون بعد صفاتها
 فلها مساو مرّة ومحاسنُ
 نعا ف ما لا بدّ من شربه
 جلبّ الدواء وباعهُ ومن اشترى
 أنّ الطيب الذي أبلاك بالداءِ
 يسوءك أبعدت الدواء عن السقمِ
 فكل وداٍ فهو منهم تكلفُ
 لما مات بقراطُ وزيدٌ ولا عمرو
 بحفظِ قوانينٍ بها يحصلُ البرءُ
 وعنوانه أنظر به إذا تعنونُ
 فأغفر فأولُ ناسٍ أولُ الناسِ
 فعلى الحظ لا عليك العتابُ
 من الودِّ إلا ما رجعتم إلى وصلي
 ويصحبني في الناس من لا أريدهُ
 فاصبر فليس لها دوّمٌ على حالِ
 وأعطفهم في النائباتِ أقاربهُ
 أليس مصير ذاك الي الزوالِ
 ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني
 وقد تنطق العينان والقم ساكئُ
 فإن برزت لاحت كجدة أمها
 ويظنّها الحفاشُ أقبحُ ما يرى

يا لأمي باللوم والتهديد هل
 من لم يدرّبهُ التخريب والنوى
 إذا كان ربُّ البيت بالبوق ضارباً
 صن الطرفَ عن أهل المحبة يا رشا
 بخمس خياراتٍ لقاضيك رشوةً
 عليك بالقصد فيما أنت فاعلهُ
 قل للذي لستُ أدري من تلونهِ
 يواسي الغرابُ الذئبَ في كل صيدهِ
 لا تنظرنَ إلى الجهالة والجحى
 ردوا على صحايفاً سوّدتها
 قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه
 عتبتُ على عمروٍ فلما تركتهُ
 وقواسٍ لطيف الطبع عندي
 يا من على الجود صاغ الله راحتهُ
 دعيني أنهب الأموال حتى
 متى زاد في طبع المعلم حلمه
 بالملاح نصلح ما نخشى تغييره
 ربُّ ركب قد أناخوا في المسا
 لأشكرنَ لك معروفاً هممتَ به
 فلأشكرنك ما حييت وإن أمتُ
 يرجى الشفاء لمن بفاسٍ يججمُ
 ييدي خشونته على الغرباء
 فلا تلم الصبيان فيه على الرقصِ
 وإلا وضعت القلب تحت عذابِ
 تثبت في البطيخ عشر مزارعِ
 إن التخلق يأتي دونه الخلقُ
 أناصحُ أم على غشّ يناجيني
 وما صادت الغربانُ في سعف النخيلِ
 وأنظر إلى الاقبال والادبار
 فيكم بلا حقٍ ولا استحقاقِ
 خلقٌ وجيبٌ قميصه مرقوعُ
 وجربتُ أقواماً بكيت على عمرو
 أعزُّ من الفقيه إذا تعدي
 فليس يحسن غير البذل والجودِ
 أعف الأكرمينَ عن اللئامِ
 تزاحم بالأولاد سوق الملاعبِ
 فكيف بالملاح إن حلت به الغيرُ
 يمزجون الخمر بالماء الزلال
 فإن همك بالمعروف معروفُ
 فلتشكرنك أعظمي في قبرها

الشكر أفضل ما حاولت ملتمساً
 ستذكرني إذا جرت غيري
 قالوا أتريد بن غبنا فقلت لهم
 يهون علينا أن تصاب جسومنا
 لا يسكن المرء في أرض يهان بها
 ليس المقام عليك حتماً واجباً
 الناس في طلب المعاش وإمّا
 قد يجمع المال غير آكله
 هي القناعة فالزمها تعش ملكاً
 ندمت ندامة الكسعيّ لما
 هل الحيوة بذى الدنيا وإن عذبت
 إذا ما أتيت الأمر من غير بابهِ
 يا من أسأت وبالإحسان قابلني
 لا تسأل الناس ما مالي وكثرته
 يعدّ رفيعُ القوم من كان عاقلاً
 بأركان هذا البيت أني لطائفُ
 في يابس البيد أو جاري الرمال فما
 فعادم الزاد إذ تهوي به قدمُ
 فما أكثر الأصحاب حين تعدهم
 لعمرك ما مالُ الفتى بذخيرةٍ

به الزيادة عند الله والناس
 وتعلم أنني نعم الصديق
 نعم واشفق من دمعي على بصري
 وتسلم أعراض لنا وعقول
 إلا من العجز أو من قلة الحيل
 موضع يدعى العزيز ذليلاً
 بالجد يرزق منهم من يرزق
 ويأكل المال غير من جمعه
 لو لم يكن منك إلا راحة البدن
 رأيت عيناه ما صنعت يده
 إلا كطيف خيال في الكرى زارا
 ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتدي
 وجوده لجميع الناس مبذول
 وسائل الناس ما جودي وما خلقي
 وإن لم يكن في قومه بنسب
 في الكون أسراراً وفيه لطائفُ
 لظامي القلب يغنى المأس والصدفُ
 له استوى الذهب المكنوز والخزفُ
 ولكنهم في النائبات قليلُ
 ولكن اخوان الثقات الذخائرُ

رأيٌ وثيقٌ واخلاصٌ ومعرفةٌ
 إذا وافي صديقك من تعادي
 ملولٌ السجايا كيف للقلب ضمُّهُ
 انفض يدين من الصديق أخى النُّهى
 كم ذا شهدتْ أموراً في الدهور مضت
 العلم ينهض والخسيس إلى العلا
 بعنا خسيساً فلم يحزن له أحدٌ
 دعوى الرجولية أترك وانتبه لترى
 رَبِّ رامٍ لي بأحجار الأذى
 هجوت زهيراً ثم في مدحُتهُ
 حبك الحرير كل شخص تقاصر عن
 أخوانٌ صدقٍ ما رأوك بغبطةٍ
 يموتُ الفتى من عثرة بلسانهِ
 لئن جادَ لي سهلُ الطباعِ بحنظلٍ
 حبتني النوى في بيلقان بعايدٍ
 لساني قصيرٌ في مديحك سيدي
 روت عنك أخبار المعالي محاسناً
 دهرٌ طويلٌ وأعوامٌ وأزمنةٌ سيركض
 ألا بلغوا الزنبورَ إذ ساء فعلهُ
 ليتَ البطون الوالدات جميعها
 يجلُّ أحوالك اللاحق تعانيتها
 فقد عاداك وانفصل الكلامُ
 وما كل حينٍ تسعفُ الفلك ريحها
 حيناً تراه مع الأعادي يضحك
 البخت والتخت والتحذير والاغرا
 والجهل يقعد بالفتى المسنوبِ
 وغابَ عنا فغاب الهمُّ والكمدُ
 لا فرق في الأصل في الأثنى عن الذكرِ
 لم أجد بدأً من العطف عليه
 وما زالت الأشراف تهجي وتمدحُ
 حبك للحصير واسم الحبكِ قد شملا
 فإذا افتقرت فقد هوى بك من هوى
 وليس يموت المرء من عثرة الرجلِ
 أحبُّ لقلبي من حلاوة كالحِ
 فقلت بماء النصح طهر من الجهلِ
 لأنِّي فقيرٌ والفقيرُ مقصّرُ
 كنت بلسان الحال عن ألسنِ الحميدِ
 الخلق فيها فوق رؤوسنا
 دعِ اللسعِ يا مؤذي وإن تمنع العسلُ
 طول المدى عن نتجِ مثلك تعقمُ

من كان يؤذي الخلق أضحى نحوسةً
 إذا لم تحز فضلاً وصفو كماله
 ماذا أخاضك يا مغرور بالخطر
 رأس النصاب في غضون الهدب
 بليثٌ بنحوي يصول مغاضباً
 وليس عجباً أن تذلل بلابل
 صدقت وقلت حقاً غير أني
 يا من تعرض لي يريد مساءتي
 ماذا تفيد اللص توبته إذا
 كسوتني حلةً تبلى محاسنها
 إن عيني مُذْ غاب شخصك عنها
 يا راحلاً وجميل الصبر يتبعه
 قالوا تباكي بالدموع وما بكى
 يا من به السعديُّ غاب عن الوري
 أحبكم وهلاكي في محبتكم
 هل يستحيل من الذنوبِ تخلصاً
 إن لم يجد يوم الخطوب حبيبا
 فحفك لا تبدي اللسان من الفم
 حتى هلكت فليت النمل لم يطير
 أحسن من ملح العدى بالقرب
 عليّ كزيدٍ في التقابل مع عمرو
 بقرب غراب قد ترافق في قفص
 أشأ أن لا أراك ولا تراني
 لا تعرضن فقد نصحت لمندم
 عدم الطريق لسلم التسليك
 فسوف أكسوك من حسن الشا حلا
 يأمر السهد في كراها وينهى
 هل من سبيل إلى لقياك يتفق
 بدمٍ على عيش تصرم وانقضى
 أرفق بمن أضحى إليك فقيرا
 كعابد النار يهواها وتحرقه
 وشذا المكارم في رجاك تأرجا

الخاتمة: في تقريظ هذه المجموعة

قال بعض المتقدمين

ومجموع حوى غر المعاني كأمثالِ المثلثِ والمثاني
به حكم وأشعار حسانٍ كترصيحِ الجماني على الغواني

وقال آخر

ففي كل بابٍ منه درٌ مؤلّفٌ كنظمِ عقودِ زينتها الجواهرُ
فإن نُظِمَ العقد الذي فيه جوهرٌ على غير تآليفٍ فما الدرُّ فاخرُ

وقال التحرير الأملعي الخواجة فرنسيس مرّاش

لكل مجد في الورى نفع فاضلٍ وليس يفيد العلم من دون عاملٍ
يسابق بعض الناس بعضاً يجهدهم وما كل كر بالهوى كر باسلٍ
إذا لم يكن نفع لذي العلم والحجى فما هو بين الناس إلا كجاهلٍ
كذاك إذا لم ينفع المرء غيره يعد كشوك بين زهر الخمائلٍ
ولا يحسبن المرء أن اجتهادهً يحاشيه من طاري صروف الغوائلٍ
فكل امرء بين الصروف موقعٌ وقوعٌ صريف الاسم بين العواملٍ
حذارٍ فترك الجهدِ عارٌ على الفتى ولو كان مغلولاً بكل السلاسلِ
أضاء انتشار العلمِ جبل جهالةٍ ومن فرجٍ كان انفراجُ الحبالِ
اديب جنينا اليوم من ثمراته نواضعٍ تحلو في غصون المسائلِ

أتانا بما للعقل ينهج مسلكاً
 إلى الرشد والتهذيب بين الأفاضل
 بتحفة أبحار القرايح والنهى
 خرائد كالأقمار عند التكامل
 أَرانا مقامَ الخالِ في كل حالةٍ
 وأظهر بطلانَ الحسودِ المقاتلِ
 وجاء بتريصع الحقائق بالهدى
 بمجموعةٍ ترنو إلى كل سائلِ
 فمن غررٍ غراءٍ تحلو لذي الذكا
 ومن حكمٍ يصبو لها كلُّ عاقلِ
 أحب انبثاثَ العلم في الناس فانبرى
 يطارحُ أربابَ النهي بالمشاكلِ
 وما الحبُّ إلا خصلةٌ إن تغلّبت
 على المرء كانت فيه خيرَ الفضائلِ

وقال أيضاً الأديب اللبيب الخواجة ميشيل صولا مقرظاً

هذه المجموعة

أتى قَرَجٌ للعلمِ زانَ اجتلاؤهُ
 وباليأس زال اليأس عنا ضناؤهُ
 لقد سعدت عيني برؤية تحفةٍ
 فسطرها ضمن القلوب يراعهُ
 ومجموعةٍ في كل فن قد ازدهت
 كروضٍ تزيّن أرضه وسماؤهُ
 له الله من شهمٍ تخصّص بالجحى
 أفاض علينا فهمهُ وذاؤهُ
 فؤادي مغرومٌ به وبلطفه
 وفي كل فن ضاء فينا سناؤهُ
 رعى الله لبنان الذي فاق أهلهُ
 بـجودٍ وآدابٍ يعمُّ انتفاعهُ
 فأنا نرى أهل الثغور تسارعت
 لغوص محيط العلم حازوا سخاؤهُ
 وفي عصرنا هذا تميز أهلها
 فاضحوا لداء الجاهلين دواؤهُ

ألم ترّ في بيروت كيف رجالها إلى الفضل أمسوا أهلهُ ولوأوهُ
فكم أزهرِيٌّ قد نُشي بوجودهم ومن جودهم كم أزهرت علماؤهُ
له الحمد بالشهباء قال ألو النُهَى أتى فرجٌ للعلم زانَ اجتلاؤهُ

وقال بعضهم

ومجموع حوى ما تشتهيه من الحسنات كجنات النعيم
وحاز من البلاغة كل معنى بألفاظ أرقّ من النسيم

غيره

يا مَنْ غدا ناظراً في ما كتبت ومَنْ أضحى يردد في ما قلتهُ النظرا
سألتك الله إن عاينت لي خطأً فاستر عليه فخيرُ الناس من سترا

تم

فهرس

- 12 جامعها مخمساً
- 24 عبد الغني النابلسي مخمساً
- 29 القصيدة الزينية
- 33 قصيدة الشيخ ناصيف اليازجي
- 35 قصيدة المعلم بطرس كرامة
- 37 جواب الشيخ صالح التميمي
- 39 جواب المعلم بطرس على تنكيث الشيخ صالح
- 42 قصيدة من قول المطران جرمانوس فرحات
- 46 قصيدة من قول الخواجا فرنسيس مرّاش
- 48 قصيدة أبو الحسن بن هلال البغدادي
- 50 زهرية مقرى الوحش
- 52 موشح من قول جامعها
- 55 جواب الخوري يوسف الدبس عليه
- 57 قصيدة أجاب بها جامعها
- 60 قصيدة أخرى من قول جامعها
- 62 فصل أول: في عدم ادراك قدرة الله
- 63 فصل ثاني: في تقوى الله
- 65 فصل ثالث: في التسليم والتوكل
- 67 فصل رابع: في العقل والعلم
- 73 فصل خامس: في الأدب

| | |
|-----|--|
| 76 | فصل سادس: في بعض ما يبيده الجهال ضد العلم والأدب وتفضيلهم المال عليهما |
| 79 | فصل سابع: في فضيلة التواضع وذم الكبرياء |
| 82 | فصل ثامن: في رذيلة الحسد والحقد وذمهما |
| 86 | فصل تاسع: في فضيلة الصمت |
| 88 | فصل عاشر: في البخل والحرص وذمهما |
| 93 | فصل حادي عشر: في الكرم ومدح الكريم |
| 97 | فصل ثاني عشر: في فضيلة القناعة |
| 100 | فصل ثالث عشر: في فضيلة الصبر والحث على التمسك بها |
| 106 | من فصل رابع عشر: في رذيلة الكذب والنهي عنها |
| 108 | فصل خامس عشر: في النميمة |
| 110 | فصل سادس عشر: في الشراة |
| 111 | فصل سابع عشر: في الحث على الانصاف وتجنب الظلم |
| 113 | وفصل ثامن عشر: في العفو والمسامحة |
| 116 | فصل تاسع عشر: في الفقر والصبر عليه |
| 119 | فصل عشرون: في صعوبة السؤال |
| 121 | فصل حادي وعشرون: في حسن الرجا |
| 123 | فصل ثاني وعشرون: في ضيق الحال والتوفيق وعدمه |
| 125 | فصل ثالث وعشرون: في القلم |
| 127 | فصل رابع وعشرون: في الكتابة |
| 129 | فصل خامس وعشرون: في المراسلات والسلامات |
| 133 | فصل سادس وعشرون: فيما يكتبُ بالأجوبة |
| 137 | فصل سابع وعشرون: في المودة وشكوى الفراق |
| 145 | فصل ثامن وعشرون: في عدم حفظ المودة والاخاء |

- 149 فصل تاسع وعشرون: في طلب الوفاء بالوعد
- 152 فصل ثلاثون: في العتاب
- 156 فصل: حادي وثلاثون في حفظ السر
- 158 فصل ثاني وثلاثون: فمن ينكر الجميل ولا يحفظ العهود
- 160 فصل ثالث وثلاثون: في الزهد بالناس والاعتزال عنهم
- 163 فصل رابع وثلاثون: في الدهر ونوائبه
- 167 فصل خامس وثلاثون: في الاغتراب والأسفار ومنافعها وذمها
- 172 فصل سادس وثلاثون: في منافع المال
- 174 فصل سابع وثلاثون: في المدارة وبعض نصائح
- 179 فصل ثامن وثلاثون: في الشيب وتبكيك من لا يحترمه
- 183 فصل تاسع وثلاثون: في التأسف على زمان الشبوية
- 186 وفصل أربعون: في النساء وشرهن
- 192 فصل حادي وأربعون: في الرجل الثقيل
- 194 فصل ثاني وأربعون: في المذمة والهجو
- 200 فصل ثالث وأربعون: في المديح والشكران
- 204 فصل رابع وأربعون: في الاختبار والامتحان
- 206 فصل خامس وأربعون: في الهدية والزيارة
- 210 فصل سادس وأربعون: في رديء الأصل ومن لا يذوق طعم الكلام
- 212 فصل سابع وأربعون: في الجهل والحماقة
- 214 وفصل ثامن وأربعون: في التأني والنهي عن المخاطر
- 216 فصل تاسع وأربعون: في من يعظ ولا يتعظ وينظر عيب غيره ولا نظر عيوبه
- 218 وفصل خمسون: في مدح الخمرة والتوبة عنها
- 226 فصل حادي وخمسون: في المزاح والتحدّر منه

| | |
|-----|--|
| 228 | وفصل ثاني وخمسون: في الزهد بالأولاد والزواج |
| 231 | فصل ثالث وخمسون: في بيان زوال الدنيا |
| 236 | فصل رابع وخمسون: في التحذير من غرر الدنيا وبيان خداعها |
| 245 | فصل سادس وخمسون: في التوبة وطلب العفو من الله |
| 252 | وفصل سابع وخمسون: في التأهب للموت |
| 258 | وفصل ثامن وخمسون: في الموت وتذكر أواخر الجسم |
| 264 | فصل تاسع وخمسون: في التعازي والمرائي |
| 273 | فصل ستون: في جمع أبيات على نسق مذاكرة الأنفاس |
| 280 | الخاتمة: في تقرّيط هذه المجموعة |

(setontooF)

- 1 . أي الحاجة إليه .
- 2 . هو المحب .
- 3 . ضد الصفو .
- 4 . شبه الفاس يستعمل في الحرب .
- 5 . شدة الحب والحيرة .
- 6 . جمع لمة وهي اللحية .
- 7 . جمع رمة وهي الأشياء البالية .
- 8 . الخبز وبقية الشيء .
- 9 . المشي رويداً .
- 10 . أي تميل .
- 11 . يعني طائعة .
- 12 . أي تشتاق .
- 13 . من كرز يعني مال وانتحي .
- 14 . أي مكانها .
- 15 . أعني بحر .
- 16 . أي ظلام وقتام .
- 17 . أي طاعت وخضعت .
- 18 . جمع سورة، وهي فصل أم قطعة من الكتاب .
- 19 . أي أورده بالتتابع .
- 20 . أي الشريف الفائق بالمحاسن .
- 21 . هو القبيض والاعياء ومن أسماء الشيطان والجن .
- 22 . يعني قصد .
- 23 . أي الجعاد .
- 24 . أي جزء منه .
- 25 . أي مشتد الظلام .
- 26 . هي لقب عنتر .
- 27 . يعني لو نظر .
- 28 . ما أراد .
- 29 . أي الظلام وهو جمع دُجبة .
- 30 . جمع مقلة وهي العين .
- 31 . شدة بياض العين وسواد سوادها .

- 32 . أي بسيفه .
- 33 . أي يسقط على وجهه .
- 34 . جمع شكيمة أي اللجام .
- 35 . أعني به اشتداده .
- 36 . أي جمالاً وحسناً .
- 37 . هو الضعف والضعف .
- 38 . أي في سرور .
- 39 . في الاثنيان ليلاً .
- 40 . الخوف .
- 41 . أي الأبطال .
- 42 . جمع خوذة وهي كانت توضع في الرأس وقت الحرب .
- 43 . جواب إذا محروم محلاً .
- 44 . أي يعجمك .
- 45 . نزلوا وسكنوا .
- 46 . أي منقطعاً .
- 47 . هو الخوف .
- 48 . أي محيراً .
- 49 . جمع شهر .
- 50 . أعني أبيضه في البيت الجناس التام . وفي البيت الثاني الطي والنشر .
- 51 . أي ترفضها .
- 52 . من نفذ بمعنى خلص وفنى .
- 53 . أي كل عضو .
- 54 . جمع درة وهي اللؤلؤة الثمينة .
- 55 . أي الجسم والشخص .
- 56 . يعني صعبت واشتدت .
- 57 . هو معظم البحر واللجة .
- 58 . الضعف والنحول .
- 59 . يعني كره ورفض .
- 60 . جمع مَهَاة وهي الظبية ويطلق على البقرة الوحشية .
- 61 . أي حصنكم .
- 62 . ملجاء .
- 63 . هو العقل .

- 64 . الحمل الثقيل والاثم .
- 65 . أي مسرتكم .
- 66 . فهذه اللفظة مصغرة تعني دورة الوجه كله وطالعه .
- 67 . يعني في كل وقت ومكان .
- 68 . هو المطر الغزير .
- 69 . ذيل الحمل وحضيضه .
- 70 . أي الوجد وشدة الاشتياق .
- 71 . هو مجرى الماء والنصيب منه .
- 72 . أي يجتمع .
- 73 . أول الصبا وبهجته .
- 74 . أي فاحت .
- 75 . يعني نفسي .
- 76 . أي رفضت وبغضت .
- 77 . هو السكر .
- 78 . من رَوَزَ معنى تأخر .
- 79 . في بعض النسخ سَدَرُ الذي معناه التحيز .
- 80 . أي منسكاً .
- 81 . أي الأمل .
- 82 . هو الجور والظلم وهذا الصراع تلميح شهادة من بولص .
- 83 . من فاه إذا تكلم .
- 84 . من أسماء السيف .
- 85 . هو ضد الاضطرام .
- 86 . هو الحر الشديد .
- 87 . أي البعاد .
- 88 . يعني محترم ومكرم .
- 89 . يريد بالأصغرين أي القلب واللسان . ويشير بالخوف إلى القلب والحذر إلى اللسان حيث
كما أن الحمد في القلب فالمدح هو في اللسان .
- 90 . هو أول التماس .
- 91 . أي شكل الشيء وحسنه .
- 92 . أي أول الصا ومبدأه وجماله .
- 93 . اسم أحد الكواكب العالية .
- 94 . مخذول .

- 95 . ضعفت .
- 96 . هو الماء المالح .
- 97 . ضد التعب .
- 98 . هي الكَفَّ وفي البيت الجناس التام .
- 99 . أعني الأكثر علماً ما بيننا وفي البيت المجناس التام .
- 100 . أي ألمعت .
- 101 . يعني خُلِّقَ به الخلايق .
- 102 . هو التكبير والدلال .
- 103 . أي التقوى .
- 104 . اسم امرأة كانت من ذوات الجمال .
- 105 . أي غايته ومرامه .
- 106 . في نسخه عدل .
- 107 . أي فق لذاتك وفي البيت جناس التركيب ما بين أنت به وأنته .
- 108 . هذه اللفظة مؤنثة ومعناها جهنم .
- 109 . أي حسن إرادته وفي البيت الأصلي الجناس المخرف ما بين الحقّ والحق .
- 110 . هي الشجاعة .
- 111 . هو من أسماء البحر .
- 112 . أي جمال الحق سبحانه .
- 113 . هو الشرف .
- 114 . الاشهار والايضاح .
- 115 . أي ظاهرة .
- 116 . يعني آية وأجوبة .
- 117 . الملك الولاية .
- 118 . هم الناس .
- 119 . هو الحصن والحفظ .
- 120 . يعني التجي واستغيث بك .
- 121 . الرفيع الشأن .
- 122 . من حَرَمَ إذا منع .
- 123 . أي لست بقاطع الرجا .
- 124 . هو البستان . ومستنقع الماء أيضاً .
- 125 . الملء .
- 126 . من أفاق بمعنى خصب .

- 127 . يعني احتجاجي .
- 128 . هو الحائط .
- 129 . يعني الطريق المستقيم .
- 130 . أي بتفهيم .
- 131 . أي مسكن .
- 132 . ما يحتج به والبرهان .
- 133 . أي ألف سنة .
- 134 . أي ساخراً .
- 135 . أي الميل والرغم .
- 136 . أي ما نسي .
- 137 . من قلٌ بمعنى رفع وأوقى .
- 138 . أي ذنبي .
- 139 . أي لا أرجع ولا التوي .
- 140 . جمع ياقوت من الحجارة الثمينة .
- 141 . من لا فطنة له ولا يرتجى خيره .
- 142 . أي أصحابي الذين هم على رأيي .
- 143 . هذا الصراع في ديوان عبد الغني مغتبر بتمامه .
- 144 . أي المحسن .
- 145 . أي لا تغرق بالبلادة .
- 146 . يعني خوفك .
- 147 . أي تقواك .
- 148 . إذا استعنت به ترك سبيلك بدون أن يداهملك منه أذية .
- 149 . أي تحريضك .
- 150 . أي أنشأك وأوجدك .
- 151 . من طبع الشي على سجيته . وجيله .
- 152 . في بعض نسخ تصرف . ومعنى تصرّم الدهر تغيير أهله من حالٍ إلى حالٍ .
- 153 . أي تسلية .
- 154 . تعجب .
- 155 . نبت أبيض .
- 156 . أي سراب .
- 157 . أرض فقراء .
- 158 . السحاب الذي لا مطر فيه .

- 159 . الأحسن والألذ .
- 160 . هو بياض الشعر .
- 161 . أي الاستقصاء والفحص يوم الحساب .
- 162 . يعني ما جمعته في حياتك خيراً كأن أم شراً .
- 163 . هما عندهم الواحد يقوم عن يمين الإنسان والآخر عن يساره أي كاتب الخير عن اليمين .
وكاتب الشر عن اليسار .
- 164 . الرجل الرايق الذهن والفصيح .
- 165 . أي ضيقاتها وفي غير نسخ (غدراتها) .
- 166 . أي وجع وتأمم .
- 167 . هو الذكي الفؤاد والشريف .
- 168 . قطعُ الرجا .
- 169 . اسم رجل كان أطمع أهل الأرض فلكثره طمعه صار يضرب فيه المثل .
- 170 . أي ظريف .
- 171 . هو الموقر الذي تحترمه الناس .
- 172 . في غير نسخ واعمد لطاعته .
- 173 . أي الأمر العظيم .
- 174 . عرقان بصفحتي العنق .
- 175 . أي مستعد ومتنجح .
- 176 . أي الخلايق .
- 177 . من أفعال الذم . وفي بعض النسخ . يشين خلاً .
- 178 . أي في كل مجلس وديوان .
- 179 . تتكلم .
- 180 . من نشب ينشب الأمر لزمه وكنمه وهذا الصراع في غير نسخ مغير وكذلك البيتان اللذان بعده الظاهر ليسا من هذه القصيدة والله أعلم .
- 181 . من أسماء السيف .
- 182 . القاطع .
- 183 . أي بالسلام .
- 184 . إنه يميل ويحيد .
- 185 . وحش معروف من العامة بالواوي . وأبو المحسين .
- 186 . أي منحك إياها .
- 187 . هو الجبل .
- 188 . أي ظهر .

- 189 . أي كل واحد يذم الناس مستثنياً ذاته والذي نُجا من ذم ذاته يدخل في ذم الجماعة .
- 190 . أي ليس جوده طبعاً بل فدى حتى لا يقال عنه بخيل .
- 191 . العطش .
- 192 . أي إذا أحسنت إليه احساناً عظيماً . كالجيل ينسأه . وإذا أسأت إليه بقدر الحبة الصغيرة من الهبأ فلا ينسى .
- 193 . أي فلا يرضى .
- 194 . يعني تكبر وافتخر .
- 195 . أي بضيق العيش والسَّح .
- 196 . أي من بخل على ذاته وعاش عيشة ضيقة وهو غي فذلك أفقر الناس .
- 197 . يعني لو كان الانسان يعرف العيب الذي فيه لكان ينزعه عن نفسه .
- 198 . من أصل الخلقة .
- 199 . أي يبتلى بالمرض .
- 200 . أي مستقيماً .
- 201 . يعني يصلح أن يكون قاضياً .
- 202 . أي قل من يقوم بحق النعمة .
- 203 . أي في غير مسكنه ومكانه .
- 204 . يقبح .
- 205 . أفاد منفعة .
- 206 . أي تكبّر .
- 207 . هو العقل .
- 208 . السامة .
- 209 . أي جرى وسال .
- 210 . السحاب .
- 211 . أي ألمع .
- 212 . فمها .
- 213 . هو البرق .
- 214 . أي الطول .
- 215 . يعني الكبرياء .
- 216 . الخالي من العشق .
- 217 . أي ظبية ويطلق على البقرة الوحشية التي لا يوجد أظرف من مُقلتها .
- 218 . هو أخو الأم .
- 219 . يعني التل من الرمل .

- 220 . الأكمة وهي تل من الحجارة .
- 221 . جمع غليلة أي الدرع .
- 222 . أي عنقها .
- 223 . هذه اللفظة معربة معناها النقش .
- 224 . توب يمانى .
- 225 . أي شعرها الطويل .
- 226 . الراية واللواء .
- 227 . يعني الخلافة .
- 228 . هو الشريف .
- 229 . أي جواد كريم .
- 230 . خفيف العقل .
- 231 . أي ضعيف القلب والبدن .
- 232 . البري من التهمة .
- 233 . أي علامة .
- 234 . أعني ترفقني حتى يلازمني الكفن .
- 235 . الكفن
- 236 . الميل والخنو .
- 237 . أي الصاحب .
- 238 . هو التَّوهُم .
- 239 . اليابس اليد .
- 240 . القيد .
- 241 . هو التَّخِيل
- 242 . أي تفرّس
- 243 . أي علاوة وارتفاع
- 244 . ميل باشتياق
- 245 . الصدق والفراسة
- 246 . البعير الضخم .
- 247 . هي دمشق
- 248 . الجبل
- 249 . أي اعطف رأس مطيبتك
- 250 . المكان الذي ليس فيه أنيس
- 251 . القديم على الشيء

- 252 . أي ابتاع الصبر وباقى عليه
- 253 . يعني ملازم على حبه ووجدِه
- 254 . هو ترك العنان
- 255 . أي اللجام والجمع شكائم
- 256 . أي ليس له لجام
- 257 . يعني قارن وتجاوز شيب والأحص بجاسترته الخ.
- 258 . هما من رؤساء الخوارج الذين خرجوا عن على وقاوموه حينما صالح معاوية.
- 259 . نبئت ذو رائحة ذكية . وكذلك القيصوم . والمعنى أن ناظم الخالية ليس بكلامه فصاحة ورقه كما يوجد في شعر الاسلام الذي تفوح رائحة معانيه على الرند .
- 260 . يعني أترك المعاب الذي تعارض .
- 261 . أي المخصوص بالنص الكائن في سورة محمد وهو « ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم » .
- 262 . أي تمادي متجاسراً .
- 263 . أي أنعام .
- 264 . جمع عروة .
- 265 . فالأصح قبلة لمطابقة المعنى .
- 266 . هو ابن زهير من الصحاب كان أمر النبي بقتله . ثم عفى عنه لما مدحه بالقصيدة التي مطلعها:

بانئت سعاد فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ أسرها لم يفد مكبولٌ

- 267 . شاعر مشهور .
- 268 . فالشيخ يزعم أن تكرار بطرس لفظة الخال هو أمر رديء وسبان ذلك من قوله ولا الشيخ قبله .
- 269 . أي الخالية .
- 270 . من وقر مع حمل .
- 271 . يُراد به داود باشا .
- 272 . من وقر الشيء إذا احترمه وفي البيت الجناس التام .
- 273 . أي من معاني الشعر ورقته يسكر السامع بدون خمرة .
- 274 . فالمعنى كما أن فرع الناقوس عندهم لا يطرب كزنة الحجال . كذلك شعر النصراني لا يطرب كشعر غيره .
- 275 . صفة لموصوف محذوف . والظني الأعفر ما يعلو بياضه سواد .
- 276 . نجد في نواحي العراق وهي أرض بغداد وما يليها

- 277 . يعني ما نظر شيئاً من ذلك بل بالتوهم .
- 278 . هو ولد البقرة الوحشية .
- 279 . أي حامض مرّ .
- 280 . تلميح آية من سورة النجم (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) .
- 281 . أي الأنعام الجسيمة .
- 282 . فهذا الصراع تلميح من القرآن حيث يقول في سورة المائدة (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) . ويقول أيضاً في سورة النحل . (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) .
- 283 . أي بنيه وافتخار .
- 284 . يعني بالإرث عن آبائه .
- 285 . أي المتحدث الجديد .
- 286 . بلا ريب .
- 287 . يعني بشعره .
- 288 . أي لن يعاب .
- 289 . تلميح من سورة المائدة (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ آبِئَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مُمُودَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْبَنِيَّةُ قَالُوا إِنَّا نَصْرُوكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرُهْبَانُ وَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) .
- 290 . أي المعاب وهذا جواب لقول الشيخ دَع الشانني المخصوص الخ .
- 291 . أيضاً تلميح آية من سورة العنكبوت حيث يقول (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) .
- 292 . أي لو أنه يتلو هذه الآية لما كان اعترض ولا لجم .
- 293 . آية من سورة المائدة حيث يقول (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .
- 294 . هو ابن ساعدة الأيادي أسقف نجران يعد من الخطباء، وخطبته في سوق عكاظ « مشهورة وهذا السوق موقعه ما بين نخلة وطائف قرب مكة . . كانت تجمع إليه الناس في شهر ذي القعدة للبيع والشراء وكان يحضر هناك الخطباء من كل قطر وكل يتلوا من أفصح أقواله . وهو أول من قال أما بعد .
- 295 . هو ابن عادي اليهودي يضرب فيه المثل بالصدق والوفاء . كما يضرب المثل بالكذب وخلف الوعد بعرقوب الذي كان من يهود خيبر وهجاه كعب . ثم لما كان ذاهباً امرء القيس محاربة ملك الروم ودَع عند السَّمُؤَل مائة درع فعرف الحارث وحضر طلبهم فلم يسلمهم وكان إذ ذاك ولده خارج المنزل فمسكه الحارث وقال سلني الوديعه أم أقتل ولدك فأجابه بموت ابني ولا أخون بوعدني فقتله . وهو كان من الفصحاء . ومن جملة تأليفاته نزهة

- الأحباب والقصيدة التي مطلعها . (إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل) .
- 296 . مشهور من الفصحاء .
- 297 . هو القس المارعة .
- 298 . صاحب ديوان عقائد العقبيان .
- 299 . فالناظم يلوم الشيخ بهذه اللقطة من كون ذكر الألفاظ الثقيلة في الشعر غير مقبول عدا أنها غير مستعملة .
- 300 . أي خمراً .
- 301 . صاحب ديوان مشهور . المعنى وإن يكن في زمانه هجى الورد مفترياً ومثله في صرم الغنل . فمع ذلك لم يحتقر الورد من الناس ، فكذا الخالية ولو أن الشيخ ازدري بها فلم ينقص اعتبارها عند غيره .
- 302 . أي الشرف أم المشي ليلاً .
- 303 . أي مستكرهة أو معظمة .
- 304 . من أطرق بمعنى سكت . أم نظر بعينه للأرض خجلاً .
- 305 . أسم طير يشبه المحجل .
- 306 . الضيافة . وهذا مثله كان يضمه العرب أن يحضر مجلس ويتكلم بشي ليس هو أهلاً له وبالآخر إذا كان موجوداً من يكون أولى بذلك الكلام . وقال بعضهم شعراً بهذا المعنى :
- أطرق كرى أطرق كرى إن النعام في القــــرى
 بوغازكم في أرضنا ما أستنصر ما أستنصرا
- 307 . هو ماء الخيرة واسم نهر في الجنة وله سورة في القرآن .
- 308 . أي لها ارتفاع فيها من كل أنواع العلوم والأدب وقد حصل على ذلك بالحقيقة لا بالتوهم كما يزعم الشيخ وقول المرء وفعله أكبر شاهد له .
- 309 . هو من أسماء الرجس والياسمين . واسم زهر فارسي يقال له طرة الشاه .
- 310 . من ساد بمعنى اعتلا لا من السواد كما قال الشيخ . وهذا من أنواع البديع يُسمى التورية .
- 311 . هو الأخرس والعديم الفصاحة والغريب عن اللغة .
- 312 . أي ولدت وحُلقت .
- 313 . جواب القول الشيخ وهل يطرب . الناقد الخ .
- 314 . هي جعبة السهم . وهذا اسم محل مخضب في أراضي الحجاز .
- 315 . أي أسكر وأغشي .

- 316 . من أسماء الأسد . وهذا البيت نقيض قول الشيخ . وما الشعر إلا الخ . ثم وغتني به الساقى الخ .
- 317 . أي يرفض . وهذا اقتباس مَثَل سائر . وهو لا يأبى الكرام إلا اللئيم .
- 318 . يعني مولياً مهزوماً .
- 319 . أي ويعرف .
- 320 . أي أعد ذلك إعانة منة حيث بفعله هذا قد صار علّة لاشتغاري في بين النهريين أعني بأرض العراق .
- 321 . أي إن وفي بما طلبه داود باشا من التقريظ على الخالية أو لم يوف على حدّ سوى .
- 322 . يعني به داود باشا .
- 323 . هو حمار الوحش . وهذا مثله . وهو إن اثنين خرجا للصيد فالواحد اصطاد طيوراً كثيرة والآخر ما اصطاد سوى فراً ، فعند رجوعه رفيقه غيره أجابه كلما اصطدته في جوف الفراء .
- 324 . جمع دُرُوءٌ وهي أعلا الشجرة .
- 325 . أي الأسد .
- 326 . من أسماء الريح .
- 327 . جمع عافى وهو طالب الفضل .
- 328 . أي الثروة والغنى .
- 329 . هو الغنيم الرقيق .
- 330 . أعتري محجباً إياها .
- 331 . هو الملك . والعظم الهمة .
- 332 . من أراش أي لصق للسهم ريشاً .
- تنبيه : إن المرجو من كل لبيب يطالع على هذه القصائد بأن يسبل ستر المسامحة على ما يحد . من القصور وعدم الاسهب بالتفسير . وخصوصاً إذا نظرت بعض ألفاظ محرّفة عن أصلها بحيث ما أمكنتني أن أقف على نسخة مضبوطة . وقد اطلعت على غير نسخ كل تناقض الأخرى ببعض ألفاظ تشير على أن ذلك خطأ من النسخ . ولما كان من الواجب أن تطبع مثل هذه القصائد لما فيها من البراءة والفصاحة وتنشيطاً لمن ينظم مثل هذه الدرر فيطمأن إلا تغالها يد الضياع فلذلك قد اعتمدت على ضمّها لهذه المجموعة موضحاً معاني بعض ألفاظ على قدر ضعفي ومصلحاً ما كان حرّفة النسخ .
- 333 . أي تعرّضه وأثمّه
- 334 . أي كذبها .
- 335 . هو الميل والانعطاف
- 336 . هو التراب . دروس آثار الدار .

- 337 . المال الطارف أي المتحدث .
- 338 . أي ما ولد وتجدد عندك من المال .
- 339 . جمع نفثٍ وهو قل من النفخ . يعني علق نفثات الدر الخ .
- 340 . أي الفقير ومن يجور عليه الزمان .
- 341 . الشره , والرافع طرفه نحو الفحش .
- 342 . ذكر الحجال .
- 343 . أي صفيرةٌ وصياحه .
- 344 . يمتحن .
- 345 . الوفاء . وحفظ الوداد .
- 346 . أي اسلك .
- 347 . العيش الهنيء .
- 348 . أي لمن هو غني وصاحب ثروة .
- 349 . أغني فصيحتها لأن سحبان اسم رجل شهير بالفصاحة .
- 350 . اسم رجل يضرب فيه المثل في النكته والعبي في الكلام . والمعنى الإنسان المعسور ولو كان فصيحاً كسحبان فيحتسبه الناس كباقل .
- 351 . يعني ممطر .
- 352 . من خدش معنى لطم وخمش .
- 353 . أي الضيق .
- 354 . أي عقله .
- 355 . أي باستقلاله واحتقاره .
- 356 . أي باستقلاله واحتقاره .
- 357 . من أفلح بمعنى تحول وتنحى .
- 358 . من رفل أي من يجتر ثوبه بتكبر وعجرفة .
- 359 . أي في ثوب .
- 360 . هو النقش .
- 361 . من ذوى بمعنى ذبل وجف .
- 362 . أي بياض الرأس .
- 363 . يعني رسله .
- 364 . جمع إمام مهم معلو الديانة يعني بهم الأباء .
- 365 . فلنظفة خبيرةٌ بسكون الماء أي زرعه لأن لو قلنا خبيرةٌ بالتحريك لانكسر الوزن .
- 366 . أي سيفه القاطع .
- 367 . هو الغني وفي البيت الجناس المحرف ما بين الثراء والثرى أي التراب .

- 368 . من لا مجرب الأمور .
- 369 . أي تراكمت وكثرت وفي البيت نوعان من البديع الأول المجناس المصحف . والثاني يقال له التسميط .
- 370 . هي حرف القلم وبرآته .
- 371 . هو التغيير .
- 372 . أي أصابعها .
- 373 . أي تتساقط وتروى .
- 374 . هو نوع من الجواهر .
- 375 . يعني مكمل ومجمل .
- 376 . زهر معروف يستعمل مفرداً وجمعاً سويةً وأضيف إلى النعمان بن المنذر لأنه أول من حماه . أولحمرته أضيف إلى النعمان أي الدم . ولذلك يدعى شقائق النعمان .
- 377 . جمع دوحه أعلى قمة الشجرة أم الشجرة .
- 378 . أي مهيج بهبوبه .
- 379 . أي شدة الصوت .
- 380 . الفضة والذهب .
- 381 . من أسماء السيف .
- 382 . من خَطَبَ أي وعظ . وأما ها هنا بمعنى غَرَّد .
- 383 . هو النوم والمُصَلَّى ليلاً .
- 384 . اسم طائر رخم الصوت .
- 385 . أي يترنم .
- 386 . أي مضطرم كشعلة النار .
- 387 . جمع مزنة وهي السحابة الممطرة . أم الغيم الرقيق الأبيض .
- 388 . هو التراب .
- 389 . هو المصباح .
- 390 . من أسماء النجوم .
- 391 . أي بعدت .
- 392 . أي ما كذب قط في نكث عهوده .
- 393 . أي الظلام .
- 394 . هو العطش .
- 395 . أصلها فلديذ الدبس عندي مستطاب . فغيرنا لفظة الدبس التي هي كنية المرسله إليه القصيدة لأنها ركيكة .
- 396 . جمع قوس التي يرمى بها السهم .

- 397 . هو الظريف الذهن . والفصيح . وبعدها الجملة من نوع التورية ما بين ناح بمعنى قاصد .
وناح من يكون معلماً في قواعد اللغة .
- 398 . هم الورعون المتقون .
- 399 . بمعنى الارتباب والظن .
- 400 . أي الاحاطة وصدق النظر جيداً .
- 401 . أي شأنه .
- 402 . أي نسائي .
- 403 . أي إذا بنى وبينهما نوع الجنس التام .
- 404 . هو الشعر المصنع .
- 405 . المكان الضيق والآثم .
- 406 . هو نشر رائحة الطيب .
- 407 . أي فلاند الذهب . وأمهم ديوان مشهور .
- 408 . جمع خريدة وهي اللؤلؤة . .
- 409 . هو لورق لفظة معربة .
- 410 . أي الحبير .
- 411 . أي مثلان متشابهان .
- 412 . أي نأى بعيداً . وفي البيت الجنس التام وجناس الاشتقاق .
- 413 . ي نزلت كذلك في هذا البيت الناس الناقص بين حلت وحلتى وجناس شدة الاشتقاق
بين حيت وأحيت .
- 414 . أي المودة .
- 415 . أي العقل .
- 416 . يعنى أصابعي .
- 417 . من نوع التورية ما بين الصبر معنى الاحتمال والتجلد . والصبر عن الصوم . والصبر
بكسر الباء المنسوب إلى جزيرة القطري في بلاد الزنج الكلى المرارة .
- 418 . من أسماء العسل .
- 419 . كذلك من نوع التورية ما بين الاستوا على الحالين حراً وبرداً الخ . ثم وخط الاستوا من
الكرة الأرضية الذي نحن كائنون به .
- 420 . مفردة وتند وهو رزة من خشب . والأوتاد هي التي منها تتركب أجزاء الشعر الثمانية
ويقال لها التفاعيل .
- 421 . أي الأغصان .
- 422 . أي عطاش .
- 423 . يعني البار التقي .

- 424 . الحوادث .
- 425 . هو المجلس حيث يجمع القوم .
- 426 . أي جليل .
- 427 . أي محكم الأمر بالصواب .
- 428 . من نوع الجناس المحرف .
- 429 . جوهر الشيء وقدره .
- 430 . جمع معراج وهو المصعد .
- 431 . في غير نسخ يجحها .
- 432 . أي رقيق .
- 433 . أي العقل .
- 434 . أي النار .
- 435 . ما لا يعتمد به من الكلام وغيره .
- 436 . أي رفعه وسلطوه .
- 437 . ما بين الغصنين أم رأس الغصن .
- 438 . أي انتسب .
- 439 . أي يتعب ويبخل عند السؤال .
- 440 . أي المخدوع والمغلوب .
- 441 . يعني حيث .
- 442 . الحرفة بضم الحاء حرمان ونقصان في الرزق . وبكسر الماء الصناعة .
- 443 . قرار الأرض . أم الحجر .
- 444 . هو الرفيع السامي .
- 445 . من أسماء الباري تعالى .
- 446 . الذنب والجنابة .
- 447 . أي يضعف .
- 448 . المطر الضعيف .
- 449 . أيضا هو المطر الشديد .
- 450 .
- 451 . جمع جذج أي الجمّل . وهودج للنساء .
- 452 . المعروف بنهر حلب .
- 453 . بنات نعش ثلاث كواكب . النجم الذي يلي النعش اسمه القائد . والثاني اسمه العساف وهو الذي يلي السبي . والثالث الجوراء .

لقد مثل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قدرةً استثنائيةً على التجدّد والتنوّع في حركته وتحولاته التقنية، بدءاً من الإيماءة ومروراً بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوءاً مُتعدّد الطبقات، يقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمددًا على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأت صدفةً، إنها انبثاقنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الواسع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقراء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان



مشروع النشر الرقمي